ECSS
المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

شؤون عسكرية

MILITARY AFFAIRS

حرب أكتوبر المجيدة 1973
ملحمـــة عسكـــرية خالـــدة

اقتصاد العبور:
كيف أدارت مصر مواردها الاقتصادية حتى حرب 1973؟

خطة الخداع الاستراتيجي في حرب أكتوبر 1973:
عبقرية التخطيط ودقة التنفيذ

دور الحرب الإلكترونية
في دعم قوات الدفاع الجوي خلال عمليات أكتوبر 1973

التعاون العسكري الروسي-الصيني
وعلاقته بالحرب الروسية-الأوكرانية

القدرات العسكرية لأكبر وكلاء إيران
في الشرق الأوسط في مواجهة إسرائيل

معرض مصر الدولي للطيران والفضاء 2024:
الفعاليات والمخرجات

العـدد الثامـن

أكتوبر 2024

"تعاونكم أساس تقدمنا"

لا يجوز نسخ أو استعمال كل أو جزء من هذا الكتاب/المطبوعة/المجلة/ الإصدار، بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة من الوسائل. سواء التصوير أو النقل الإلكتروني أو غيرها، دون إذن كتابي مسبق من الناشر.

شؤون عسكرية
MILITARY AFFAIRS
حرب أكتوبر المجيدة 1973
ملحمة عسكرية خالدة
ecss.com.eg
/ecsstudies

ECSS المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

المديـــر الـــعـــام: **د. خـالد عكاشـــة**

نائب المدير العام : **اللواء/ محمد إبراهيـم الدويري**

المستشار الأكاديمي: لواء.أ.ح.د/ **محمد قشقوش**

تحريـــــر : **د. رغدة البهي**

الهيـــئة الأكاديميـــة

د. **دلال محمود**

لواء.د/ **محمد علام**

لواء.أ.ح.د/ **أسامة ابراهيم**

لواء.أ.ح.طيار/ **عماد عبد المحسن**

لواء.أ.ح.د/ **عزالدين عبد الرحمن عوف**

لواء.أ.ح.م/ **مجدي حجازي**

إخراج فني: **أحمد حسني**

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

شـــؤون عسكرية - العدد الثامن - أكتـــوبر 2024

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

العنوان: 100 شارع الميرغني مصر الجديدة، القاهرة، مصر.

الهاتف: 20226905861+ - 20226905862+ - 20226905863+

البريد الإلكتروني: info@ecss.com.eg

www.ecss.com.eg

المحتويات

07

الافتتـــاحية

08

ملـــف العـــدد: حرب أكتوبر المجيدة 1973 .. ملحمة عسكرية خالدة

- معركة رأس العش: من بطولات الصاعقة المصرية في حرب الاستنزاف
- اقتصاد العبور: كيف أدارت مصر مواردها الاقتصادية حتى حرب 1973؟
- خطة الخداع الاستراتيجي في حرب أكتوبر 1973: عبقرية التخطيط ودقة التنفيذ
- دور الحرب الإلكترونية في دعم قوات الدفاع الجوي خلال عمليات أكتوبر 1973
- دور القوات البحرية المصرية في حرب أكتوبر المجيدة: نبذة مختصرة
- تداعيات حرب أكتوبر 1973 على نظرية الأمن الإسرائيلي
- حرب أكتوبر المجيدة.. من الإعداد إلى النصر: خلاصات تحليلية
- ملحمة خالدة: كيف أثرت حرب أكتوبر 1973 في التخطيط العالمي والتاريخ العسكري؟

48

دراســـــات

- دلالات وخلفيات اتفاقية التعاون الأمني والعسكري بين مصر والصومال
- التعاون العسكري الروسي-الصيني وعلاقته بالحرب الروسية-الأوكرانية

57

تقاريـــــر

- القدرات العسكرية لأكبر وكلاء إيران في الشرق الأوسط في مواجهة إسرائيل
- اتجاهات الحرب الروسية-الأوكرانية بين معركتي كورسك وخاركيف
- السلاح النووي بين الاستخدام والردع

72

بروفايـــــل

- وزير النصر: المشير "أحمد إسماعيل علي"

77

حالـــة التسلـح

- معرض مصر الدولي للطيران والفضاء 2024: الفعاليات والمخرجات
- صاروخ النينجا (R9X): سلاح الاغتيالات الغامض
- الثالوث النووي الهندي بعد غواصة (Arighaat)

الافتتاحية

تتالت أعداد الإصدار الدوري النوعي المتخصص "شئون عسكرية" التي وصلت إلى الإصدار الثامن وسط متابعات مكثفة من المهتمين بالشأن الدفاعي العسكري الاستراتيجي على المستويين الإقليمي والدولي، سواء من المتخصصين أو الباحثين على تنوع دوائر اهتمامهم؛ حيث يتكون الإصدار من خمسة محاور هي: ملف العدد، والدراسات، والتقارير، وبروفايل لشخصية عسكرية مهمة، وأخيرًا حالة التسلح.

وقد أتى "ملف العدد" ليكون محوره حرب أكتوبر المجيدة ليتناولها من رؤى متعددة، أهمها معارك حرب الاستنزاف، والبعد الاقتصادي للحرب، وخطة الخداع الاستراتيجي، ودور الحرب الإلكترونية في دعم قوات الدفاع الجوي خلال عمليات أكتوبر 1973، وكذا دور القوات البحرية المصرية في الحرب، وصولًا إلى تداعياتها على نظرية الأمن الإسرائيلي، وكذا على التخطيط العالمي والتاريخ العسكري.

أما الدراسات فقد تنوعت موضوعاتها لتشمل: دلالات وخلفيات اتفاقية التعاون الأمني والعسكري بين مصر والصومال، والتعاون العسكري الروسي-الصيني وعلاقته بالحرب الروسية-الأوكرانية. كما تنوعت موضوعات "التقارير" لتشمل: القدرات العسكرية لأكبر وكلاء إيران في الشرق الأوسط في مواجهة إسرائيل، واتجاهات الحرب الروسية-الأوكرانية بين معركتي كورسك وخاركيف، والسلاح النووي بين الاستخدام والردع. وقد جاء "بروفايل" العدد ليسلط الضوء على شخصية المشير "أحمد إسماعيل علي" الذي لقب بوزير النصر. وقد اختتم الإصدار بقسم "حالة التسلح"؛ حيث زيادة الاهتمام بمعرض مصر الدولي للطيران والفضاء 2024، وصاروخ النينجا (R9X)، والغواصة النووية الهندية (Arighaat).

هذا، وسيظل إصدار "شئون عسكرية" مهتمًا بتطوير وتحديث محتواه تباعًا، لتغطية أكبر حيز من العلم العسكري التكتيكي والتسليحي، وما يكملهما من الأدبيات الاستراتيجية، وما يحتاجه الباحثون والمهتمون في هذا الصدد، كإحدى مهام ورسالات المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية.

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

ملـــف العـــدد

يـدور "ملـف العـدد" حـول حـرب أكتوبـر 1973 فـي الذكـرى (51) لهـا، فيبـدأ بتحليـل معركـة رأس العـش كإحـدى بطـولات الصاعقـة المصريـة فـي حـرب الاسـتنزاف، ثـم يحلـل البعـد الاقتصـادي للحـرب وكيـف أدارت مصـر مواردهـا الاقتصاديـة، ثـم يتنـاول خطـة الخـداع الاسـتراتيجي وكيـف خططـت لهـا مصـر ببراعـة ونفذتهـا بدقـة متناهيـة، ثـم يقـدم قـراءة فـي الـدور الـذي لعبتـه الحـرب الإلكترونيـة فـي دعـم قـوات الدفـاع الجـوي فـي تلـك الحـرب، وكـذا دور القـوات البحريـة فيهـا، وقوفًـا علـى تداعيـات الحـرب علـى نظريـة الأمـن الإسـرائيلي والتخطيـط العالمـي والتاريـخ العسـكري.

معركـــة رأس العـش: من بطـولات الصاعقة المصرية في حرب الاستنزاف

بـدأت مصر حرب الاستنزاف ضد إسرائيل على ثلاث مراحل في أعقاب نكسة 1967؛ أولها مرحلة الصمود (يونيو -1967أغسطس 1968) التي هدفت إلى سرعة إعادة البناء ووضع الهيكل الدفاعي للضفة الغربية لقناة السويس، مما تطلب هدوء الجبهة حتى توضع خطة الدفاع موضع التنفيذ بما تتطلبه من أعمال كثيرة وبصفة خاصة أعمال التجهيز الهندسي المطلوبة. يليها مرحلة الدفاع النشط (سبتمبر -1968فبراير 1969) والتي كان الغرض منها تنشيط الجبهة والاشتباك بالنيران مع القوات الإسرائيلية بغرض تقييد حركة قواتها في الخطوط الأمامية على الضفة الشرقية للقناة، وتكبيدها قدرًا من الخسائر في الأفراد والمعدات. يليها مرحلة التحدي والردع (مارس -1969أغسطس 1970) من خلال عبور بعض القوات والإغارة على القوات الإسرائيلية لتكبيدها أكبر قدر من الخسائر في الأفراد والمعدات، وتهيئة الجيش المصري عمليًا ومعنويًا للمعركة المنتظرة، لتصل حرب الاستنزاف إلى ذروتها في أكتوبر 1973، حيث الهجوم المفاجئ واقتحام قناة السويس وتحرير الأرض واستعادة سيناء. خلال هذة الفترة الزمنية، نفذت كم هائل من الأعمال البطولية لأفراد القوات المسلحة البواسل، ومنها معركة «رأس العش».

لواء أ.ح.م / عز الدين عبد الرحمن عوف

مستشار مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة،

بأكاديمية ناصر العسكرية العليا

أولًا: خلفيات المعركة

إن "رأس العـش" هـي قريـة صغيـرة تقـع جنـوب بورسـعيد بحوالـي 14كـم، سـميت سـلفًا البركـة، وهـي جـزء ضيـق يشـبه الـرأس، يحدهـا مـن الشـرق والغـرب قنـاة السـويس. تبـرز أهميـة المعركـة التـي دارت فيهـا كونهـا بدايـة انحصـار النكسـة، وهـي مـن تنفيـذ مجموعـة مـن ضبـاط وجنـود الصاعقـة، وهـي إحـدى معـارك حـرب 1967 فـي مرحلـة الصمـود، وأتـت فـي أعقـاب النكسـة مباشـرة، وإن تكللـت بالنصـر، ممـا أثـر إيجابًـا فـي نفـوس الجنـود.

دارت أحـداث تلـك المعركـة يـوم 1 يوليـو 1967 بالقـرب مـن ضاحيـة بـور فـؤاد، حيـن حاولـت قـوة مـن المدرعـات الإسـرائيلية احـتلال تلـك البقعـة، فتصدت لهـا الصاعقـة المصريـة، ممـا أشـعل شـرارة أسـفرت عـن انـدلاع حـرب شـاملة لاسـتنزاف العـدو علـى ضفتـي قنـاة السـويس طيلـة ثلاث سـنوات.

ففي 5 يونيـو 1967، تمكنـت إسـرائيل مـن احـتلال سـيناء عـدا مدينـة بورفـؤاد الواقعـة علـى الضفـة الشـرقية فـي مواجهـة بورسـعيد، وهـي المنطقـة الوحيـدة فـي سـيناء التـي لـم تحتلهـا إسـرائيل فـي أثنـاء حـرب يونيـو، وإن ظنـت إسـرائيل أنهـا قـد قضـت تمامًـا علـى مقاومـة الجيـش المصـري، فراحـت تعـد العـدة للتقـدم قاصـدة احـتلال بورفـؤاد وتهديـد ميناء بورسـعيد.

وفقًـا للـواء محمـد عبـد الغنـي الجمسـي رئيـس هيئـة العمليـات فـي أثنـاء حـرب أكتوبـر فـي مذكراتـه عـن معركـة "رأس العـش" أنـه في اليـوم الأول الـذي تولـى فيـه اللـواء "أحمـد إسـماعيل علـي" قيـادة الجبهـة فـي أول يوليـو 1967، وفـي السـاعات الأولـى مـن صبـاح 1 يوليـو 1967، وبعـد ثلاثـة أسـابيع مـن النكسـة، تقدمـت قـوة مدرعـة إسـرائيلية علـى امتـداد الضفـة الشـرقية لقنـاة السـويس مـن القنطـرة شـرقًا فـي اتجـاه الشـمال بغـرض الوصـول إلـى ضاحيـة بورفـؤاد المواجهـة لمدينـة بورسـعيد علـى الجانـب الآخـر للقنـاة، وعندمـا وصلـت القـوات الإسـرائيلية إلـى منطقـة رأس العـش جنـوب بورفـؤاد وجـدت قـوة مصريـة محـدودة مـن قـوات الصاعقـة المصريـة قوامهـا ثلاثـون مقاتلًا مزودين بالأسلحة الخفيفة، في حين تكونـت القـوة الإسـرائيلية مـن 10 دبابـات مدعمـة بقـوة مشـاة ميكانيكيـة فـي عربـات نصـف مجنـزرة، وحيـن هاجمـت قـوات الاحـتلال قـوة الصاعقـة المصريـة تصـدت لهـا الأخيـرة وتشـبثت بمواقعهـا بصلابـة وأمكنهـا تدميـر ثلاث دبابـات معاديـة.

فوجئـت القـوات الإسـرائيلية بالمقاومـة المسـلحة المصريـة التـي أنزلـت بهـا خسـائر كبيـرة؛ ممـا أجبرهـا علـى التراجـع جنوبًـا، إلـى أن عـاود الجيـش الإسـرائيلي الهجـوم مـرة أخـرى، لكنـه فشـل فـي اقتحـام الموقـع بالمواجهـة أو الالتفـاف مـن الجنـب، فدمـرت بعـض العربـات نصـف المجنـزرة وزادت خسـائره البشـرية؛ ممـا اضطـرت القـوة الإسـرائيلية للانسـحاب. وبعـد تلـك الهزيمـة، لـم تحاول إسـرائيل احـتلال بورفـؤاد، وظلـت في أيـدي القـوات المصريـة حتـى قيـام حـرب أكتوبـر 1973، فظلـت مدينـة بورسـعيد ومينـاؤهـا بعيديـن عـن التهديـد المباشـر لإسـرائيل.

ثانيًا: الصعوبات التي واجهتها القوات المصرية

دارت معركـة رأس العـش فـي ظـروف شـاقة بالغـة الصعوبـة بالنظـر إلـى اعتقـاد إسـرائيل فـي تراجـع الـروح المعنويـة للجيـش المصـري بعـد هزيمـة 1967، كمـا أن سلاح الجـو الإسـرائيلي كان يمتلـك السـيادة الجويـة المطلقـة فـوق المنطقـة، أمـا عـن القـوة الضاربـة (قـوات المدرعـات)، فقـد خرجـت القـوات المدرعـة الإسـرائيلية مـن حـرب يونيـو 1967 بتشـكيلاتها كاملـة، وعوضـت خسـائرها مـن الدعـم الغربـي المتواصـل فـي الوقـت الـذي خلـت فيـه منطقـة بورسـعيد وبورفـؤاد مـن الوحـدات المعاونـة، سـواء دبابـات أو مدفعيـة ميـدان أو مدفعيـة مضـادة للطائـرات أو وحـدات مهندسـين فيمـا عـدا فصيلـة الصاعقـة (30 فـردًا) علـى الضفـة الشـرقية.

وبالنظـر إلـى طبيعـة أرض المعركـة، فكانـت عبـارة عـن لسـان مـن الأرض مـوازٍ للقنـاة وسـط الميـاه لا يزيـد عرضـه علـى 70-60 متـرًا، علـى يمينـه قنـاة السـويس، وعلـى يسـاره منطقـة ملاحـات يصعـب الخـوض فيهـا، وكان هـذا اللسـان هـو الطريـق الوحيـد للوصـول إلـى بورفـؤاد الـذي يجـب المـرور فيـه، لا سـيما الجانـب الأقـرب للقنـاة باعتبـاره الجـزء الأصلـب مـن الأرض مـن ناحيـة، واتبـاع أسـلوب قتالـي يدفـع الجنـود الإسـرائيليين إلـى الالتفـاف والتطويـق لمحاصـرة العـدو بـدلًا مـن المواجهـة المباشـرة مـن ناحيـة ثانيـة. وتحسـبًا لذلـك، وزع الأفـراد علـى الموقـع ووضـع بعـض الأفـراد فـي المؤخـرة بمدافـع رشاشـة خفيفـة مـن الخلـف، بجانـب تمهيـد الأرض عسـكريًا.

حفـر كل جنـدي لنفسـه سـواتر ترابيـة ومـا يسـمى "حفـرة برميليـة"، وهـي حفـرة مسـتديرة قطرهـا نحـو 80 سـم بعمـق يسـمح للجنـدي بالنـزول فيهـا بحيـث لا يظهـر منـه إلا رأسـه وأكتافـه، ونظـرًا لغيـاب أدوات الحفـر أجـري الحفـر بشـكل يـدوي بسـونكي البندقيـة والدبشـك الحديـدي بشـكل مكشـوف بالعيـن المجـردة، ورغـم ذلـك أُرسـلت طائـرة اسـتطلاع صغيـرة (سـوبر بكـب) حلقـت فـوق مواقـع قـوات الصاعقـة علـى ارتفـاع شـديد الانخفـاض.

ولأن القـوات المصريـة لـم تكـن تملـك التجهيـزات المناسـبة لأعمـال القتـال الليليـة بالكفـاءة النهاريـة نفسـها، بـدأت القـوات الإسـرائيلية في فتـح نيرانهـا قبـل المغـرب بنحـو 10 دقائـق لاكتشـاف المـدى الـذي سـتصل إليـه لتحديـد موقـع القـوات المصريـة بدقـة قبـل توجيـه نيـران دباباتهـا، بيـد أن المقاتليـن المصرييـن الذيـن لا يتعـدون 30 مقاتـلًا نجحـوا فـي تعطيـل القـوات الإسـرائيلية لمـدة 23 سـاعة إلـى أن سـكتت نيرانهـا قبـل أن تسـتخدم القذائـف الفسـفورية لإضـاءة أرض المعركـة، وهـي طلقـات

حارقة إن أصابت الجلد تسببت في حروق بالغة من الدرجة الأولى، وإن أصابت الثياب جعلت من المقاتل هدفًا سهلًا بعد أن تجعله مميزًا وواضحًا وسط الظلام. ورغم ذلك، عجزت القوات الإسرائيلية عن احتلال المدينة وانسحبت. وفي الساعة الثانية صباحًا، أجرى الرئيس الراحل "جمال عبد الناصر" اتصالًا تليفونيًا مباشرًا بالموقع؛ حيث أبلغ قائد القوة بترقية جميع المقاتلين في الضفة الشرقية للدرجة الأعلى ومنحهم نوط الشجاعة، وحثهم على ألا يسمحوا بمرور القوات الإسرائيلية إلى بورفؤاد على الإطلاق.

ثالثًا: النتائج الاستراتيجية للمعركة

الجدير بالذكر أن احتلال مدينة بورفؤاد سيحولها إلى قاعدة تمكن القوات الإسرائيلية من السيطرة على مدينة بورسعيد والقاعدة البحرية الموجودة بها لتصبح في مرمى نيران دباباته وهاوناته والأسلحة الصغيرة لعناصر المشاة المتمركزة في مدينة بورفؤاد ومن مسافات قريبة في حدود تتراوح بين 500-400 متر. ولذا، فإن معركة رأس العش مكنت قواتنا البحرية من الاحتفاظ بقاعدتها البحرية في بورسعيد طوال سنوات حرب الاستنزاف وفي أثناء حرب أكتوبر 1976؛ مما مهد الطريق لإغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات. كما رفعت مخرجات المعركة من الروح المعنوية للقوات المصرية والشعب المصري في أعقاب النكسة، وحرمت إسرائيل من استكمال احتلال سيناء والضفة الشرقية لقناة السويس، واحتفظت مصر برأس جسر فيهما؛ مما لعب دورًا مهمًا في الهجوم على المواقع الإسرائيلية شمال القنطرة شرق إلى الكيلو 10.

ويمكن القول إن مدينتي بورفؤاد وبورسعيد تجنبا دمارًا شاملًا محققًا إن خضعتا للاحتلال؛ مما يعني عدة ملايين لإعادة الإعمار. كما قلصت معركة رأس العش من الخسائر البشرية المحتملة بين المدنيين والعسكريين نتيجة الاشتباكات وعمليات سلاح الجو الإسرائيلي المحتملة ضد مدينة بوسعيد. كما أن مصر تجنبت في إطار الخطط الهجومية لحرب أكتوبر 1973 تنفيذ عمليات هجومية لاسترداد مدينة بورفؤاد وتحريرها من القوات الإسرائيلية وكذا القتال داخل المدينة في معارك عنيفة وشرسة ترتفع تكلفتها في ظل ارتفاع تكلفة القتال في المدن.

ختامًا، جنبت معركة رأس العش مصر خسائر مهولة على الصعيدين المادي والبشري. فرغم التطور التكنولوجي والعسكري الهائل، فإن الفرد المقاتل لا يزال وسيظل هو العنصر الرئيس في أعمال القتال، فلا قيمة لأي معدة أو سلاح مهما كان تطورها دون الفرد المقاتل. ولقد استبسلت قوات الصاعقة المصرية في تلك المعركة؛ حتى أصبحت تدرس في كثير من المدارس العسكرية في العالم، بالنظر لفارق القوة والعتاد والعدد بين الطرفين، ورغم ذلك أجبرت القوات المصرية قوة تعادل ثلاثة أضعافها وهي مدججة بالمدرعات والأسلحة على الانسحاب. وعليه، أخذت القوات المسلحة على عاتقها مهمة تطوير الفرد المقاتل وإعادة تنظيم وحدات الصاعقة لتنفيذ أي مهام مستقبلًا سواء داخل مصر أو خارجها.

اقتصـاد العبـور: كيف أدارت مصـر مواردها الاقتصادية حتى حرب 1973؟

تترك الحروب بصماتها على مختلف الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، كونها تسبب دمارًا للأصول والبنى التحتية والأرواح البشرية، وتؤثر سلبًا في الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي؛ نتيجة تعطل الحياة اليومية وتغير أوجه الأنشطة الاقتصادية التي تأخذ منحى بعيدًا عن وضعها الطبيعي خلال فترات الحروب والصراعات المسلحة، نتيجة لدخول البلاد في مرحلة "اقتصاد الحرب" الذي يتعين عليها فيها تحقيق التوازن بين اقتصاد التنمية واقتصاد الحرب (أي المواءمة بين الأهداف التنموية ونظيرتها العسكرية). ففي وقت الحروب، تتجه الدول إلى تعبئة مواردها الاقتصادية كالعمالة ورؤوس الأموال والمواد الخام والطاقة لتلبية إنفاقها الدفاعي والعسكري، وهو ما يخلف ارتدادات سلبية من الناحية الاجتماعية نتيجة معضلة "ندرة الموارد" الناتجة عن عدم كفاية الموارد المتاحة لتلبية الاحتياجات المتزايدة باضطراد؛ مما يدفع الدول للتخلي عن مستهدفاتها التنموية والاجتماعية الخاصة بالتعليم والصحة والبنية التحتية من أجل تمويل إنتاج المُعدات والأسلحة والذخيرة وتمويل احتياجات جيشها الوطني.

أ. بسنت جمال

باحث أول بوحدة الدراسات الاقتصادية وقضايا الطاقة

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

وقد شهد العالم على مدار التاريخ العديد من الحالات التي لجأت فيها الدول لتطبيق أدوات اقتصاد الحرب؛ مثل: الحربين العالميتين الأولى والثانية، وحرب فتنام، والحرب الكورية، والحرب الروسية-الأوكرانية، إلا أن الدراسة الآتية ستركز على حرب أكتوبر 1973 كنموذج لاقتصاد الحرب، حيث شهد الاقتصاد المصري حينذاك إجراءات تقشفية تتمثل في خفض الإنفاق الاستهلاكي وتأجيل تنفيذ المشروعات الاستثمارية طويلة الأجل، وحشد الدعم الشعبي من خلال طرح أوراق الدين في الأسواق المالية أو زيادة الضرائب. ولهذا، يُعتبر السلاح الاقتصادي أحد الأسلحة التي مكنت الدولة المصرية من الصمود عقب هزيمة 1976 وحتى نصر أكتوبر 1973.

أولًا: التأطير النظري لمفهوم «اقتصاد الحرب»

تشير الأدبيات إلى أن مفهوم «اقتصاد الحرب» (War Economy) يعود إلى الحرب الأهلية الأمريكية (1865-1861) حين اضطرت الحكومة إلى اللجوء للاقتراض وطباعة المزيد من النقود لتلبية الالتزامات المالية للحرب وتمويل الإنفاق الدفاعي [1]، إلا أن المفهوم قد ظهر بشكل مباشر ورسمي في الأوساط السياسية خلال الحرب العالمية الثانية في خطاب الرئيس الأمريكي «فرانكلين روزفلت» حينما أشار إلى حتمية تحول الولايات المتحدة لقوة عسكرية دائمة مبنية على أسس اقتصاد الحرب [2]. ومنذ ذلك الحين، حاول الاقتصاديون صياغة تعريف علمي لمفهوم اقتصاد الحرب حتى قدم العالم «فيليب لو بيلون» إسهامًا علميًا بطرح تعريف بات هو الأكثر استخدامًا في الأوساط الأكاديمية حتى الوقت الحالي، حيث عرف اقتصاد الحرب بأنه «وضع نظام لإنتاج الموارد وتعبئتها وتخصيصها لدعم المجهود الحربي»، أو «عملية تعبئة وحصر كل الموارد المحلية المادية والبشرية المتاحة، وإعادة توزيع استخدامها، بحيث يخصص الجانب الأكبر منها لخدمة المجهود الحربي للدولة»، أو «تنظيم القدرة الإنتاجية والتوزيعية للدولة خلال فترة الحرب والصراعات إلى جانب إجراء تعديلات جوهرية على هيكل الإنتاج لاستيعاب احتياجات الإنتاج الدفاعي» [3].

ويعني ذلك أن اقتصاد الحرب هو تنظيم القدرة الإنتاجية والتوزيعية للدولة في أثناء الحروب مع إعادة ترتيب أولوية تخصيص مواردها من أجل تحقيق النصر العسكري بالتوازي مع محاولة تلبية احتياجات المستهلكين المحليين؛ أي: أنه مجموعة التدابير التي تتخذها الدولة خلال الحروب أو عند اندلاع الأزمات والنزاعات الداخلية، والمتمثلة في اعتماد نظام إنتاجي يعمل على ترشيد استخدام الموارد الاقتصادية لضمان استدامتها مع إجراء تغيير بنيوي على هيكل الاقتصاد المحلي من خلال تخصيص جزء من الموارد لتلبية نفقات الحرب والتسلح ودعم القوات المسلحة مقابل خفض الإنفاق العام على الخدمات الاجتماعية والاقتصار على توفير الاحتياجات الضرورية والأساسية للمواطنين.

ويُنظر إلى التعريف المذكور أعلاه على أنه المفهوم التقليدي لاقتصاد الحرب والقائم على تحقيق التوازن بين الحاجة إلى تحقيق الأهداف العسكرية والتأثيرات الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على ذلك، إلا أن هذا التعريف قد تطور مع التقدم التكنولوجي الذي شهده العالم؛ إذ لم يعد مقصورًا على إعادة تخصيص الموارد الطبيعية والبشرية المُتاحة لصالح الإنتاج الدفاعي فحسب، بل أصبح يشمل استخدام التكنولوجيا والصناعات الإلكترونية والذكاء الاصطناعي وزيادة البحث والتطوير في مجالات الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات والفضاء لتحقيق الأهداف العسكرية [4]. **ومما سبق يتضح أن أدوات الدولة لإدارة اقتصاد الحرب تتمثل فيما يلي:**

1. إعلاء الإنفاق الدفاعي على نظيره الاجتماعي:

تلجأ الحكومات عادة في أوقات الصراع إلى إعطاء الأولوية للإنفاق الموجه لإنتاج الأسلحة والذخيرة بدلًا من توجيه مواردها إلى الصحة والتعليم والإسكان والبنية الأساسية نظرًا لتزايد احتمالية تأثير الحرب في حجم الموارد المالية المُتاحة بضغط من تدمير وقصف المنشآت والبنية التحتية، وتوقف العملية الإنتاجية لبعض الصناعات، علاوة على اضطراب الأنشطة التصديرية أو الأنشطة المدرة للدخل بشكل عام؛ مما يدفع الحكومات لترشيد استهلاك الموارد وإعادة توجيهها للأنشطة التي تضمن لها تحقيق النصر العسكري. ويُمكن الاستدلال على ذلك بالسلوك الروسي خلال الحرب الروسية-الأوكرانية التي دفعت البلاد لرفع الإنفاق الدفاعي إلى 13.2 تريليون روبل (142 مليار دولار) في موازنة عام 2025 مقابل المستوى المسجل 10.4 تريليونات روبل عام 2024، وهو ما يمثل نحو 6.2% من الناتج المحلي الإجمالي لروسيا، و40% من إجمالي نفقات الموازنة متجاوزًا بذلك المخصصات المالية الموجهة لقطاعي الصحة والتعليم [5].

2. السياسة المالية التشددية:

تذهب الدول وقت الحروب لتطبيق سياسة مالية انكماشية عبر رفع معدلات الضرائب المفروضة على الدخل أو أرباح الشركات لتمويل نفقاتها العسكرية وتلبية احتياجات الأمن القومي، وضمان ضخ مستوى مستدام من الأموال للمنظومة الدفاعية. من ناحية أخرى، قد تلجأ الحكومة إلى الاستدانة من شعبها من خلال إصدار المزيد من أوراق الدين (السندات - أذون الخزانة) بفائدة منخفضة نسبيًا يتم استردادها عقب انتهاء الحرب. وقد طبقت الولايات المتحدة هذه الأداة خلال عامي 1950 و1951 حينما رفع الكونجرس الضرائب بنحو 4% من الناتج المحلي الإجمالي لسداد تكاليف الحرب الكورية، على الرغم من استمرار سريان معدل الضرائب المرتفعة التي تم فرضت خلال الحرب العالمية الثانية، وهي الفترة التي

شـهدت تضاعـف الإيـرادات الفيدراليـة ثلاث مـرات تقريبًا كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي بسبب زيـادة عـدد المواطنيـن الخاضعيـن لضريبـة الدخـل بنحـو عشـرة أضعـاف، مـن 3% مـن إجمالي السـكان عـام 1939 إلـى 30% عـام 1943 [6]. وفـي حربهـا علـى أوكرانيـا، اسـتخدمت روسـيا الأداة نفسـها لزيـادة إيراداتهـا الماليـة حيـث رفعـت معـدل الضرائـب علـى الدخـل بنسـبة 14% وضريبـة الأربـاح علـى الشـركات بنسـبة 25% خلال عـام 2023 [7].

3. التدخل الحكومي في الأنشطة الاقتصادية:

تشـمل خطـة التعبئـة الاقتصاديـة للحكومـات وقـت الحـروب إحـكام قبضـة الدولـة علـى النشـاط الاقتصـادي والسـيطرة علـى المـوارد المُتاحـة وإلـزام الشـركات والمصانـع بإدخـال تغييـرات رئيسـية علـى الهيـاكل الإنتاجيـة بمـا يتناسـب مـع خطتهـا لإدارة الحـرب، فمـن الممكـن إعـادة توجيـه أهـداف القطـاع الزراعـي لتأميـن إمـداد المواطنيـن والقـوات المسـلحة بالاحتياجـات الغذائيـة اللازمـة مـع الاسـتغناء عـن السـلع الغذائيـة الكماليـة، وتحقيـق الاكتفـاء الذاتـي، والحفـاظ علـى هامـش تصديـري للمنتجـات الزراعيـة، كمـا يُمكـن اتخـاذ قـرار بتحويـل الصناعـات المدنيـة إلـى الصناعـات العسـكرية اللازمـة لدعـم القـوات المسـلحة. وخلال الحـرب العالميـة الأولـى، وسـعت الولايـات المتحـدة مـن صلاحياتهـا الحكوميـة مـن خلال توجيـه المزارعيـن بزيـادة إنتـاج الحبـوب والمحاصيـل الزراعيـة الاسـتراتيجية، وإنشـاء مجلـس الصناعـات الحربيـة (The War Industries Board-WIB) لزيـادة الإنتـاج الدفاعـي وتخصيـص المـوارد للمجهـود الحربي، بمـا في ذلـك النحـاس والمطـاط والنفـط، ومنـح عقـود الدفـاع لصالـح الشـركات المدنيـة، وتحفيـز الإنتـاج العسـكري بيـن أصحـاب الأعمـال المدنييـن [8]. فيمـا توسـعت ألمانيـا خلال الحـرب العالميـة الثانيـة في بنـاء المصانـع الجديـدة لتلبيـة متطلبـات التوسـع العسـكري، حيـث تمكنـت مـن ربـط مفهومـي الدفـاع والمـوارد الاقتصاديـة باعتبارهـا عنصـرًا حاسـمًا لتعزيـز الأمـن الوطنـي خلال سـنوات مـا بيـن الحربيـن العالميتيـن [9].

4. التمويل التضخمي:

تتجـه الحكومـات إلـى خيـار طباعـة النقـود لتمويـل الإنفـاق الدفاعـي كبديـل أيسـر مـن فـرض المزيـد مـن الضرائـب، وهـو مـا يُعـرف بالتمويـل التضخمـي حيـث تضطـر الـدول إلى إصـدار المزيـد مـن العـملات الورقيـة دون غطـاء لتمويـل الزيـادة فـي الإنفـاق الحكومـي بـدون الأخـذ فـي الاعتبـار انعكاسـات تلـك الخطـوة علـى قيمـة العملـة المحليـة ومعـدلات التضخـم التـي ترتفـع عـادة في أوقـات الحـروب نتيجـة لنقـص المعـروض مـن السـلع. فعلـى سـبيل المثـال، اضطـرت الولايـات المتحـدة اللجـوء لخيـار طباعـة النقـود خلال الحـرب الأهليـة؛ ممـا أفضـى إلـى زيـادة المعـروض النقـدي خلال الفتـرة 1861 إلـى 1864 بنحـو 10 أضعـاف [10].

5. التجنيد الإجباري:

تسـتغل الـدول خلال الحـروب مواردهـا البشـرية مـن خلال اسـتدعاء العمالـة المدنيـة للخدمـة في القطـاع العسـكري؛ ممـا يؤثـر سـلبًا علـى عـرض العمالـة واسـتقرار سـوق العمـل، وقـد تجلـى هـذا الاتجـاه بوضـوح خلال الحـرب الروسـية-الأوكرانيـة حيـن قـررت أوكرانيـا خفـض سـن التجنيـد للرجـال مـن 27 عامًـا إلـى 25 عامًـا، وإلغـاء بعـض الإعفـاءات مـن التجنيـد؛ ممـا أضـاف حوالـي 50 ألـف جنـدي جديـد للجيـش الأوكرانـي [11]، ومـن ناحيـة أخـرى وقـع الرئيـس الروسـي «فلاديميـر بوتيـن» مرسـومًا فـي مـارس 2024 باسـتدعاء 150 ألـف مواطـن للخدمـة العسـكرية القانونيـة وذلـك بعدمـا اسـتدعى 130 ألـف شـخص فـي سبتمبر 2023، كما صوّت مجلس النواب الروسي علـى رفـع الحـد الأقصـى لسـن تجنيـد الرجـال إلـى 30 عامًـا بـدلًا مـن 27 عامًـا، وقـد دخـل التشـريع الجديـد حيـز التنفيـذ فـي الأول مـن يناير 2024 [12].

ثانيًا: اقتصاد الحرب في مصر.. حرب أكتوبر 1973 نموذجًا

واجـه الاقتصـاد المصـري خسـائر فادحـة نتيجـة لهزيمـة 1967، بلغـت حوالـي 11 مليـار جنيـه مصري (أي مـا يُعـادل 25 مليـار دولار بسـعر الصـرف المسـجل فـي هـذه الفتـرة عنـد 2.3 دولار)، وفقًـا لتقديـرات رئيـس الـوزراء الأسـبق «عزيـز صدقـي»، كمـا خسـرت الدولـة نحـو 80% مـن معداتهـا العسـكرية؛ ممـا ضاعـف احتياجاتهـا الماديـة لشـراء معـدات بديلـة، إلـى جانـب الخسـائر المسـجلة في إيـرادات قنـاة السـويس عنـد حوالـي 95.3 مليـون جنيـه، وخسـارة آبـار البتـرول فـي سـيناء، فيمـا بلغـت الخسـائر الناجمـة عـن قصـف إسـرائيل لمنشـآت قنـاة السـويس مـا يقـرب مـن مليـار جنيـه (أي 2.3 مليـار دولار). كمـا فقـد الاقتصـاد المصـري جـزءًا مهمًـا مـن الإيـرادات السـياحية تُقـدر قيمتـه بحوالي 37 مليـار جنيـه سـنويًا، بالإضافـة إلـى تدمير 17 منشـأة صناعيـة كبـرى بخسـائر 169.3 مليـون جنيـه (389.4 مليـون دولار) [13]. وكنتيجـة لتلـك الخسـائر، كان لا بـد وأن تدخـل الدولـة المصريـة مرحلـة اقتصـاد الحـرب خلال الفتـرة مـن 1967 حتـى 1973، وذلـك مـن خلال تطبيـق الأدوات الآتيـة:

1. زيادة الإنفاق العسكري:

اعتمـدت الدولـة المصريـة موازنـة عـام 1973 تحـت مسـمى «موازنـة الحـرب» أو «موازنـة المعركـة»، والتـي أعلنهـا رئيـس الـوزراء المصـري آنـذاك «عزيـز صدقـي» فـي فبرايـر مـن العـام نفسـه لتسـتهدف توفيـر التمويـل اللازم لاحتياجـات القـوات المسـلحة مـن الأدوات الطبيـة والمـواد الغذائيـة حـال قيـام الحـرب، وتأجيـل تنفيـذ المشـاريع التنمويـة طويلـة المـدى، وإجـراء تخفيـض جديـد فـي أنـواع الإنفـاق فـي الدوائـر الحكوميـة والقطـاع العـام، بمـا فـي ذلـك تخفيـض اعتمـادات السـفر والمـواصلات، ونفقـات الأعيـاد والمواسـم. ولـم يقـف الأمـر عنـد ذلـك الحـد، ففـي مـارس مـن العـام نسـه، اتخـذت الحكومـة إجـراءات جديـدة اسـتعدادًا للحـرب عبـر خفـض مخصصـات الميـاه والإنـارة والنقـل سـواء بالسـكك الحديديـة أو وسـائل النقـل الأخـرى بنسـبة 10%، وخفـض الاعتمـادات المخصصـة للأعيـاد

والمواسم بنسبة 75%، ومراجعة مخصصات الصيانة لمرافق وزارات الري والإسكان والبترول وهيئة البريد، وإعادة النظر في مختلف المشروعات الاستثمارية الواردة في موازنة 1973، مع تأجيل أي مشروعات لا تخدم أهداف المعركة [14]. **ويُبين الشكل الآتي تطور الإنفاق العسكري في مصر منذ عام 1966 حتى 1975:**

الشكل (1): الإنفاق العسكري المصري (1966 - 1975)

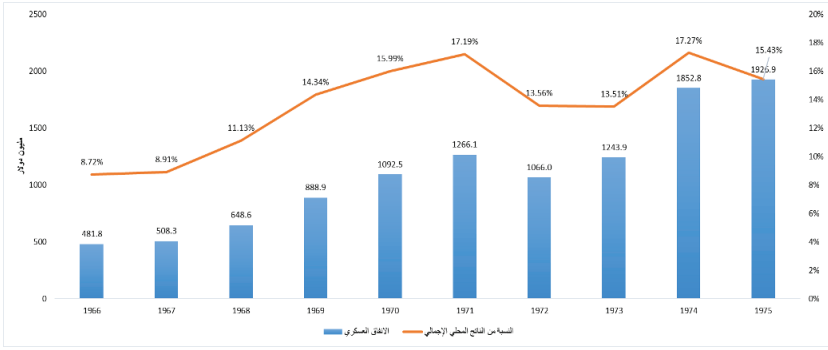

Source: Stockholm International Peace Research Institute, SIPRI Military Expenditure Database

يُبين الشكل أعلاه أن السياسة الاقتصادية المصرية خلال فترة ما بين الحربين (1967 - 1973) تميزت بإعطاء أولوية للاستثمارات الدفاعية والإنفاق الدفاعي مقارنة بكل أنواع الإنفاق الأخرى. فمنذ عام 1966 حتى عام 1973، ارتفع الإنفاق العسكري المصري من 481.8 مليون دولار إلى 1.243 مليار دولار بنسبة زيادة تبلغ حوالي 158.4%، كما ارتفعت نسبة الإنفاق العسكري من الناتج المحلي الإجمالي من 6.68% إلى 13.51%.

2. السياسات الاقتصادية الانكماشية:

اتبعت الدولة سياسة اقتصادية انكماشية خلال الأعوام التالية لهزيمة 1967 وحتى نصر أكتوبر 1973، وذلك عبر تطبيق ثلاث أدوات رئيسية، تمثلت الأولى: في رفع أسعار السلع الكمالية وفرض الضرائب غير المباشرة، والثانية: في خفض الدخول بزيادة أو فرض ضرائب مباشرة جديدة إلى جانب الحد من الترقيات في القطاع الحكومي، والثالثة: في خفض الاستثمار المحلي الإجمالي عدا الموارد الادخارية المتاحة. ونتيجة لذلك، ارتفعت الإيرادات الضريبية من الضرائب غير المباشرة والتعريفات الجمركية من 442.5 مليون جنيه عام 1970 إلى 574.7 مليون جنيه عام 1973، لترتفع نسبتها بذلك من إجمالي الإيرادات الضريبية من 63.4% إلى 69.1%، مقابل تسجيل الضرائب المباشرة مستوى يبلغ حوالي 257.5 مليون جنيه عام 1973، أي ما يعادل 30.9% من الإيرادات الضريبية في ذلك العام [15]. إلى جانب ذلك، حافظ الشعب المصري على ودائعه في المصارف التجارية خلال فترة ما بين الحربين؛ مما أسهم ذلك في دعم واستقرار القطاع المصرفي. لذا، ارتفع إجمالي الودائع بالبنوك إلى 400 مليون جنيه، بينها 27 مليون جنيه شهادات استثمار عائلي [16].

3. الاعتماد على الدعم الشعبي:

طرح القطاع المصرفي المصري العديد من الأوعية الادخارية الاستثمارية خلال الفترة بين 1967 و1973، حيث ارتفعت قيمة سندات الخزانة من 164 مليون جنيه خلال العام المالي 1959/1960 إلى ما يقرب من 375 مليون جنيه في 1969/1970، ليصل إلى 459 مليون جنيه عام 1972، كما طُرح ما يُعرف باسم "سندات الجهاد"، تحت شعار "شارك في ملحمة النضال الوطني"، بفائدة تبلغ 4.5% سنويًا معفاة من الضرائب لمدة عشر سنوات، وتضمنت فئاتها المالية: 50 قرشًا، جنيهًا واحدًا، 5 جنيهات، 10 جنيهات، 100 جنيه. فيما بلغت حصيلتها نحو 7 ملايين جنيه مصري خصصت لاحتياجات القوات المسلحة والأمن القومي ولتلبية الإنفاق الدفاعي المتزايد بوتيرة مستمرة [17].

4. زيادة المعروض النقدي:

اضطرت الدولة المصرية إلى تمويل جزء من إنفاقها العسكري -إلى جانب فرض الضرائب وطرح سندات في الأسواق المالية- من خلال طباعة المزيد من النقود، وهو الأمر الذي أسهم في رفع معدلات التضخم من 0.7% خلال عام 1967 إلى 5.11% خلال عام 1973. وفي هذا الشأن، حاولت الحكومة مجابهة الموجة التضخمية من خلال تطبيق سياسات التسعير الإجباري للسلع الأساسية حتى عام 1973، حيث أدارت الدولة الأسعار بجميع القطاعات الاقتصادية الرئيسة مثل المنتجات الزراعية والصناعية والسكنية، إلا إنها بدأت بعد انتهاء الحرب في التخلي عنها تدريجيًا ليرتفع معدل التضخم إلى 10.02% خلال 1974، و9.67% خلال 1975، **كما يُبين الشكل التالي:**

الشكل (2): معدل التضخم المصري (1966 - 1975)

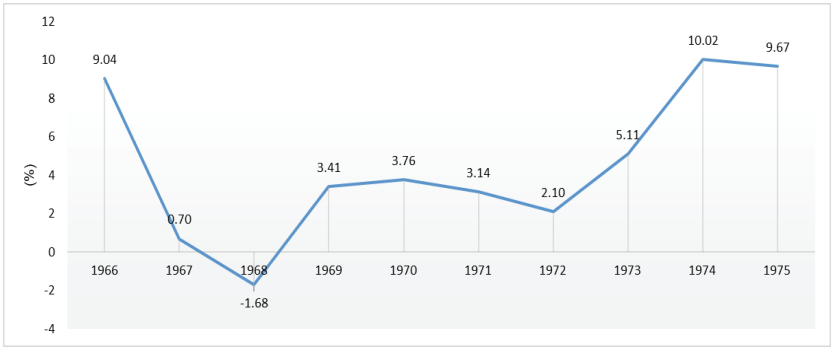

(% Source :World Bank, Inflation, consumer prices (annual

5. تطبيق سياسة الإحلال محل الواردات:

اتخذت الدولة المصرية مجموعة من التدابير والإجراءات الطارئة بغرض الحفاظ على رصيد الاحتياطي النقدي من العملات الأجنبية خلال الفترة من 1967 إلى 1973، وذلك من خلال إعادة النظر في خطط الاستيراد والتصدير لمعالجة العجز في الميزان التجاري، وزيادة الاعتماد على المنتج المحلي، وتطبيق ما يُعرف باسم "سياسة الإحلال محل الواردات" الرامية لإقامة قاعدة صناعية متكاملة، والوفاء باحتياجات السوق المحلية في فترات الحروب والكساد، وخفض مستويات العجز في الميزان التجاري وتقليل فاتورة الاستيراد نتيجة لإحلال السلع الصناعية المحلية محل مثيلتها المستوردة، وخلق فرص عمل جديدة [18] . عطفًا على ذلك، أوقفت الحكومة استيراد السلع الكمالية أوائل عام 1972، بما في ذلك الملابس والأقمشة الفاخرة، وأجهزة التليفزيون والراديو والسجائر والأجهزة المنزلية والسجاد الفاخر، ورفعت الرسوم الجمركية على السلع الكمالية المستوردة للاستخدام الشخصي بنسبة 50%، واقتصرت تجارة الجملة للسلع الأساسية على القطاع العام بهدف منع التلاعب في أسعارها وضمان وصولها إلى المواطن المصري بأسعار مقبولة [19] .

6. زيادة الاستهلاك الحكومي:

أدى الدور الأوسع للدولة في النشاط الاقتصادي بين حربي 1967 و1973 إلى زيادة الاستهلاك الحكومي ليسجل معدلات مرتفعة من 488 مليون جنيه عام 1967 ليبلغ نحو 1.077 مليار جنيه عام 1973، بنسبة نمو تبلغ 120.7% أو 20.1% سنويًا خلال تلك الفترة، وذلك مقارنة مع متوسط نمو الاستهلاك الحكومي خلال الفترة 1960-1966 البالغ نحو 18.7%، رغم ما شهدته تلك الفترة من زيادة في مشروعات القطاع العام وإقامة بعض مشروعات البنية الأساسية. وفي المقابل، بلغ متوسط معدل الاستهلاك الخاص بين الحربين نحو 7.6%، وهو مستوى أقل من نظيره المسجل خلال الفترة 1960 - 1966 عند 10.4% سنويًا، ويرجع ذلك إلى زيادة الأعباء الضريبية، وزيادة معدل التضخم وتراجع القوة الشرائية للجنيه المصري؛ مما ألقى بظلاله على النمط الاستهلاكي للشعب المصري [20] .

7. المساعدات العربية:

كان المصدر الأساسي للمعونات المقدمة إلى مصر في السنوات التالية لحرب 1967 هو البلاد العربية، حيث استطاعت القاهرة أن تؤمن منح ومساعدات من السعودية والكويت وليبيا قدرت في المتوسط بنحو 286 مليون دولار سنويًا، وجاءت تلك المساعدات لتعويض النقص في المعونات الخارجية والغربية في ظل توقف المساعدات الأمريكية تمامًا في فبراير1967، ومواجهة الآثار الاقتصادية المترتبة على إغلاق قناة السويس، ونقص إيرادات السياحة، وتدمير المنشآت والمصانع، وتزايد نفقات توطين المهجرين من منطقة القناة، إلى جانب ارتفاع الإنفاق العسكري وتسديد دفعات الديون المستحقة على الاقتصاد المصري في السنوات التالية لحرب 1967 [21] .

وكنتيجة لزيادة الإنفاق الدفاعي، والحصيلة الضريبية، والاعتماد على المنتج المحلي بدعم من تعزيز القاعدة التصنيعية، استطاع الاقتصاد المصري أن ينتقل من منطقة الانكماش إلى النمو، حيث سجل معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي نحو 3.5% خلال عام 1973 مقابل انكماشه بنسبة 1.6% عقب هزيمة 1967 بعامٍ واحدٍ [22] .

ختامًا، تلعب الموارد الاقتصادية دورًا فعالًا في أوقات الحروب والنزاعات؛ إذ يُساعد استغلالها بالشكل الأمثل في منع انزلاق اقتصاد الدول المتحاربة إلى الانكماش والركود، كما أنها تُساعد في إعداد الدول وتأهيلها لخوض المعارك في حالة اقتصادية معقولة، وهي الحالة التي تنطبق على الاقتصاد المصري خلال حرب أكتوبر 1973، حيث تعتبر الإدارة الحكيمة للموارد المُتاحة ووجود حالة من المرونة الاقتصادية لتغيير أوجه الإنفاق الحكومي أحد العوامل التي مكنت الدولة المصرية من تحقيق نصر أكتوبر على الرغم من ارتفاع الخسائر الاقتصادية الناجمة عن هزيمة 1967 كفقدان عائدات آبار البترول وإيرادات قناة السويس والسياحة.

المصـــــــادر

1. Peter A. Coclanis, The American Civil War in Economic Perspective: Basic Questions and Some Answers, Southern Cultures, Vol. 2, No. 2, 1996, pp. 163-175.
2. Center for Political Thought and Leadership, Franklin Roosevelt, Addresses on World War II, Center for political thought and leadership, 29 December 1940, Available at: https://civics.asu.edu/sites/default/files/2021-06/Q105%2C%20FDR%20on%20WWII-%20Arsenal%20of%20Democracy%2C%20Pearl%20Harbor%2C%20War%20w%20Japan_CPTL.pdf
3. Philippe Le Billon, The Political Economy of War: What Relief Agencies Need to Know, Humanitarian Practice Network, July 2000, Available at: https://www.files.ethz.ch/isn/97205/networkpaper033.pdf
4. جمال عبد الرحمن العقاد، اقتصاد الحرب.. محفز ابتكاري في تطوير الاقتصاد المدني، صحيفة المال، 23 نوفمبر 2023، مُتاح على: https://shorturl.at/4CDJM
5. Russia to Boost Military Spending to 40% of State Budget in 2025, The Moscow Times, 24 September 2024, Available at: https://www.themoscowtimes.com/2024/09/24/russia-to-boost-military-spending-to-40-of-state-budget-in-2025-bloomberg-a86450
6. Bruce Bartlett, The Cost of War, Forbes, 11 July 2012, Available at: https://www.forbes.com/2009/11/25/shared-sacrifice-war-taxes-opinions-columnists-bruce-bartlett.html
7. Ekaterina Kurbangaleeva, Russia Turns to Tax Hikes, Other Measures to Fund Its War, Carnegie Endowment for International Peace, 7 June 2024, Available at: https://carnegieendowment.org/russia-eurasia/politika/2024/06/russia-war-economy-money?lang=en
8. Randall B. Kester, The War Industries Board, 1917-1918; A Study in Industrial Mobilization, The American Political Science Review, Vol. 34, No. 4, 1940, pp. 655-684.
9. Richard Overy, Guns or Butter? Living Standards, Finance, and Labour in Germany, 1939–1942, In: War and economy in the Third Reich (United Kingdom: Oxford University Press, March 1994).
10. The Power of Money, Federal Reserve Bank of St. Louis, 2009, Available at: https://www.stlouisfed.org/annual-report/2009/the-power-of-money
11. Hanna Arhirova& Samya Kullab, Ukraine lowers its conscription age to 25 to replenish its beleaguered troops, The Associated Press, 3 April 2024, Available at: https://apnews.com/article/russia-ukraine-war-conscription-mobilization-251058a942a253f3eaec2c53373adf03
12. Russia's Putin signs decree on spring military conscription, CNBC, 31 March 2024, Available at: https://www.cnbc.com/2024/03/31/russias-putin-signs-decree-on-spring-military-conscription.html#
13. أحمد السيد النجار، كيف قاتلت مصر على جبهة الاقتصاد من يونيو 1967 إلى أكتوبر 1973، الأهرام، 6 أكتوبر 2014، مُتاح على: https://gate.ahram.org.eg/daily/NewsPrint/329596.aspx
14. أحمد بيومي، بسنت جمال، إدارة الصمود الاقتصادي بين الهزيمة والنصر، في: موسوعة حرب أكتوبر كيف حققت مصر الانتصار. حرب الاستنزاف... الطريق إلى نصر أكتوبر (القاهرة: المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، يناير 2024).
15. Ahmed Al-Naggar, Egypt's economic battle from June 1967 to October 1973, Ahram Online, October 2014, Available at: https://english.ahram.org.eg/NewsContent/4/0/112815/Opinion/-Egypt%E2%80%99s-economic-battle-from-June--to-October-.aspx
16. أحمد بيومي، بسنت جمال، إدارة الصمود الاقتصادي بين الهزيمة والنصر، مرجع سبق ذكره.
17. وليد عبد السلام، "سندات الجهاد" شهادات استثمارية لدعم المجهود الحربي في 1973 بفايدة 4.5، جريدة الوطن، 7 أكتوبر 2021، مُتاح على: https://www.elwatannews.com/news/details/5733841
18. Ezzat Molouk Kenawy, The Economic Development in Egypt during the 1952-2007 Period, Australian Journal of Basic and Applied Sciences, Vol.3, No.2, 2009, pp. 588-603.
19. أماني فوزي الجندي، " الاقتصاد المصري بين نكسة 1967 وانتصار 1973"، السياسة الدولية، 3 أكتوبر 2023، مُتاح على https://www.siyassa.org.eg/News/19693.aspx.
20. أحمد السيد النجار، كيف قاتلت مصر على جبهة الاقتصاد من يونيو 1967 إلى أكتوبر 1973، مرجع سبق ذكره.
21. جلال أمين، قصة الاقتصاد المصري من عهد محمد علي لعهد مبارك (القاهرة: دار الشروق، 2012)، ص ص. 66-58.
22. كيف كان أداء اقتصاد مصر منذ النكسة حتى حرب أكتوبر؟، اقتصاد الشرق، 24 نوفمبر 2021، مُتاح على https://asharqbusiness.com/economics/13424/%D8/

خطة الخداع الاستراتيجي في حرب أكتوبر 1973: عبقرية التخطيط ودقة التنفيذ

تُعرف خطط "الخداع الاستراتيجي" في العلوم العسكرية على أنها "مجموعة الإجراءات والأنشطة المنسقة والمخطط لها بعناية بالغة، بغية إخفاء التفاصيل الخاصة بالاستعدادات الجارية لشن هجوم مرتقب، والتي قد يؤثر اطّلاع العدو عليها، في مجريات الحرب بصفة عامة". تشمل هذه الإجراءات طائفة واسعة من الإجراءات التي لا تشمل فقط الجانب التعبوي أو التكتيكي، بل تشمل أيضًا الجوانب السياسية والاقتصادية والإعلامية المرتبطة بعمليات التجهيز لبدء الهجوم المرتقب، وهذا كله بهدف أساسي وهو منع الأجهزة الاستخباراتية والمعلوماتية المعادية من التقدير الصحيح للموقف الاستراتيجي والتكتيكي، وتوجيه تقديراتها وجهودها نحو اتجاهات زائفة؛ تؤدي إلى قرارات ميدانية واستراتيجية تصب في صالح القوات الصديقة.

أ. محمد منصور

باحث أول بالمرصد المصري

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

في هذا الصدد، من الجائز اعتبار تحقيق عامل المفاجأة والمباغتة أحد أهم العناصر الأساسية التي راعتها القيادة السياسية والعسكرية المصرية، خلال عملية التخطيط والإعداد للعمليات الهجومية المصرية في حرب 6 أكتوبر 1973. وقد أثبتت وقائع المعارك الميدانية وحالة "التخبط" و"التوتر" التي شابت القيادة العسكرية الإسرائيلية في الأيام الأولى لبدء القتال أن تحقيق هذا العامل قد تم بطريقة احترافية، وأن "خطة الخداع الاستراتيجي" التي اتبعتها القيادة المصرية لتأمين سرية الاستعدادات المضنية لبدء معركة التحرير شكلت نقطة ترجيح أساسية حسمت نتيجة الحرب، ومثلت نقطة مضيئة متميزة في التاريخ العسكري على المستويات كافة.

أولًا: مراحل التحضير لخطة الخداع الاستراتيجي

بدأ التحضير لبنود وعناصر خطة الخداع الاستراتيجي -المكملة للخطة الهجومية العامة - منتصف مايو 1971، حين أصدرت القيادة السياسية المصرية قرارًا بتعيين المشير "أحمد إسماعيل" رئيسًا لجهاز المخابرات العامة، مع تكليفه بإعداد خطة الخداع الاستراتيجي بشقيها المدني والعسكري، وهو ما شرع فيه "إسماعيل" بشكل فوري، بالتعاون مع جهاز المخابرات الحربية وهيئة العمليات بالقوات المسلحة، حيث تولى فرع التخطيط في الهيئة مهمة التنسيق مع المخابرات العامة والمخابرات الحربية لإعداد البنود النهائية لهذه الخطة، ومن ثَمّ تم بحث الشكل الأولي لخطة الخداع الاستراتيجي خلال اجتماع عقده الرئيس الراحل "أنور السادات" أوائل يوليو 1972 في مقر المخابرات العامة، بحضور القيادات العسكرية العليا، ورئيس المخابرات الحربية، وقادة الأقسام الرئيسية بجهاز المخابرات العامة [1].

في هذا الاجتماع، شدد "السادات" على أهمية خطة الخداع الاستراتيجي، كوسيلة أساسية للتغلب على آثار الخلل في التوازن العسكري والعلمي والتكنولوجي بين مصر وإسرائيل، وكذا على ضرورة ضمان تأمين السرية الكاملة لكل ما يتعلق بأي عملية هجومية مصرية محتملة، نظرًا لوجود خطط إسرائيلية جاهزة ومعدة مسبقًا، لتنفيذ ضربات إجهاضية على القطاعات العسكرية المصرية في حالة استشعار احتمالية تنفيذ مصر لعمليات هجومية نحو شرق قناة السويس.

وقد اعتمدت خطة الخداع الاستراتيجي المصرية في جوهرها، على المزج بين جهود الأجهزة التنفيذية للدولة المصرية كافة، وعلى رأسها وزارات الإعلام والخارجية والحربية قبل بدء العمليات العسكرية الفعلية بنحو ستة أشهر، على أن تتماشى هذه الجهود مع إجراءات الخداع العسكرية لتنفيذ مجموعة من الأعمال والتصريحات والتحركات والمبادرات التي تهدف في أساسها إلى تحقيق هدفين أساسيين؛ الأول: هو حجب الاستعداد المصري العسكري للقيام بعمليات هجومية، وإعطاء انطباع أن العكس هو ما يحدث، وأن مصر لن تحارب في المدى المنظور. والثاني: هو إخفاء الموعد الدقيق لبدء الهجوم المصري السوري لأطول فترة ممكنة لتفادي إجهاض الاستعدادات المصرية والسورية وفقدان عنصر المفاجأة الذي يعتبر في مثل هذه العمليات الهجومية عاملًا حاسمًا في تحديد النتيجة النهائية للمواجهة الميدانية.

التنفيذ الفعلي لهذه الخطة بدأ عمليًا في 26 من أكتوبر 1972، بتعيين "إسماعيل" وزيرًا للحربية، وهو ما شكل نقطة انطلاق مسارات تنفيذ هذه الخطة، التي تضمنت إجراءات تتعلق بالجانب السياسي، وأخرى تتعلق بالجانب الإعلامي والجبهة الداخلية، بجانب البنود المرتبطة بالجانب العسكري، وعلى رأسها مسألة تحديد توقيت بدء العمليات القتالية، وهي مسألة تتسم -على عكس الاعتقاد السائد- بأكبر قدر من الخطورة والتعقيد، وكان التوفيق فيها بمثابة عامل ترجيح أساسي، مكن القوات المصرية والسورية من تحقيق عامل المفاجأة والمباغتة بشكل باهر، انعكس على المجريات الميدانية والنتائج العامة للعمليات القتالية في ما بعد.

ثانيًا: الجانب السياسي في خطة الخداع الاستراتيجي

كان من أهم السمات التي اتسمت بها خطة الخداع الاستراتيجي المصرية هو انخراط المستوى السياسي الأعلى في مصر ممثلًا في السادات في تنفيذ بنودها، بجانب كل الجهات التنفيذية الحكومية، حيث حرص "السادات" على تصدير صورة للعالم تحمل في ملامحها "تناقضًا" يوحي بأن الخيارات المصرية الاستراتيجية لا تشمل أي عمل عسكري نحو شرق القناة، وأن كل التحركات العسكرية المصرية موجهة بشكل رئيسي لاتخاذ مواقف دفاعية محضة.

هذه "الرؤية المتناقضة" التي تعمدت القيادة السياسية المصرية تصديرها لصانع القرار الإسرائيلي، بدأت عمليًا عبر سلسلة من التصريحات عالية السقف، كان أبرزها ما قاله "السادات"، خلال لقائه بضباط القوات البحرية في قاعدة أبي قير البحرية في 22 من يونيو 1971: "إنني أقول لكم ولشعبنا بكل أمانة ووضوح إن سنة 1971 هي سنة حاسمة، ولا يمكن أن يطول انتظارنا إلى الأبد، فلنكن دائمًا مستعدين". عاد "السادات" في العام التالي، وتحديدًا في 13 من يناير 1972، ليلمح لمعنى مناقض تمامًا لما أوحى به في الإسكندرية، حيث قال في خطاب أمام مجلس الشعب: "أنا قلت إن عام 71 عام الحسم، وتعليماتي للقائد العام الفريق الأول صادق كانت جاهزة، واتنفذت إلى آخر مرحلة،

وقفت زي ما حكيت لكم بسبب الضباب اللي حصل، لأن الضباب ده مماثل لضباب يوم الأحد 9 يوليو سنة 67، بس حصل في جنوب شرق آسيا هناك، والاتحاد السوفيتي صديقي اللي واقف معايا، كان في هذه المعركة". أسهم هذا التناقض، بجانب نشوء حالة من الغضب في الأوساط الطلابية المصرية، بدءًا من 15 يناير 1972، في خطة الخداع الاستراتيجي المصرية، وأكد على حالة "عدم الرغبة المصرية في القتال"، التي أرادت القاهرة تصديرها لتل أبيب [2].

وقد دعم "السادات" هذا التوجه، عبر إصداره قرار رئاسي في مصر في 17 يوليو 1972 -بعد نحو عام من توقيعه معاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفيتي- بإنهاء وجود نحو 20 ألف خبير عسكري سوفيتي، وهو ما أرسل إشارة أولية إلى تل أبيب، بأن الخلافات بين القاهرة وموسكو حول التسليح قد بلغت ذروتها، وأن انخراط الاتحاد السوفيتي في ذلك التوقيت مع الولايات المتحدة الأمريكية في مباحثات حول الانفراج الدولي قد قلل بشكل كبير من هامش الحركة العسكرية المتاح للقاهرة، بشكل جعلها تتراجع بشكل كامل عن أي نوايا لتحريك الموقف العسكري على الجبهة.

امتدت عملية التمويه والخداع المصرية إلى أنشطة وتحركات الدبلوماسيين والوزراء وكبار الشخصيات قبيل بدء العمليات العسكرية مباشرة، فبالإضافة إلى سفر وزير الخارجية المصري إلى الولايات المتحدة الأمريكية، سافر وزير المالية والاقتصاد "عبد العزيز حجازي" إلى بريطانيا، ووزير النقل والمواصلات "الحسيني عبد اللطيف" إلى إسبانيا، وتم الإعلان عن دخول قرينة وزير الحربية أحد مستشفيات العاصمة البريطانية لإجراء جراحة عاجلة لها، وشرعت السفارات المصرية في الخارج إلى إبراز عدم جاهزية مصر في ذلك الوقت لخوض أي حرب.

ثالثًا: تجهيز الجبهة الداخلية

على المستوى الداخلي، كان من الضروري العمل ضمن خطة الخداع الاستراتيجي على مسارين أساسيين؛ الأول: هو تجهيز الجبهة الداخلية للإيفاء بمتطلبات بدء العمليات الهجومية في الجبهة، والثاني: هو دعم الجوانب الأخرى المتضمنة في خطة الخداع الاستراتيجي. كان من الضروري إخلاء عدد من المستشفيات وإعدادها لاستقبال الجرحى الذين سيتوافدون مع بداية المعركة، وهذا يعتبر من أهم مبادئ الإعداد للحرب، ولما كان إجراء بمثل هذه الضخامة سيثير بالتأكيد شك المخابرات الإسرائيلية، كان لزامًا على المخطط العسكري المصري أن يوجد حلًا يسمح بإخلاء عدد المستشفيات المطلوب بدون إثارة أدنى شك [3].

لتحقيق ذلك، تم إعداد خطة محكمة تم بموجبها تسريح أحد الضباط المجندين في السلاح الطبي، وإعادته إلى وظيفته السابقة في مستشفى الدمرداش التابع لجامعة عين شمس التي وقع عليها الاختيار لكبر حجمها لتكون في أول قائمة المستشفيات. حسب الخطة، اكتشف الطبيب بعد وصوله إلى المستشفى أن ميكروب التيتانوس يلوث العنابر الرئيسية للمرضى، ولأن هذا الطبيب كان قلقًا من هذا الميكروب الذي يهدد حياة المرضى، أرسل عددًا من الرسائل لوزارة الصحة، وعليه أمرت وزارة الصحة بإخلاء المستشفى من المرضى تمامًا وتطهيره، وتم تكليف الطبيب بالمرور على بقية المستشفيات لاستكشاف درجة تلوثها، وقد قامت الصحف بنشر التحقيقات الصحفية حول المستشفيات الملوثة ونشر الصور وعمال التطهير وهم يرشون المبيدات الخاصة بالتطهير في عنابر المستشفيات. أدت هذه الخطة، إلى إخلاء العدد اللازم من المستشفيات نهائيًا بحلول أول أيام شهر أكتوبر، وباتت على أتم استعداد لاستقبال الجرحى والمصابين كإجراء احتياطي مهم وحيوي للعمليات العسكرية المقبلة.

كان توفير السلع التموينية أيضًا من التحديات المهمة فيما يتعلق بعملية الاستعداد للحرب، خاصة وأن توفر مخزونات كافية من المواد الاستراتيجية، كالقمح والسكر والأرز، لا يقل أهمية عن توفر الذخائر والأسلحة للقوات المسلحة، لذا كان من الضروري استيراد وتخزين كميات كافية من هذه المواد -خاصة القمح- لصعوبة استيراده في حالة بدء العمليات العسكرية، بشرط أن تتم عمليات الاستيراد هذه، بشكل لا تقرأه أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، على أنه مؤشر لقرب بدء العمليات العسكرية. لتحقيق هذا الأمر، سرب جهاز المخابرات العامة معلومات بأن أضرارًا بالغة قد أصابت مخزونات القمح المحلية، نتيجة لعدة عوامل من بينها؛ غمر أمطار الشتاء بعض صوامع القمح، ونشوب عدة حرائق في صوامع أخرى، بجانب إصابة كميات من القمح المخزن بنوع من أنواع الفطريات، وقد حُول الأمر لفضيحة تداولتها وسائل الإعلام، واستوردت مصر على إثرها الكميات المطلوبة من القمح دون إثارة أي شبهة.

يضاف إلى ما سبق، طائفة أخرى من الإجراءات التي استهدفت دعم العمليات العسكرية، وتنفيذ خطة الخداع الاستراتيجي، من بينها توفير مضخات المياه التي سيستخدمها سلاح المهندسين لفتح الثغرات في الساتر الترابي، حيث روعي أن تتم عملية استيراد هذه المضخات بشكل لا يثير ريبة إسرائيل، فسافر مجموعة من مهندسي الزراعة والري، وضباط تابعين للدفاع المدني بشكل منفصل إلى كل من ألمانيا وبريطانيا لشراء مضخات المياه الثقيلة ومدافع إطلاق المياه الخاصة بالمطافئ، بحجة أن مصر تسعى لتأمين وسائل الري اللازمة لتنفيذ مشروع أُعلن عنه عام 1972، لزراعة 900 ألف فدان بالخضروات خلال 5 سنوات.

رابعًا: الجانب الميداني

ارتكز المخطط العسكري المصري خلال إعداده للجانب العسكري من خطة الخداع الاستراتيجية على أوجه القصور الأساسية في نظرية الأمن الإسرائيلية، ومن أهمها الاعتماد بشكل كامل على تلقي إنذار مسبق قبل 48 ساعة لتعبئة الاحتياط، وهي نقطة جوهرية تم بناءً عليها تأسيس الجانب العسكري من خطة الخداع الاستراتيجي، والذي يشمل تمويه عمليات حشد القوات، وإعطاء انطباع دائم لدى الجانب الآخر بتراخي القوات المصرية، وعدم وجود نية للقيام بأي أعمال عسكرية، سوى ما تتطلبه المناورات ومشروعات الحرب الدورية. استفادت القاهرة بشكل كبير من طبيعة التقديرات الأساسية التي بنت الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية عليها تحليلاتها للنوايا المصرية.

فمنذ مطلع عام 1972، وصلت الأوساط العسكرية الإسرائيلية إلى قناعة مفادها أن مصر لن تحارب إلا في حالة تحقق شرطين أساسيين؛ الأول: هو امتلاكها مقاتلات قاذفة بعيدة المدى، تمنح لها القدرة على ضرب العمق الإسرائيلي، والثاني: هو امتلاك قدرات صاروخية بالستية، وتحديدًا صواريخ "سكود" السوفيتية. هذه القناعة تولدت نتيجة لعدة عوامل أهمها الطرح المتكرر لهذين البندين خلال الزيارات التي أجرتها القيادة السياسية المصرية، سواء الرئيس الراحل "جمال عبد الناصر"، الذي طرح على السوفييت هذه المسألة خلال زيارته لموسكو في يناير 1970، أو "السادات" الذي تناول الموضوع نفسه خلال لقائه مع الزعيم السوفيتي "ليونيد بريجينيف" في أغسطس 1972.

بناءً على هذا التقدير، اعتبرت أوساط المخابرات العسكرية الإسرائيلية أن الاستعدادات العسكرية الميدانية المصرية لا ترتبط بنوايا هجومية، بل هي جزء من التدريبات الدورية التي تنفذها القوات المصرية بشكل دوري، وهذا كان واضحًا بشكل أكبر خلال التقييم العام الذي أعدته المخابرات العسكرية الإسرائيلية في أبريل 1973، والذي أفاد أن احتمالات تنفيذ عمليات هجومية من الجانب المصري منخفضة، وأن الجانب السوري -رغم وجود مؤشرات على استعداده للقتال- لا يزال يفتقر لمكونات عسكرية أساسية. ولعل استمرار اعتماد اسرائيل على هذا التقدير أسهم فيه عدة إجراءات اتخذتها مصر على المستوى الميداني والتي استهدفت إخفاء الاستعدادات الجارية لبدء عملية العبور [4].

نقطة انطلاق هذه الإجراءات هو إنشاء ساتر ترابي على الضفة الغربية للقناة نهاية عام 1972، بلغت تكلفته زهاء 30 مليون جنيه. وعلى الرغم من أن الهدف الأساسي من وراء إنشاء هذا الساتر كان توفير المزيد من الحماية ضد أي هجوم اسرائيلي، لكنه في الحقيقة ساعد إلى حد كبير على إخفاء حشود المدفعية والدبابات المصرية، خاصة وأنه تم عقب إنشائه، تأسيس عدد من السواتر الرملية المماثلة في الخطوط الخلفية، وقد حققت هذه السواتر أهدافها؛ إذ جعلت الجانب الإسرائيلي يقتنع بأن الجيش المصري قد لجأ إلى استراتيجية دفاعية في حماية هذه السواتر.

عملية نقل المعدات العسكرية الثقيلة والدبابات إلى الجبهة حازت على جانب مهم من خطة الخداع العسكري، فعندما حان موعد دفع قوافل الدبابات إلى الجبهة، تم نقل ورش التصليح الرئيسية إلى الخطوط الأمامية، ثم بدأ دفع الدبابات إلى هناك في طوابير بحجة إصابتها بأعطال، وهو ما فسرته إسرائيل على أنه يعكس تدهورًا حادًا في حالة المدرعات المصرية، نتيجة نقص قطع الغيار بعد طرد الخبراء الروس، كما أسهمت هذه الخطوة في تضليل الجانب الإسرائيلي بشأن أسباب وجود أعداد كبيرة من الدبابات قرب قناة السويس. يضاف إلى ذلك ابتكار المخطط العسكري المصري لخدعة مستوحاة من "حصان طروادة"، من خلالها تم إعداد ماكيتات هيكلية ضخمة لدبابات روعي في تصميمها أن تسمح بتخزين معدات عسكرية أو دبابات حقيقية بداخلها، وهو ما سمح بوجود أعداد كبيرة من الدبابات داخل هذه الماكيتات.

أما فيما يتعلق بعملية نقل المعدات الهندسية الخاصة بعبور قناة السويس خاصة الزوارق المطاطية، فقد كانت هذه العملية معضلة كبيرة في حد ذاتها؛ لأنها تضمنت بين طياتها مسألة أساسية تتعلق بكيفية استيراد هذا العدد الكبير من الزوارق المطاطية دون لفت نظر إسرائيل. وقد تم حل هذه المسألة عن طريق نقل الزوارق المستوردة بسفن مدنية إلى ميناء الإسكندرية، ثم تم تركها ملقاة بإهمال على أحد أرصفة

الميناء لمدة يومين حتى المساء في ظل إجراءات أمنية توحي بالاستهتار واللا مبالاة، ثم جاءت شاحنات تابعة للجيش ونقلت نصف الكمية إلى منطقة صحراوية قرب منطقة "حلوان"، وتم تكديسها على مرمى البصر فوق مصاطب لتبدو ضعف حجمها الأصلي، وتمت تغطيتها بشباك معترئة تكشف منها أكثر مما تستر، فيما قامت شاحنات مدنية تحمل شعار شركة مقاولات خاصة بنقل الكمية المتبقية من الزوارق للجبهة مباشرة، وقد خبئت في باطن الماكيتات الهيكلية السالف الإشارة إليها. كانت هذه الخطة محكمة ودقيقة لدرجة أنها تضمنت نقل كباري العبور مفككة ومجزأة على عربات خاصة ليلًا فقط، كما صدرت أوامر مشددة بعدم نفخ قوارب العبور قبل بدء الضربة الجوية، لأن التجارب أثبتت أن الأصوات الناجمة عن عملية ملء هذه القوارب بالهواء يمكن أن تُسمع على مسافة 800 متر.

فيما يتعلق بقوات المشاة، لجأ المخطط العسكري المصري إلى تطوير خطة التعبئة العامة واستدعاء القوات الاحتياطية في مصر بعد قرار إيقاف نقل الجنود إلى الاحتياط الذي صدر عام 1967، وقد تضمن هذا التخطيط تسريح نحو 30 ألف جندي في يوليو 1972، والبدء في استدعاء الضباط والجنود الاحتياط بشكل دوري، وبالفعل تم عمل 22 استدعاء حتى تاريخ العبور، وكان الاستدعاء رقم 23 هو استدعاء بدء العمليات. دورية عمليات استدعاء الاحتياط خلق انطباعًا لدى إسرائيل بعدم نية الجيش المصري خوض أي معركة في الوقت الراهن. كما أن تكرار تسريب معلومات مغلوطة إلى الجانب الإسرائيلي تفيد بأن القوات المصرية ستقوم بعمل عسكري موسع في ديسمبر 1971، وأبريل 1972، ومايو وأغسطس 1973، جعل إسرائيل تعلن التعبئة العامة عدة مرات، في حين كانت القوات المصرية في حالة استرخاء تام، وهو ما مثل ضغطًا ماليًا ولوجستيًا على تل أبيب، جعلها تفكر مليًا في أي قرار مقبل للتعبئة العامة، وهو ما صب في مصلحة مصر وسوريا في أكتوبر 1973.

عمليات التدريب الخاصة بقوات العبور كانت تحتاج إلى خطة منفصلة يمكن من خلالها التضليل التدريجي للأجهزة المعلوماتية الإسرائيلية عبر تكرار المناورات التدريبية الدورية. فطوال صيف عام 1972، كانت القوات المصرية تتدرب على عبور القناة تحت سمع وبصر العدو، حيث أعد المصريون شواطئ للنزول عليها، وقام الجيش المصري مرة واحدة في عام 1973 بتمثيل عملية العبور بأقل تفاصيل ممكنة. وقد نقلت الصحف المصرية سير هذه العملية التي شهدها جنود العدو في خنادقهم على الضفة الشرقية للممر المائي.

إن عمليات التدريب الدورية هذه تضمنت الإعلان عن تنفيذ مناورة عسكرية عام 1973 تحت اسم "تحرير 23"، خلال الفترة بين 1 - 7 أكتوبر، وهي عبارة عن مشروع استراتيجي تعبوي مكرر في خطة التدريب أكثر من مرة سنويًا، تتم فيه الإجراءات الهجومية الكاملة من تحرك وانفتاح للقوات، وقيامها برفع درجة الاستعداد القصوى للجيش، وإعلان حالة التأهب في المطارات والقواعد الجوية. وحقيقة الأمر أن هذه المناورة كانت غطاء لتنفيذ تحركات عسكرية مصرية عرضية داخل الجبهة استعدادًا لعملية العبور. وقد استغرق تجميع القوات المشاركة في العبور نحو 3- 4 أشهر، وذلك بدفع الوحدات في مفارز صغيرة، وتكديس الاحتياجات تباعًا في الجبهة قبل ثلاثة أسابيع من بدء الهجوم، تحت ستار القيام بأعمال هندسية خاصة بمشروع الحرب السالف ذكره.

وقد كانت الطريقة التي وزعت بها القوات المسلحة منذ سنوات على الجبهة المصرية دليلًا آخر على نجاعة خطة الخداع الاستراتيجية، حيث مكنت هذه الطريقة التدريجية من حشد العدد المطلوب من القوات، وفي الوقت نفسه عدم لفت الإنظار إلى هذا الحشد الكبير، الذي تألف من خمس فرق مشاة في النسق الأول، يليها على مسافة 25 كيلو متر فرقتان مدرعتان في النسق الثاني، وتم إعداد خطة الحرب بحيث لا تتطلب عمليات الحشد تغييرات واسعة على الأرض تسمح لوسائل الاستطلاع الجوية الإسرائيلية معرفة النوايا المصرية، حيث اعتمدت الخطة على أن تقوم فرق المشاة الخمس باقتحام قناة السويس، بحيث تهاجم كل فرقة قطاعًا معينًا يدخل ضمن حدود القطاع الذي كانت مكلفة بالدفاع عنه خلال تمركزها في الضفة الغربية للقناة، وهو أسلوب سمح للقوات المهاجمة بالاستغناء عن أي تحركات غير ضرورية كانت في حالة حدوثها لتلفت نظر الجانب الآخر.

القوات الجوية المصرية كانت في مراحل ما قبل العبور في حالة تدريب واستنفار مستمر، وقد استغلت الإعلان عن مشروع الحرب التدريبي "تحرير 23" لتبرير رفع درجة الاستعداد القصوى وإعلان حالة التأهب في جميع المطارات والقواعد الجوية المصرية، وبالتالي كانت تل أبيب ترصد تتابع خروج الطلعات الجوية المصرية في محيط المطارات المختلفة، وتقوم بإطلاق طائراتها تحسبًا لأن تكون الطلعات المصرية هجومية. لذا، كانت هذه التجربة طوال شهر سبتمبر عاملًا أساسيًا كي تعتبر قيادة سلاح الجو الإسرائيلي أن التحركات الجوية المصرية التي انطلقت ظهر الخامس من أكتوبر، كانت ضمن إطار التدريبات الجوية الدورية. وقد عزز هذا الاعتقاد، إعلان قيادة سلاح الجو المصري أن قائد السلاح سوف يسافر في مهمة عاجلة إلى ليبيا في الخامس من أكتوبر، ثم تقرر تأجيل هذه المهمة لعصر اليوم التالي، وهو الموعد الحقيقي والفعلي لبدء تنفيذ الضربة الجوية الأولى.

على مستوى القوات البحرية، ولإخفاء نيتها لإغلاق مضيق باب المندب مع بدء العمليات العسكرية، نُشر خبر صغير في سبتمبر 1973 عن توجه ثلاث قطع بحرية مصرية إلى أحد الموانئ الباكستانية لإجراء العمرات وأعمال الصيانة الدورية لها، وبالفعل تحركت القطع الثلاث إلى ميناء عدن، وهناك أمضت أسبوعًا ثم صدر لها الأمر بالتوجه إلى أحد الموانئ الصومالية في زيارة رسمية استغرقت أسبوعًا آخر، ثم عادت القطع الثلاث من جديد إلى عدن، وهناك جاءتهم الإشارة الكودية مساء 5 أكتوبر 1973 بالتوجه إلى مواقع محددة لها عند مضيق باب المندب في سرية تامة، عند نقط تسمح لها بمتابعة حركة جميع السفن العابرة في البحر الأحمر راداريًا وتفتيشها ومنع السفن الإسرائيلية من عبور المضيق.

خامسًا: عبقرية موعد الحرب

لقد كان تحديد يوم (ي) أي "ساعة الصفر" عملًا علميًا على مستوى رفيع، وقد مثل في حد ذاته حدثًا فريدًا في التاريخ العلمي للحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية. فقد كان اختيار أنسب التوقيتات لتنفيذ العملية الهجومية من أهم العوامل التي أسهمت في تحقيق المفاجأة الكاملة، والواقع أن هذا الاختيار لم يكن من السهل بمكان، حيث كان من الضروري اختيار الشهر واليوم والتوقيت المناسبين لبدء الهجوم.

لتنفيذ هذه الاختيارات بشكل فعال، أجرت القيادة العسكرية المصرية دراسات مستفيضة، ناقشت المواعيد المحتملة لتنفيذ العبور، والتي يجب أن تستوفي شرطين أساسيين؛ الأول: هو أن تتوافق الظروف الجوية والأحوال الجومائية والهيدروغرافية المتوقعة فيها مع العمليات الهجومية في كلا الجبهتين في الوقت نفسه، والثاني: هو أن يكون الموعد المختار متوافقًا مع خطة الخداع الاستراتيجي، بحيث يؤدى هذا في المجمل إلى إنجاح عملية العبور والاحتفاظ في الوقت نفسه بفاعلية عامل المفاجأة حتى آخر لحظة.

تم تداول المواعيد المقترحة لبدء العمليات العسكرية خلال ورقة عمل قدمت أوائل أبريل 1973 إلى "السادات" من قبل المشير "إسماعيل"، وقد تضمنت تنفيذ العمليات الهجومية إما في شهر مايو وإما شهر أغسطس وإما في الفترة بين شهري سبتمبر وأكتوبر. وقد تم بحث هذه التواريخ خلال الاجتماع التاريخي الذي انعقد في القاهرة بين يومي 23-21 أغسطس، وجمع القادة العسكريين المصريين والسوريين، وسط أجواء طغت عليها السرية التامة والإجراءات الأمنية المشددة. وخلال هذا الاجتماع حدد موعد الهجوم بين 11-5 أكتوبر، وهو ما أُكد لاحقًا بعد سفر المشير "إسماعيل" إلى سوريا في 2 أكتوبر، لتتوافق كل من سوريا ومصر على الموعد النهائي لبدء العمليات الهجومية [5].

عملية دراسة مواعيد وتوقيتات بدء الهجوم المصري-السوري مرت بعدة مراحل؛ بدايتها كان اختيار أنسب شهور السنة، حيث روعي أن يتوفر في الشهر المختار ظروف جوية مناسبة للقوات المصرية والسورية، وأقل مناسبة بالنسبة للقوات المعادية، خاصة أن اعتدال الطقس وأحوال الجو يعتبر أساسيًا في إنجاح عملية عبور القوات المصرية لقناة السويس، لذا كان من الضروري أن يتم تفادي نهاية فصل الخريف وبداية فصل الشتاء التي تختل فيها الأحوال الهيدروغرافية لقناة السويس، وكذلك الحال فيما يتعلق بالجبهة السورية التي يبدأ فيها موسم تساقط الثلوج أواخر شهر نوفمبر وبداية شهر ديسمبر. كذلك تمت مراعاة أن يتضمن الشهر المختار كل العوامل التي من الممكن الاستفادة منها لتحقيق المفاجأة الهجومية الكاملة، خاصة ما يتعلق بالظروف الداخلية في إسرائيل، بحيث يتضمن وجود أكبر قدر من المناسبات والأعياد التي يتم فيها تعطيل وسائل الإعلام الرسمية في إسرائيل؛ مما يؤثر بالتالي في كفاءة عملية استدعاء الاحتياط.

وقد توفرت كل هذه الشروط في شهر أكتوبر، حيث كانت إسرائيل في طور الاستعداد لإجراء انتخابات الكنيست في يوم 28 أكتوبر، ويزدحم هذا الشهر بالأعياد الإسرائيلية الدينية (وهي: عيد الغفران، وعيد المظال، وعيد التوراة). كما أن تزامن هذا الشهر مع شهر رمضان المبارك أعطى بعدًا إضافيًا يتمثل بالتأثير المعنوي الإيجابي في القوات المصرية، فضلًا عما يمكن تحقيقه من مباغتة استراتيجية بشن الهجوم في شهر الصيام، وهو الأمر الذي لم تتوقعه إسرائيل. يضاف إلى ذلك أن فترة الليل في أيام شهر أكتوبر طويلة، حيث تصل فترة الإظلام في أيام هذا الشهر إلى حوالي 12 ساعة، ناهيك بأن هذا الشهر هو أفضل أشهر السنة بالنسبة للأحوال الجومائية المناسبة للعمليات البحرية، وكذلك بالنسبة لحالة الطقس على كلا الجبهتين [6].

بالنسبة لليوم المناسب لبدء الهجوم، هدفت مصر إلى اختيار أحد الأيام بحيث يكون عطلة رسمية أو عيدًا أو عطلة نهاية الأسبوع بالنسبة للعدو، وأن يكون فرق المنسوب بين المد والجزر فيه أقل ما يمكن لتوفير ظروف أفضل لإقامة المعابر والكباري على القناة، وأن يتميز بضوء القمر الساطع خاصة في النصف الأول من الليل، حتى يساعد على إقامة المعديات والكباري ليلًا، ثم يبدأ عبور القوات في الظلام خلال النصف الثاني من الليل، وهذا يتطلب ألا تقل مدة الإضاءة القمرية عن 6-5 ساعات قبل أن يغرب القمر. وقد توفرت كل تلك الشروط في يوم 6 أكتوبر 1973، حيث تتوقف الحياة في إسرائيل في هذا اليوم، لأنه يوافق عيد الغفران، فضلًا عن كونه يوم سبت وعطلة نهاية الأسبوع، وبالتالي تتعطل وسائل الإعلام بشكل كامل؛ مما يؤثر في كفاءة عمليات التعبئة. كذلك وافق هذا اليوم العاشر من رمضان، حيث القمر مناسب ومضيء من غروب الشمس حتى منتصف الليل، كما يعتبر فرق منسوب مياه القناة في هذا اليوم مناسبًا، لأنه سيتزايد بعد ذلك مع اكتمال القمر بدرًا.

أما فيما يتعلق بالتوقيت الدقيق لبدء العمليات العسكرية، فقد هدفت الدراسة التي أجرتها هيئة العمليات بالقوات المسلحة إلى اختيار توقيت يوفر للقوات الجوية السورية والمصرية الوقت الكافي لتوجيه ضربة جوية مركزة في ضوء النهار، وأن تتاح لها فرصة تكرارها قبل آخر ضوء إذا تطلب الموقف ذلك. وفي الوقت نفسه، لا يوفر هامش كافٍ من الوقت للقوات الجوية الإسرائيلية للعمل بكثافة والرد على الضربة الجوية، قبل آخر ضوء. كذلك هدفت الدراسة إلى أن يتضمن التوقيت المختار ظروفًا جوية جيدة تسمح بمراقبة، وتصحيح نيران المدفعية في أثناء التمهيد النيراني للهجوم وفي أثناء هجمات العدو المضادة المتوقعة في الساعات الأولى التي تلي العبور، وأن يكون ضوء الشمس في عين العدو في أثناء عبور القوات المصرية قناة السويس، بما يقلل من كفاءته في المراقبة والتصويب[7].

بموجب تلك المتطلبات تم اختيار ساعة الهجوم، لتصبح عمليًا قبل آخر ضوء مباشرة، بهامش زمني يسمح بتنفيذ المهام الأساسية المطلوبة في اليوم من القتال، وهي توجيه الضربة الجوية المشتركة، وتحريك الكباري من مناطق تجمعها الخلفية إلى الضفة الغربية للقناة، وبدء إسقاطها في المياه، وتنفيذ التمهيد النيراني بالمدفعية، خلال أربع قصفات مركزة بحوالي 2000 مدفع ولمدة 53 دقيقة، وفتح الممرات في الساتر الترابي، ومن قبل كل ذلك إبرار قوات الصاعقة في عمق الخطوط الإسرائيلية في سيناء لتعطيل إمكانية تقدم الاحتياطيات الإسرائيلية المدرعة، وإحداث ارتباك في منظومة القيادة والسيطرة وخطوط النقل والمواصلات الإسرائيلية.

وقد ظل الموعد النهائي لبدء العمليات العسكرية مشمولًا بالسرية المطلقة حتى عن الضباط والجنود المشاركين في هذه العمليات، حيث علم به قائدا الجيشين الثاني والثالث يوم 1 أكتوبر، وقادة الفرق يوم 3 أكتوبر، وقادة الألوية يوم 4 أكتوبر، وقادة الكتائب والسرايا يوم 5 أكتوبر، وقادة الفصائل والجنود قبل 6 ساعات فقط من بدء الهجوم. توخي السرية في هذا الإطار شمل حتى إخفاء الموعد النهائي لبدء العمليات حتى عن المستشارين العسكريين السوفييت الموجودين في القاهرة، والذين لم يتوصلوا إلى احتمالية قيام الجيش المصري بعمليات هجومية إلا في الرابع من أكتوبر؛ مما دفعهم لبدء سحب جزء كبير من مستشاريهم وعائلاتهم من مصر مساء اليوم نفسه[8].

في الختام، يمكن القول إن مجمل بنود خطة الخداع الاستراتيجي المصرية قد أنتج حالة من التخبط في الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية التي لم تتمكن من التيقن من النوايا المصرية رغم وجود عدد من المؤشرات التكتيكية والميدانية المهمة، مثل سحب موسكو مستشاريها من مصر وسوريا قبل يومين فقط من بدء العمليات، والدفع بكتائب الجسور المصرية إلى قرب القناة، وفتح ثغرات حقول الألغام، ورفع حالة الاستعداد في سلاح البحرية المصري، حيث اعتبرت تل أبيب -اعتمادًا على تقديراتها الأساسية- أن كل هذه المؤشرات هي أحداث عرضية، منها ما يرتبط بالتوترات المستجدة على الجبهة السورية، ومنها ما يرتبط بأنشطة تدريبية روتينية لا تشكل أي خطر. بالتالي تحولت إسرائيل -للمرة الأولى في تاريخها- إلى متلقي للضربة لا مسدد لها.

1. محمد الغباري، محاور الإعداد الاستراتيجي لحرب أكتوبر، مجلة السياسة الدولية، 1 أكتوبر 2017، متاح على: https://2u.pw/BYGp4CUZ
2. سمير فرج، كيف نجحت مصر في تنفيذ خطة الخداع الاستراتيجي في حرب 73، جريدة الجمهورية، 8 أكتوبر 2022، متاح على: https://2u.pw/Em6nAvS0
3. محمد قشقوش، خطة الخداع الاستراتيجي.. مفتاح نصر أكتوبر1973، المرصد المصري، 14 أكتوبر 2021، متاح على: https://2u.pw/IZa7Xzdf
4. صلاح الدين أبوبكر الزيداني، الحرب خدعة ... تفاصيل خطة الخداع الاستراتيجية في حرب اكتوبر 73، مجلة المسلح، 25 فبراير 2013، متاح على: https://2u.pw/Vk25wMxJ
5. عبد الغني الجمسي، حرب أكتوبر 1973 (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1998)، متاح على: https://2u.pw/a6qpw0Fx
6. خطة الخداع الإستراتيجي/العملياتي المصرية، موسوعة مقاتل من الصحراء، متاح على: https://2u.pw/Mdebzl97
7. مجدي الجلاد، مذكرات أحمد أسماعيل وزير الحربية في معركة أكتوبر 1973 (القاهرة: دار نهضة مصر، الطبعة الثانية، أكتوبر 2013) متاح على: https://2u.pw/mJ3Gf9g9
8. سعد الدين الشاذلي، مذكرات حرب أكتوبر (دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية، الطبعة الرابعة، 2003)

دور الحرب الإلكترونية في دعم قوات الدفاع الجوي خلال عمليات أكتوبر 1973

تزايدت أهمية أعمال الحرب الإلكترونية حتى باتت تتبوأ مكانًا مميزًا بين مختلف الأنشطة العسكرية، كما حظيت بكثير من الاهتمام الذي أسفر عن تطوير وسائلها وأساليب استخدامها بالنظر إلى تعدد توظيفاتها في مجالي الدفاع والهجوم حتى باتت "وسيلة حسم" في المعارك الحديثة؛ لقدرتها على تعويض الفارق النوعي بين تسلح خصمين، بل وقدرة الوسائل الدفاعية منها على تقديم لمحة شاملة عن تحركات الخصم في ساحات المعارك والعمليات بجانب معداته وتمركزاته ونظم اتصالاته وشبكات معلوماته، بجانب قدرة الوسائل الهجومية منها على تدمير مراكز الحرب الإلكترونية المعادية. وفي هذا الإطار، يسلط هذا المقال الضوء على الدور الذي لعبته الحرب الإلكترونية في دعم قوات الدفاع الجوي المصرية في حرب أكتوبر 1973 كأحد النماذج البارزة الذي برز فيها ذلك الدور.

لواء أ.ح.م/ محمد مجدي رشاد علام

ملحق الدفاع بالمملكة المغربية سابقًا، ورئيس كرسي الحرب الإلكترونية

بكلية الحرب العليا سابقًا

أولًا: نشأة الحرب الإلكترونية والتعريف بالمفهوم

تعـود فكـرة وسـائل الحـرب الإلكترونيـة إلـى مـا قبـل الحـرب العالميـة الأولـى مـع الانتشـار الواسـع والتوسـع في اسـتخدام الأجهـزة اللاسـلكية، وبالتالي سـهولة التنصـت علـى المحادثـات والاتصـالات. أمـا أعمـال الإعاقـة والتشـويش، فكانـت محـدودة نظـرًا لصعوبتهـا، كمـا أن الحصـول علـى المعلومـات كان لـه الأسـبقية لمعرفـة النوايـا والأهـداف.

وفـي عـام 1939، نجـح البريطانيـون في إنتـاج شـرائح مـن رقائـق الألومينيـوم قـادرة علـى التشـويش علـى الـرادارات الألمانيـة لتظهـر علـى شاشـات الـرادارات الألمانيـة كمـا لـو كانـت أهدافًـا حقيقيـة عديـدة. ومـن هـذا التاريـخ بـدأ تطويـر وإنتـاج وسـائل متطـورة وإيجابيـة ضـد مختلـف الوسـائل الإلكترونيـة.

وعلـى صعيـد الحالـة المصريـة، فقـد أصـدر الرئيـس الأسـبق والراحـل "محمـد أنـور السـادات" قـرارًا تاريخيًـا بإنشـاء سـلاح الحـرب الإلكترونيـة في عـام 1970 لمواكبـة التقـدم العالمـي السـريع للحـروب الحديثـة، وللاسـتعداد لحـرب تحريـر سـيناء المتوقعـة.

وبشـكل عـام، تُعـرف الحـرب الإلكترونيـة بأنهـا هـي "مجموعـة مـن الإجـراءات التـي تهـدف إلـى إربـاك أو تعطيـل الوسـائل الإلكترونيـة المعاديـة وفـي الوقـت نفسـه حمايـة وتأميـن الوسـائل الإلكترونيـة الصديقـة". وانطلاقًـا مـن هـذا التعريـف، فـإن الحـرب الإلكترونيـة تنقسـم إلـى قسـمين؛ يمكـن الوقـوف علـى كل منهمـا علـى النحـو التالـي:

1. **القسـم الإيجابـي: وهـو الإجـراءات الإلكترونيـة المضـادة (Electronic Counter Measurements-ECM)**
2. **القسـم السـلبي: وهـو الإجـراءات الإلكترونيـة المضـادة للإجـراءات الإلكترونيـة المعاديـة (ECCM) Electronic Counter-Counter Measurements)**

حيـث يهـدف القسـم الإيجابـي أو مـا يُعـرف اختصـارًا باسـم (ECM) إلـى تعطيـل وإربـاك وإسـكات النظـم الإلكترونيـة المعاديـة كالأجهـزة اللاسـلكية والـرادارات بأنواعهـا سـواء كانـت أرضيـة أو محمولـة جـوًا أو بحـرًا. أمـا القسـم السـلبي أو مـا يعـرف اختصـارًا باسـم (ECCM)، فيهـدف إلـى حمايـة وتأميـن النظـم الإلكترونيـة الصديقـة مـن الإجـراءات الإلكترونيـة المعاديـة باسـتخدام أجهـزة يصعـب إعاقتهـا وإربـاكهـا أو كشـفها كمـا هـو الحـال في الطائـرات الشـبحية التـي يصعـب كشـفها راداريًـا نظـرًا لتصميـم جسـم الطائـرة الـذي يعمـل علـى تشـتيت الموجـات الراداريـة بـدلًا مـن عكسـها في اتجـاه الـرادار أو تغطيـة جسـم الطائـرة بمـواد ماصـة لأشـعة الـرادار. كمـا يعـد الدخـان مـن أهـم الوسـائل التـي تعيـق اسـتخدام الصواريـخ أو القنابـل التليفزيونيـة أو الليزريـة، كمـا تعتبـر المشـاعل الجاذبـة للصواريـخ الباحثـة عـن الحـرارة مـن أهـم الوسـائل السـلبية لتأميـن الطائـرات، أمـا الرقائـق المعدنيـة فتُسـتخدم لتضليـل الصواريـخ الراداريـة.

ثانيًا: دور سلاح الحرب الإلكترونية في حرب 1973

بـدأ تشـكيل وحـدات الحـرب الإلكترونيـة في مصـر في يوليـو 1970 بالتعـاون مـع الاتحـاد السـوفيتي؛ الـذي أوفـد خبـراءه إلـى مدرسـة الحـرب الإلكترونيـة (والتـي شـرُفت بتولـي قيادتهـا آنـذاك)، حيـث تـم تدريـب الضبـاط والصـف والجنـود علـى اسـتخدام المعـدات والوسـائل المختلفـة وفقًـا لنوعيـة ومهـام كل وحـدة، سـواء كانـت اسـتطلاع وإعاقـة لا سـلكية أو كشـف راداري أرض-أرض أو سـطح وإعاقـة لا سـلكية أرض-جـو أو اسـتطلاع وإعاقـة راداريـة أرض-جـو. وعلـى ذلـك، تـم إيفـاد عـدد كبيـر مـن الضبـاط إلـى الاتحـاد السـوفيتي للتدريـب سـواء فنيًـا أو تكتيكيًـا علـى اسـتخدام الوحـدات ميدانيًـا.

واسـتعدادًا للعمليـات المنتظـرة، أصـدرت القيـادة العامـة توجيهاتهـا فـي ينايـر 1973 والتـي تضمنـت مهـام الحـرب الإلكترونيـة لدعـم ومعاونـة أعمـال قتـال الأفـرع الرئيسـية للقـوات المسـلحة، وكـذا لدعـم أعمـال قتـال الجيـوش الميدانيـة عنـد شـن العمليـة الشـاملة لتحريـر شـبه جزيـرة سـيناء. وسـيُكتفى بسـرد مقتطفـات عـن دور الحـرب الإلكترونيـة في دعـم قـوات الدفـاع الجـوي، حيـث لا يتسـع المجـال لذكـر مهـام الحـرب الإلكترونيـة فـي المجـالات الأخـرى. فممـا لا شـك فيـه أن قـوات الدفـاع الجـوي يعـود إليهـا الفضـل الأكبـر فـي اتخـاذ قـرار الحـرب لتعويـض تفـوق القـوات الجويـة الإسـرائيلية وتأميـن الجيـوش الميدانيـة ودعمهـا لتنفيـذ مهامهـا القتاليـة في عبـور قنـاة السـويس، واقتحـام وتدميـر خـط بارليـف الحصيـن، وتأميـن رءوس الكبـاري شـرق قنـاة السـويس.

1. الإعاقـــة اللا سلكيـــة:

خلال عمليـات أكتوبـر، شـرُفت بكونـي قائـدًا لكتيبـة الإعاقـة اللاسـلكية الاسـتراتيجية، وهـي كتيبـة واحـدة علـى مسـتوى القـوات المسـلحة ضمـن تشـكيل الفـوج 701 سـطع وإعاقـة لا سـلكية، وقـد كانـت هـي الكتيبـة المسـئولة عـن اسـتطلاع وإعاقـة الاتصـالات اللا سـلكية للمسـتوى الاسـتراتيجي للجيـش الإسـرائيلي. وقـد كانـت فتـرة حـرب الاسـتنزاف فرصـة كبيـرة لاسـتطلاع وكشـف نظـم الاتصـالات اللا سـلكية وتحديـد أماكنهـا بمـا يُمكّـن مـن توجيـه أعمـال إعاقـة مُوجّهـة مؤثـرة.

ولتحقيـق ذلـك، قامـت الكتيبـة بإنشـاء حقـل هوائيـات مُوجّهـة ضخمـة بمـا يُمكّـن الكتيبـة مـن اسـتطلاع وتحديـد أماكـن أهدافهـا وتوجيـه إعاقـة مُؤثـرة، وذلـك ضـد الشـبكات الـلا سـلكية لرئاسـة أركان الجيـش الإسـرائيلي والمناطـق العسـكرية والقواعـد البحريـة والقواعـد الجويـة والمطـارات، وقـد تحقـق ذلـك مـع بدايـة العمليـات يـوم 6 أكتوبـر، فقـد نجحـت الكتيبـة فـي تحقيـق هـذه المهـام، مـا أصـاب قـوات العـدو بالإربـاك لأكثـر مـن يومـين، مـا كان لـه أكبـر الأثـر في نجـاح القـوات المسـلحة المصريـة فـي اقتحـام المانـع المائـي وتدميـر خـط بارليـف الحصيـن وإنشـاء

خمسة رءوس كباري شرق قناة السويس. والجدير بالذكر أن تأثير أعمال الإعاقة كان له تأثير كبير لدرجة أن العاملين على شبكاتهم اللا سلكية لقبونا بلقب "المتوحشين على التردد" عند سماعهم لنبضات التشويش والإعاقة على شبكاتهم اللا سلكية. وعند تحويل ترددهم إلى ترددات احتياطية أخرى، كانت وسائلنا تلاحقهم بمجرد انتقالهم إليها.

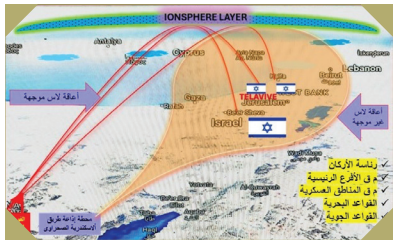

يتضح من الكروكي السابق أنه لتحقيق مهام الاستطلاع والإعاقة بدرجة فاعلة ومؤثرة، فإنه يلزم إجراء حسابات دقيقة ومعقدة، تخضع للعوامل التالية:

- أماكن الأهداف المعادية.
- ارتفاع طبقة الإيونوسفير والتي ستنعكس عليها موجات الإعاقة (حيث يتغير هذا الارتفاع تبعًا لليل والنهار وفصول السنة).
- أنواع هوائيات أجهزة الإعاقة.
- مكان ومواقع أجهزة الإعاقة.

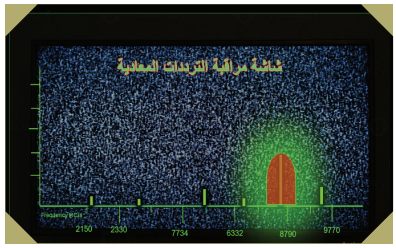

2. الإعاقة الراديرية أرض جو:

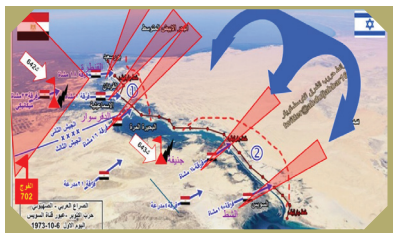

لتحقيق تأمين أهدافنا الحيوية، تم دعم وحدات الدفاع الجوي المسئولة عن حماية وتأمين العاصمة والأهداف الحيوية بفوج استطلاع وإعاقة راديرية أرض-جو، وذلك لتعمية وإرباك رادارات التنشين المحمولة جوًا بالطائرات المُغِيرة بما لا يمكّنها من استخدام هذه الرادارات من توجيه صواريخها نحو أهدافها، كما قامت هذه الوحدة بدفع مفارز سطع وإعاقة راديرية إلى نطاق الجيشين الثاني والثالث لحماية وتأمين معابر وكباري الجيوش الميدانية ضد القصف المشن راداريًا ضد هذه المعابر. لذا، فقد تم دعم الجيش الثاني الميداني بثلاث مفارز والجيش الثالث بمفرزتين.

وقد قامت هذه المفارز بإعاقة الطائرات التي حاولت تدمير المعبر وتعطيل تدفق القوات شرقًا وتأمين رءوس كباري الجيوش الميدانية، وذلك من خلال إعاقة رادارات التنشين بأعمال الإعاقة الضوضائية، وكذا بأعمال الإعاقة الخداعية. حيث تقوم الإعاقة الضوضائية بزيادة

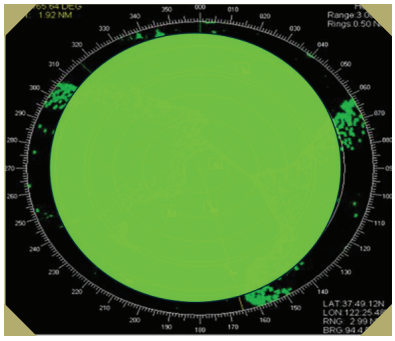

شدة إضاءة شاشة الرادار بدرجة يصعب معها تمييز الأهداف، بينما تهدف الإعاقة الخداعية إلى إظهار أهداف وهمية أو خداعية مُماثلة تمامًا للهدف الأصلي، ما يقلل من احتمالات إصابته؛ كما يتضح من الصور التالية:

فقد أثرت الإعاقة الضوضائية على شاشة رادار التنشين بالطائرة بزيادة إضاءة الشاشة، بحيث لا يتمكن الطيار من تمييز الأهداف المستهدفة التي يتم التنشين عليها.

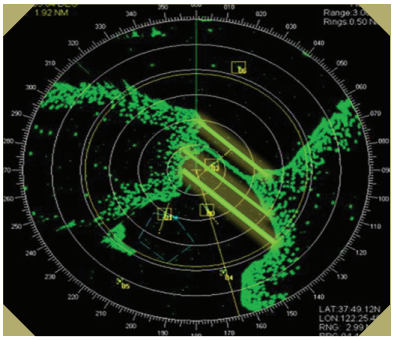

كباري خداعية، تماثل الهدف الأصلي،
ما يقلل من إحتمال إصابة وتدمير الهدف الاصلى

وقد نجحت هذه المفارز في تحقيق مهامها في تعمية وخداع رادارات الطائرات التي حاولت مهاجمة الكباري والمعابر، مما أسهم في نجاح القوات المسلحة المصرية في عبور قناة السويس شرقًا.

3. الإعاقة اللا سلكية أرض-جو:

في السياق نفسه، ولضمان إعاقة وإرباك الطائرات المُغِيرة، تم تكليف كتيبتي استطلاع وإعاقة لا سلكية أرض-جو بالعمل بنطاق الجيوش الميدانية لإعاقة قنوات التوجيه للطائرات المُغِيرة بإعاقة قنوات التوجيه والشبكات اللا سلكية المستخدمة في السيطرة على الهجمات الجوية المعادية سواء كانت هذه القنوات مع الموجهين الأرضيين أو كانت على مستوى التشكيل الجوي القائم بالهجوم.

وعلى ذلك، فإن الطيار المهاجم لم يتمكن من رؤية الأهداف والمعابر أو الكباري المُكلف بتدميرها فضلًا عن عدم تمكنه من الاتصال اللا سلكي أو سماع إشارات التوجيه والسيطرة، وبالتالي يحدث له حالة من الارتباك وفقدان السيطرة؛ مما أتاح للقوات الدفاعية تدمير عدد كبير من الطائرات المهاجمة خلال الأيام الأولى من القتال.

ختامًا، ظهرت الأهمية البالغة لدور الحرب الإلكترونية في حرب أكتوبر 1973، فقد أكدت تقارير المعلومات كافة أن القوات الجوية الإسرائيلية قد تكبدت خسائر فادحة في عدد الطائرات التي حاولت مهاجمة قواتنا المسلحة التي تمكنت من العبور وتأمين رءوس الكباري شرق القناة، وكذا الطائرات المعادية التي حاولت تدمير المعابر المقامة على قناة السويس.

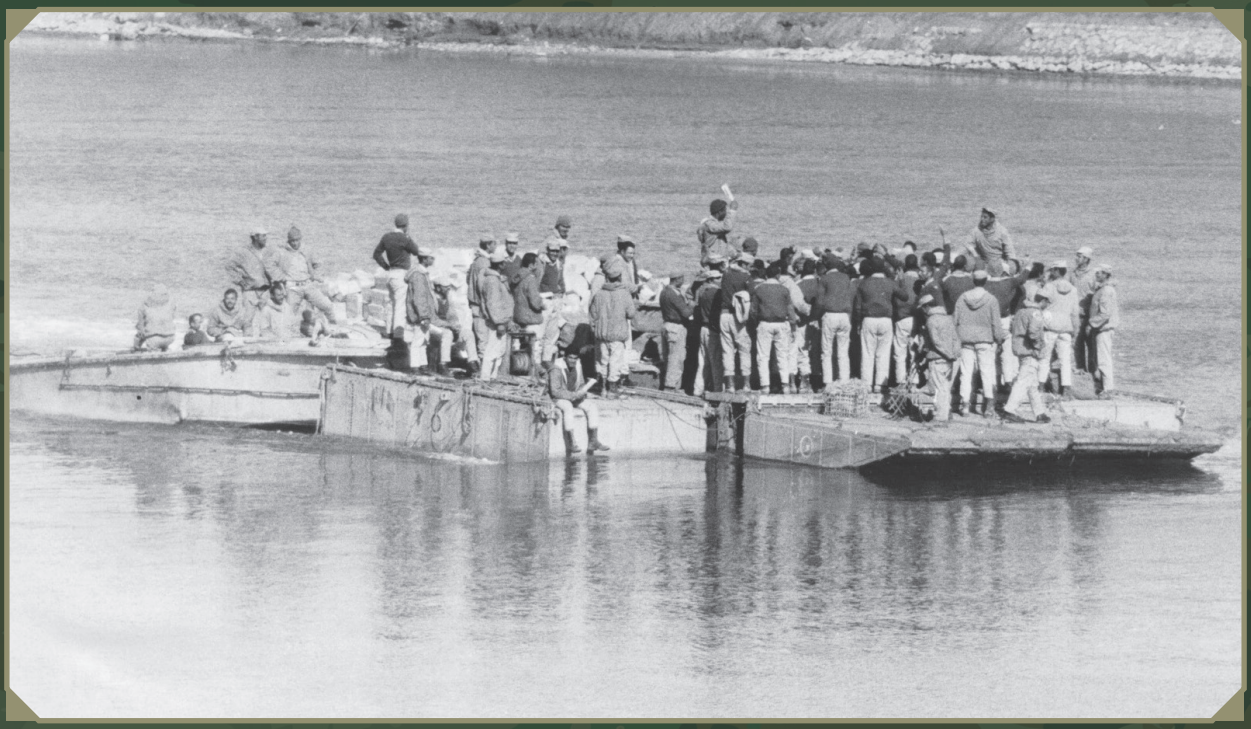

دور القــوات البحرية المصـرية في حرب أكتوبر المجيدة: نبذة مختصرة

حققت القوات البحرية المصرية خلال حرب أكتوبر 1973 إنجازًا عسكريًا متفوقًا بمعايير العصر. وقد تناولته الدراسات المتخصصة في مراكز الفكر والبحوث والدراسات السياسية والاستراتيجية العربية والأجنبية بل الإسرائيلية. أتى هذا النجاح كنتيجة مباشرة للتخطيط العلمي المبني على: خبرات القتال المتراكمة ولا سيما خلال حرب الاستنزاف من ناحية، والحسابات الدقيقة للقدرات القتالية الحقيقية للقوات المسلحة المصرية من ناحية ثانية، والقدرات القتالية للقوات البحرية الإسرائيلية مع التفهم الكامل لطبيعة مسرح العمليات من ناحية ثالثة. فقد أُسندت المهام المناسبة لتخصصات القوات وقدراتها القتالية، وقد كانت مهام واقعية أمكن تحقيقها لا تلك التي يُتمنى تحقيقها. كما تم تحديد نقاط القوة للعدو لتفاديها قدر الإمكان، وكذا نقاط الضعف لاستغلالها لأقصى حد.

لواء بحري أ.ح/ محفوظ محمد طه مرزوق

مدير الكلية البحرية الأسبق، ورئيس الهيئة العامة لموانئ البحر الأحمر الأسبق،

ونائب رئيس الهيئة العامة للمنطقة الاقتصادية لقناة السويس الأسبق

كما استُغل لأول مرة العمق الاستراتيجي العربي، ما مكن القوات البحرية من تنفيذ مهام تبعد آلاف الأميال عن الموانئ المصرية؛ حيث فرضت الحصار البحري على موانئ العدو في البحرين الأحمر والمتوسط للمرة الأولى في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي لمنع حركة النقل البحري من وإلى موانئ إسرائيل. وسجل التاريخ العسكري البحري القوات البحرية استخدام مضيق باب المندب استخدامًا جيوستراتيجيًا عسكريًا فعالًا لأول مرة كنقطة اختناق للسيطرة على حركة النقل البحري من وإلى البحر الأحمر وذلك على الرغم من بعده عن مسرح العمليات التقليدي بين مصر وإسرائيل بأكثر من 1000 ميل. كما قامت بالإغارة على الموانئ والمراسي ونقط التمركز الإسرائيلية في البحرين المتوسط والأحمر بالصواريخ الموجهة وغير الموجهة التي استخدمت لأول مرة وبقوات الصاعقة البحرية والضفادع البشرية، ومنعت العدو من مهاجمة القوات المصرية القريبة من الساحل سواء بالنيران أو بالإبرار وذلك بتدمير وحداته بالبحر وبالموانئ والمراسي، ودافعت عن الموانئ المصرية، ومنعت أي تعرض للنقل البحري من وإلى هذه الموانئ. وسيركز هذا المقال التحليلي على مهمتين رئيسيتين فحسب؛ هما: التعرض لخطوط المواصلات البحرية الإسرائيلية، ومهمة دعم أعمال قتال القوات البرية العاملة على المحاور الساحلية في البحرين المتوسط والأحمر، وهو ما يمكن الوقوف عليه تفصيلًا أدناه.

أولًا: مهمة التعرض لخطوط المواصلات البحرية الإسرائيلية في البحرين الأحمر والمتوسط

1. في البحر الأحمر:

لقد تمثلت الأهداف الاستراتيجية فيما يلي:

- تحدي نظرية الأمن الإسرائيلية التي كانت تعتبر أن احتلال منطقة شرم الشيخ والسيطرة على مضايق تيران سيضمن لإسرائيل تأمين حركة النقل البحري من وإلى ميناء إيلات، وهو الميناء الوحيد لإسرائيل على البحر الأحمر والمنفذ الوحيد لتجارتها مع آسيا وأفريقيا وضمنها البترول الوارد من إيران. وقد عبر عن ذلك "موشي ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق بقوله: إن شرم الشيخ بدون سلام أفضل من سلام بدون شرم الشيخ (Sharm Elsheikh Without Peace is bet-ter than Peace without Sharm Elsheikh
- إرباك سلاسل الإمداد (Supply Chain Disruption) لإسرائيل. وقد أصبحت صياغة هذا الهدف أمرًا مألوفًا في الأدبيات البحرية الحديثة في أعقاب الحرب الروسية-الأوكرانية ووباء كوفيد19-. والمقصود بالإمداد هنا هو الإمداد بالنفط بصفة رئيسية؛ حيث كانت إسرائيل تعتمد على مصدرين أساسيين لتدبير احتياجاتها من النفط؛ أولهما: من إيران ويأتي محمولًا بحرًا من الخليج العربي عبر باب المندب إلى خليج العقبة ومن خلاله إلى ميناء إيلات. وكانت إسرائيل قد أنشأت خط أنابيب بترول (42 بوصة) من إيلات إلى أشدود والبحر المتوسط كبديل مؤقت لقناة السويس التي تم إغلاقها بعد حرب 1967. وثانيهما حقول البترول المصرية على الساحل الشرقي لخليج السويس والمستولى عليها بعد احتلالها سيناء.

أما على **صعيد أسلوب تنفيذ المهمة**، فقد تم تنفيذها بفرض الحصار البحري (Naval Blockade)على مسرح البحر الأحمر بالكامل بطول 1200 ميل في 3 مناطق. **المنطقة الأولى** في باب المندب جنوب البحر الأحمر باستخدام المدمرات. **والمنطقة الثانية** في وسط البحر الأحمر شمال خط عرض 22 الذي يحدد الحدود المصرية الدولية الجنوبية مع السودان وجنوب الحد الشمالي لمنطقة العمليات العسكرية المعلن عنها (خط طول 23)، وذلك باستخدام الغواصات (كما يتضح في الخريطة التالية). ويُشار إلى أن استخدام الغواصات في البحر الأحمر هو الأول في تاريخ البحريات العالمية. أما **المنطقة الثالثة** في شمال البحر الأحمر وتحديدًا في منطقة مضيق جوبال جنوب خليج السويس باستخدام خطوط الألغام الهجومية ومناطق المنصات البترولية في بلاعيم و"أبو رديس"، فقد استخدمت قوات الصاعقة البحرية والضفادع البشرية.

ففي منطقة جنوب البحر الأحمر، تم اختيار منطقة باب المندب لتنفيذ المهمة بقوة 3 مدمرات، واحتلت مواقعها من يوم 6 أكتوبر حتى 7 يناير 1974، وتمركزت المدمرات في عدن والصومال والسودان خارج مدى طيران العدو. وقد نفذت خطوط المرور بواسطة المدمرات أمام جبل الطير على ساحل اليمن لاعتراض السفن العابرة لباب المندب والمتجهة إلى البحر الأحمر وإخطارها بضرورة تغيير خط سيرها وعدم دخول البحر الأحمر لوجود منطقة عمليات عسكرية مُعلن عنها دوليًا مع استخدام الحد الأدنى المنصوص عليه دوليًا لاستخدام المدفعية الخفيفة والمتوسطة للفت نظر السفن التي لا تستجيب لإشارات الاعتراض الضوئية واللا سلكية، وذلك بإطلاق عدد محدود من الطلقات أمام السفينة للتنبيه.

يشار إلى أن القانون الدولي لا يسمح بتدمير أي سفينة في المياة الدولية ضمانًا لحرية الملاحة، كما أن الولايات المتحدة دفعت حاملة طائرات (هانكوك) وخمس مدمرات في المحيط الهندي بعد بدء الحرب مباشرة لمراقبة تنفيذ القانون الدولي فيما يخص حرية الملاحة. وعقب ما يزيد على 50 عامًا من حرب 1973 بات يتضح جليًا معنى تنفيذ هذه المهمة بمراجعة كيفية تتدخل القوات البحرية الأمريكية من خلال تنفيذ عمليات حرية الملاحة (Free of operations Navigation-FONOPS) في منطقة بحر الصين

الجنوبي. ويشار إلى قيام الاتحاد السوفيتي وقتها بدفع عدد من وحداته البحرية إلى المنطقة نفسها.

وفي **منطقة وسط البحر الأحمر**، تم احتلال إحدى الغواصات منطقة انتظار شمال خط عرض (22) الذي يُمثل الحدود المصرية الدولية مع السودان وجنوب حدود منطقة العمليات العسكرية المعلن عنها (خط عرض 23). وفي حالة عدم رضوخ أي سفينة متجهة إلى إسرائيل وإصرارها على استكمال إبحارها إلى داخل البحر الأحمر يتم إخطار الغواصة لاعتراض السفينة شمال خط عرض (22) ومهاجمتها. (وقد تم بالفعل مهاجمة سفينة متجهة إلى ميناء إيلات بالطوربيدات، وبعدها أخطرت وزارة النقل الإسرائيلية جميع السفن المتجهة إلى إيلات بتغير خط سيرها وعدم دخول باب المندب).

في منطقة **شمال البحر الأحمر** وعند مدخل خليج السويس تم بث خطوط ألغام هجومية؛ وهو ما يعتبر من المفاجآت الرئيسية في الحرب، حيث تم استخدام الألغام البحرية الهجومية لأول مرة خلال حرب 1973، وهو ما اعترف به المحلل العسكري الإسرائيلي "شالومو جيتيه" (Shlomo Guetta) في كتابه المعنون The Egyptian Sea Mining Surprise during the Yom Kippur War -October War 1973)).

وعلى صعيد أسلوب التنفيذ، فقد بثت عدة خطوط ألغام هجومية (أمام سواحل القوات الإسرائيلية) باستخدام كاسحات الألغام ولانشات الطوربيد في عدة مواقع؛ منها ممر جوبال في المدخل الجنوبي لخليج السويس، وذلك بغرض التأثير في حركة النقل البحري من وإلى نقاط التمركز والإيواء الإسرائيلية في خليج السويس؛ حيث أغرقت السفينة الإسرائيلية سايرس (حمولة 50 ألف طن)، وبعدها اضطرت القوات الإسرائيلية لاستخدام ممرات ضحلة ومجاورة للساحل واستخدام سفن ذات حمولات لا تزيد عن 5000 طن وتم إعادة تلغيم هذه الممرات عدة مرات باستخدام اللانشات.

لم يكن لدى القوات البحرية الإسرائيلية أي قوات أو تجهيزات لمكافحة الألغام أو تحييدها في ذلك الوقت، وهو ما يبرز براعة المخطط المصري في استغلال نقاط الضعف في البحرية الإسرائيلية لأقصى حد. وفي هذا الصدد، تنبغي الإشارة إلى أن قرار بث خطوط الألغام الهجومية في هذه المواقع وأسلوب تنفيذها يعكس تفوقًا مصريًا ليس فقط في التخطيط ولكن في التنفيذ أيضًا، وذلك بالنظر إلى النقاط التالية:

- مدخل خليج السويس مناسب لاستخدام الألغام البحرية.
- استغلال قرب نقط التمركز والإيواء الإسرائيلية على الساحل الشرقي لخليج السويس لبث خطوط ألغام هجومية أمام سواحل العدو باستخدام الوحدات البحرية الخفيفة ليلًا.
- قرار استخدام هذا السلاح في مدخل خليج السويس، والذي يعتبر ممرًا ملاحيًا دوليًا، كان مثاليًا من وجهة نظر القوات البحرية المصرية لكونها لا ترغب في انتهاك القانون الدولي، وذلك كالآتي:
- كانت الحركة الحرة للسفن من وإلى خليج السويس ضرورية لإسرائيل لمرور السفن العسكرية ونقل النفط الخام بسبب غلق قناة السويس في ذلك الوقت.
- كان الخليج نفسه نوعًا من البحر الداخلي الذي يخدم مصر وإسرائيل فقط (أي بدون تهديد لطرف ثالث أو طرف محايد)، وقد كان هذا التوصيف واضحًا للمخططين في القوات البحرية المصرية، وكان بمثابة فرصة مناسبة للاستخدام الأول للألغام البحرية الهجومية. ويشار إلى أنه لم تستخدم الألغام في مدخل خليج العقبة لوجود ميناء العقبة الأردني. وكذا لم يلغم باب المندب لتأثير حركة النقل البحري من وإلى الموانئ السعودية والسودانية ولتفادي إثارة القوى العظمى الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة.
- الأضرار المادية التي ألحقتها الألغام بالسفن والتي قد تبدو محدودة بالنظر إلى عدد الخسائر الواقعة على سفن العدو (عدد 2 سفينة تجارية فقط)، إلا أن الألغام لها تأثير حيوي في حركة النقل البحري في المنطقة؛ فبمجرد انفجار ألغام في سفينة أو سفينتين، ألغيت حركة المرور من وإلى المنطقة حتى تمسح المنطقة وتزال الألغام.
- تعد الألغام البحرية سلاحًا فعالًا للغاية من حيث التكلفة والعائد؛ فتكلفة بث لغم بحري لا تكاد تذكر مقارنة بتكلفة كسحه (إزالته) أو تحييده. فيمكن أن يكون الوقت اللازم لتحييد خط من الألغام البحرية والتخلص منه 200 ضعف الوقت اللازم لبثه؛ حيث يتطلب ذلك تخصيص أعداد ضخمة من السفن المتخصصة في مكافحة الألغام للعمل ليلًا ونهارًا لأسابيع وربما لشهور طبقًا لاعتبارات فنية متعددة.

بالنسبة لحقول بلاعيم و"أبو رديس" داخل خليج السويس، نفذت عدة إغارات على مناطق "أبو رديس" وبلاعيم باستخدام قوات الصاعقة البحرية لضرب المنصات البترولية والتانكات والبيئة الأساسية الفوقية بقوات الصاعقة، كما قامت الضفادع البشرية بتدمير البنية التحتية وأنابيب تحت المياه أكثر من مرة في أثناء العمليات.

كانت **نتائج تنفيذ المهمة في البحر الأحمر** خلال الفترة من يوم 6أكتوبر 1973 وحتى 7 يناير 1974 مبهرة على **المستوى الاستراتيجي** كالآتي:

- تم منع 197 سفينة متجهة من باب المندب إلى إسرائيل مع السماح بمرور 22سفينةفقطإلىالسودانوالسعودية.

- خط النفط بين إيلات وأشدود كان فارغًا بعد شهر من بدء تنفيذ المهمة. ولم تكن هناك كميات نفط كافية، حيث طلبت إسرائيل من الولايات المتحدة إمدادها بالبترول على سفنها، وخشيت الولايات المتحدة من رد الفعل العربي لو تحقق هذا المطلب، وطلبت "جولدا مائير" رئيسةوزراءإسرائيلآنذاكتعتيمًاإعلاميًا.

- في نوفمبر 1973، أخطر وزير الخارجية الأمريكي آنذاك "هنري كيسنجر" الزعيم الراحل "أنور السادات" أن إسرائيل لها مطلبين خلال مفاوضات الكيلو 101؛ أولهما: هو فك الحصار عند باب المندب، وثانيهما: هو تبادل الأسرى، وفقًا لمذكرات الرئيس الراحل أنور السادات ومذكرات المشير عبد الغني الجمسي عن حرب أكتوبر 1973 (وهذا يعكس التأثير الاستراتيجي العميق لتنفيذ هذه المهمة على إسرائيل).

- تجدر الإشارة إلى أنه مع التزام الكاتب بمنطوق المهمة كما صيغت عسكريًا بمعرفة قيادة القوات البحرية، فإن هذه المهمة تصاغ من منظور الاستراتيجية البحرية كالآتي: "فرض الحصار البحري (Na-val Blockade) على الموانئ الإسرائيلية في البحر الأحمر"، و قد افتديت هذه الصياغة لأسباب جيوسياسية وقتها؛ مع الوضع في الاعتبار الوجود البحري الدائم للأساطيل الأمريكية والسوفيتية في منطقة المحيط الهندي والتي تمثل منطقة الجوار القريب للبحر الأحمر، وهو ما يعكس إلمام قيادة القوات البحرية بجميع الاعتبارات السياسية والعسكرية المرتبطة بدور ومهام القوات البحرية، وذلك كنتيجة مباشرة للتنسيق السياسي العسكري الذي حدث لأول مرة في التخطيط لحرب 1973. إن هذه المهمة تعكس أيضًا التخطيط المبتكر والفكر اللامع غير المسبوق والتنفيذ الكفء المنضبط الذي كان من السمات الرئيسية لقواتنا البحرية المجيدة في حرب 1973 للأسباب الآتية:

- إن باب المندب كان في منطقة الظل من منظور اهتمامات القوى الإقليمية في ذلك الوقت؛ فلم ينل أي اهتمام إلا من القوى العظمى فقط(. وبطبيعة الحال، يختلف الموقف الآن؛ فمنطقة باب المندب تموج بالوجود البحري الإسرائيلي والإيراني والتركي والإماراتي والسعودي والصيني والياباني والفرنسي والأمريكي وغير ذلك، مما يدفع للقول إن القوات البحرية المصرية سبقت كل القوى الإقليمية في الاستخدام الجيواستراتيجي لمضيق باب المندب. وكان هذا الاستخدام فعالًا، حيث أثر سلبًا في العدو، كما كان منضبطًا حيث تماشى مع قواعد القانون الدولي للبحار، كما كان آمنًا حيث أبعدت الوحدات عن مدى عمليات القوات الجوية والبحرية الإسرائيلية.

- لم يكن من الممكن تنفيذ هذه المهمة في منطقة شمال البحر الأحمر أو في منطقة وسط البحر الأحمر في ضوء التفوق الجوي الإسرائيلي على القوات الجوية المصرية (خارج مدى صواريخ الدفاع الجوى التي تم تركيز مواقعها لحماية الجيوش الميدانية العاملة على طول قناة السويس وبعض الأهداف الاستراتيجية في العمق مثل القاهرة وميناء الإسكندرية وبعيدًا عن مسرح عمليات البحر الأحمر بصفة عامة. هذا بالإضافة إلى ضعف منظومات الدفاع الجوي للمدمرات العاملة في تنفيذ هذه المهمة نتيجة لتصميمها في الحرب العالمية الثانية وبنائها بعد الحرب مباشرة في عام 1949 واعتماد هذه المنظومات على المدفعية التي توجه بالتنشين المكشوف أي بالنظر فقط، وبالتالي لا يكون هذا التوجيه إلا نهارًا. وقد تغلب المخطط على كل ذلك بتحريك مسرح العمليات بعيدًا عن إمكانيات القوات الجوية الإسرائيلية التي تمثل التهديد الرئيس للمدمرات المنفذة للمهمة، وكذا عن قواتها البحرية باختيار منطقة باب المندب لتنفيذ المهمة.

- لم يخطر على بال القيادات العسكرية في إسرائيل أن تذهب العمليات جنوبًا إلى هذا الحد (سبق أن قال "شارون" ذلك في أحد لقاءاته التليفزيونية).

- تم اختيار موقع انتظار الغواصة في وسط البحر الأحمر. وعلى الرغم من قربه النسبي لمطارات العدو في سيناء وقواعدة البحرية في رأس محمد فإن العدو لم يكن يملك أي إمكانيات لمكافحة الغواصات. وهذا أيضًا يعكس تفوق المخطط المصري في استغلال نقاط ضعف القوات الإسرائيلية لأقصى درجة في ذلك الوقت. كما أن قواته الجوية لا تشكل أي خطورة على الغواصات التي تعمل غاطسة. هذا بالإضافة إلى أن هذا الموقع يمكن الغواصة من الاشتباك بما لا يتناقض مع القانون الدولي تفاديًا لاستفزاز أي قوى عظمى؛ فهي تعمل داخل منطقة العمليات الحربية المعلن عنها داخل الحدود المصرية البحرية وأمام المياه الإقليمية.

- حطمت هذه المهمة جزءًا مهمًا من نظرية الأمن الإسرائيلية والتي كانت مبنية على أن السيطرة على شرم الشيخ ومضايق تيران واحتلال شرم الشيخ سيضمن للقوات

البحريـة الإسـرائيلية السـيطرة البحريـة فـي منطقـة خليجـي السـويس والعقبـة.

- براعـة خطـط الخـداع التعبـوي التـي أمنـت فتـح هـذه القـوات الكبيـرة إلـى مناطـق

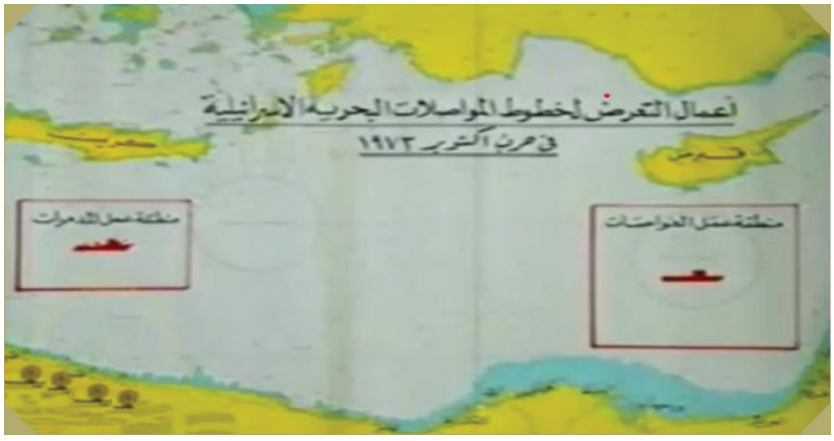

عملياتهـا حيـث فتحـت أكثـر مـن 50 وحـدة بحريـة إلـى مناطـق عملياتهـا بالبحـر المتوسـط والأحمـر والتـي بـدأت قبـل بـدء العمليـات بشـهر تقريبًـا دون لفـت نظـر العـدو. ومما سـبق هـذا الفتـح مـن أنشـطة لوجستية تتعلـق بمعاينة الموانئ والأرصفة والتجهيـزات الملاحيـة وبنـاء تكديسـات الوقـود الخـاص بالمدمـرات والذخائـر وغيرهـا دون لفـت أنظـار العـدو أو أي مـن القـوى العظمـى الموجـودة فـي المنطقـة.

2. **فـي البحـر المتوسـط:** تـم اتّبـاع الأسـلوب نفسه، حيث قامت المدمرات بالمرور جنوب جزيـرة كريـت، واحتلـت الغواصـات أماكـن انتظـار فـي شـرق البحـر المتوسـط، وذلـك وسـط وجـود كثيـف لوحـدات الأسـطول السـادس الأمريكـي والمجموعـة الخامسـة مـن الأسـطول السـوفيتي. وقـد تمركـزت المدمرات المشاركة في تنفيذ المهمة على الموانئ الليبيـة. وبالنسـبة **إلـى نتائـج تنفيـذ المهمـة فـي البحـر المتوسـط**، فقـد نُشـر في جريـدة "جيروزاليـم بوسـت" الإسـرائيلية أن عـدد السـفن التـي دخلـت ميناءي حيفـا وأشـدود فـي شـهر نوفمبـر 1973 كان 17 سـفينة بـدلًا مـن 198 سـفينة فـي الشـهر نفسـه عـام 1972.

ثانيًا: مهمة دعم أعمال قتال القوات البرية العاملة على المحاور الساحلية في البحرين المتوسط والأحمر

ولفهـم كيفيـة هـذا الدعـم، تجـدر الإشـارة إلـى أنـه يجـرى مـن خلال ثلاث مهـام تكتيكيـة؛ المهمـة التكتيكيـة الأولـى: هـي دعـم القـوات البريـة بالنيـران باسـتخدام المدفعيـة السـاحلية طبقًـا لمداهـا وباسـتخدام الصواريـخ المحمولـة علـى متـن الوحـدات البحريـة لضـرب أهـداف محـددة فـي عمـق العـدو. والمهمـة التكتيكيـة الثانيـة: هـي تدميـر وحـدات العـدو البحريـة بالبحـر وقبـل وصولهـا إلـى مناطـق التأثيـر فـي القـوات المصريـة البريـة بالنيـران أو للقيـام بعمليـات الإبـرار. المهمـة التكتيكيـة الثالثـة: هـي القيـام بعمـل النقـل والإمـداد والإخلاء. وقـد قامـت القـوات البحريـة المصريـة الباسـلة بتنفيـذ جميـع هـذه المهـام بكفـاءة واقتـدار. وفيمـا يلـي، يمكـن إلقـاء الضـوء علـى نبـذة مختصـرة عـن تنفيـذ بعـض هـذه المهـام.

1. **في البحر المتوسط:**

أ- الإغـارة بالنيـران علـى رأس بيـرون ليلـة 6، 7 أكتوبـر:

تقـع رأس بيـرون علـى رأس بحيـرة البردويـل علـى مسـافة 80 كـم مـن بورسـعيد، وقـد كان بهـا 2 سـرية مشـاة وسـرية ناحـال وسـرية دبابـات ومدفعيـة عيـار 175 مـل ومخـازن شـئون إداريـة، وبهـا تجهيـزات لاسـتقبال عـدد مـن الوحـدات البحريـة التـي يمكـن أن تعـدد قـوات الجيـش الثانـي الميدانـي العاملـة علـى المحـور السـاحلي. يُشـار إلـى أن الوحـدات المثلـى لتنفيـذ هـذه المهمـة هـي المدمـرات باسـتخدام مدفعيتهـا عيـار 130مـل، إلا أنـه يتعـذر دفـع المدمـرات إلـى هـذا العمـق داخـل أراضي مسـيطر عليهـا بمعرفـة العـدو في ضـوء تفوقـه الجـوي وضعـف الدفاعـات المضـادة للطائـرات لهـذه السـفن وخاصـة أن فتـرة القصـف سـتكون فـي حـدود 25 دقيقـة مـا يعـرض هـذه الوحـدات لخطـر الهجمـات الجويـة قبـل تنفيـذ مهمتهـا. كمـا أن الوحـدات الصغيـرة السـريعة لا يمكـن اسـتخدامها أيضًـا نتيجـة لصغـر عيـار المدفعيـات المسـلحة بهـا هـذه الوحـدات (25 مـل، 30 مـل). وقـد كان الحـل فـي تنفيـذ فكـرة مبتكـرة، حيـث اسـتخدمت لانشـات الطوربيـد بعـد إجـراء تعديـل رئيسـي عليهـا بتغيـر تسـليحها ونـزع أنابيـب الطوربيـد وتركيـب عـدد 2 قـاذف مدفعيـة صاروخيـة طـراز (BM21) المسـتخدم فـي القـوات البريـة علـى كل لانـش يمكـن إطلاقهـم خلال زمـن 40ثانيـة، وكان هـذا الاسـتخدام الأول للانشـات الطوربيـد فـي أعمـال قصـف السـاحل.

يشـار إلـى أن هـذا التعديـل تطلـب إجـراء تعـديلات فنيـة رئيسـية للانـش، والـذي قامـت بـه الـورش الرئيسـية بالقـوات البحريـة. وبعـد تمـام القصـف، تدخلـت القـوات الجويـة الإسـرائيلية، واسـتخدمت طائـرات الهيلكوبتـر المسـلحة بالصواريـخ الموجهـة بالسـلك المضـادة للدبابـات، وتصـدت لهـا مجموعـة لانشـات الصواريـخ التـي تقـوم بأعمـال التغطيـة والحمايـة، وكانـت الخسـائر هـي عـدد 1 لانـش صواريـخ.

ب- اشـتراك المدفعيـة السـاحلية البحريـة فـي التمهيـد النيرانـي:

قصف النقطة الحصينة في الكيلو 10 جنوب بورفؤاد وطوال فترة العمليات حيث تكرر مشاركتها في العديد من المهام النيرانية.

ج- منع وحدات العدو البحرية من معاجمة قواتنا البرية العاملة على المحاور الساحلية بالنيران أو بالإبرار:

فقد تصدت القوات البحرية لوحدات العدو التي حاولت الاقتراب من شمال بورسعيد وشمال البرلس، وحدثت العديد من المعارك التصادمية. وسيلقى الضوء على عدد منها كالآتي:

- **معركة بلطيم ليلة 9/8أكتوبر:**

عقب النجاح الباهر الذي حققته قوات الجيش الثاني الميداني الباسلة يوم 8 أكتوبر بصد الهجوم الإسرائيلي المضاد وتدمير 90 دبابة، كلفت القوات البحرية الإسرائيلية بتنفيذ مهمة قصف مواقع عسكرية للجيش الثاني الميداني غرب القناة، وفقًا للشبكة الدولية عن المعارك البحرية في حرب 1973، فدفع تشكيل مكون من 6 لانشات إسرائيلية طراز سعر شمال بورسعيد، فتصدت لها 4 لانشات صواريخ مصرية مبحرة من الإسكندرية، واشتبكت معها في معركة استخدمت فيها الصواريخ سطح/سطح المضادة للسفن. واستخدمت إسرائيل الإجراءات الإلكترونية السلبية والإيجابية وأساليب المناورات لتفادي الصواريخ المصرية. وكانت هذه المعركة هي المعركة الثانية في تاريخ البحريات العالمية بين وحدات تحمل صواريخ سطح/سطح مضادة للسفن. وقد تمثلت نتائج المعركة في منع اللانشات الإسرائيلية من الاقتراب من جانب القوات المصرية العاملة على المحاور الساحلية وتدمير لانش صواريخ إسرائيلي وتدمير وإصابة عدد 2 لانش صواريخ مصري.

على المنوال نفسه، تكررت محاولات القوات البحرية الإسرائيلية الاقتراب من السواحل المصرية ليلة 10 أكتوبر و17 أكتوبر للتأثير في حركة النقل البحري من وإلى ميناء الإسكندرية وعلى أعمال قتال القوات البرية المصرية (قوات الجيش الثاني الميداني)، وتصدت لها الوحدات البحرية المصرية في معارك تصادمية وبالاشتراك مع المدفعية الساحلية لمنعها من تنفيذ مهامها.

2. في البحر الأحمر:

أ- قصف قاعدة رأس محمد (شرم الشيخ) بالصواريخ الموجهة وغير الموجهة: حيث وجهت هجمة صاروخية باستخدام صواريخ سطح/سطح الموجه والصواريخ غير الموجه عيار 240 مل لقصف الوحدات البحرية الإسرائيلية المتمركزة في منطقة شرم الشيخ ورأس محمد وتنكات البترول ومناطق الشئون الإدارية عدة مرات خلال الحرب.

ب- قصف أهداف العدو البحرية في رأس مسلة ورأس سدر: حيث نفذت عدة هجمات بالصواريخ غير الموجهة عيار 122 مل والمحملة على لانشات خفيفة في رأس مسلة ورأس سدر.

ج- أجريت عدد من أعمال الإغارة بقوات الصاعقة على المواقع نفسها عدة مرات.

د- استخدمت المدفعية الساحلية المتمركزة بالسويس وخليج السويس بكثافة لتقديم المعاونة النيرانية.

ختامًا، كل التحية لشهداء مصر الأبرار في كل العصور، ولشعب مصر العظيم (رمز الإصرار والصمود والتحدي على مدى التاريخ)، ولروح الزعيم "جمال عبد الناصر"، ولروح ابن مصر البار القائد المحنك "محمد أنور السادات"، ولأرواح قادة القوات المسلحة العظام الذين قادونا إلى النصر. وسلامًا على كل من خاض هذه الحرب ولا يزال على قيد الحياة، كفاهم فخرًا أنهم لبوا نداء الوطن وكانوا درعه وسيفه في مرحلة عصيبة من تاريخه الطويل. والشكر موصول للقيادة السياسية التي وعت أهمية عدم الإخلال بالتوازن البحري الإقليمي في منطقة شرق البحر المتوسط والبحر الأحمر، والتي شهدت تطويرًا غير مسبوق للقوات البحرية في التسليح والتنظيم والتدريب والبنية الأساسية ضمن مخطط التطوير الشامل للقوات المسلحة الباسلة كي تقوم بدورها الدائم في حماية وتأمين حدود مصر المائية (الإقليمية والمجاورة وذات الأهمية الإقتصادية) وحماية مواردها الطبيعية ومصالحها في أعالي البحار.

تداعيات حرب أكتوبر 1973 على نظرية الأمن الإسرائيلي

تمكنت حرب أكتوبر 1973 من تحطيم نظرية الأمن الإسرائيلي والتي بنيت في جزء منها على الترويج لامتلاك إسرائيل جيشًا لا يهزم، وعلى التمسك بالحدود الآمنة، وهو ما ثبت عدم مصداقيته بعد أن اتخذت مصر وسوريا قرار الحرب. كما تعد تلك الحرب فشلًا للاستخبارات الإسرائيلية ونموذجًا لتعميتها عن مصادر التهديد بعد أن عجزت عن توقع الحرب في ظل النجاح الساحق في تنفيذ خطة الخداع الاستراتيجي التي نجحت في أحد جوانبها في إخفاء توقيت الحرب على جميع دول العالم بأجهزتها المخابراتية، كما تشكل الحرب مثالًا لكيفية إفشال الاستخبارات المعادية ومعاونيها.

اللواء أ.ح. م/ عـــز الدين عبد الرحمن عوف

مستشار مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة،

بأكاديمية ناصر العسكرية العليا

ومن ثَمّ، ليس من قبيل المبالغة القول إن الانتصار في تلك الحرب المجيدة لا يعدو كونه انتصارًا عبقريًا بالمقاييس الاستراتيجية العسكرية وأدبياتها المعروفة؛ فقد تمكن الجيش المصري من كسب أغلب المعارك، وحقق الهدف من الحرب طبقًا للتوجيه السياسي-العسكري للرئيس الراحل "أنور السادات". فقد تمكنت تلك الحرب من تحرير جزء محتل من أرض الوطن، ومحو هزيمة عام 1967 (التي كانت هزيمة بلا حرب)، وإعادة فتح قناة السويس لخدمة التجارة الدولية وكمصدر مهم للدخل القومي.

أولًا: نظرية الأمن الإسرائيلية

يتأسس الأمن القومي الإسرائيلي على جملة من المبادئ التي لا تعدو كونها توجيهات عامة للقيادة السياسية الإسرائيلية على تعاقبها. ومن أبرز تلك المبادئ ما يلي:

- ستتصرف دولة إسرائيل بشكل عام على أساس استراتيجية دفاعية تهدف إلى ضمان وجودها.
- شن حملة بين الحروب والحفاظ على استعدادات عالية بهدف تحقيق نصر واضح خلال الحرب.
- تجنب الحرب وتأجيل المواجهات وعدم الرغبة في خوض معارك عسكرية وتأجيل الصراعات كلما أمكن.
- محدودية الموارد المادية والبشرية، والخلل بين قدرات الخصوم، ووجود إسرائيل في وضع غير مؤات مقارنة بأعدائها، ولا بد من تعويض ذلك بالتفوق النوعي.
- نقل المعركة إلى أراضي العدو جراء غياب العمق وتزايد احتمالية استهداف الأصول الاستراتيجية والبنى التحتية الحيوية بفعل تركزها على طول الخط الساحلي.
- أساليب الحرب القصيرة الحاسمة بالنظر لصعوبة استمرار التعبئة لفترات طويلة، وتقليص مدة القتال وتحقيق أهداف المعركة في أقصر وقت ممكن.
- قابلية الحدود الدفاع عنها اعتمادًا على السيطرة الأمنية المستقلة بالكامل.
- ضرورة تمتع الجيش بتفوق نوعي على الجيوش العربية في عدة مجالات منها؛ أنظمة التسليح والتنظيم والتدريب وأساليب الاستخدام القتالي للقوات.
- اتباع أساليب استخدام قتالي تحقق اختراقاً سريعاً لدفاعات وأراضي الخصم والوصول إلى عمقه، بالاعتماد على أنظمة تسليح هجومية (ثنائي الطائرة والدبابة) ووفقًا لأساليب الاقتراب غير المباشر والعمل من خطوط داخلية (نقل الحرب من اتجاه لآخر طبقًا لأسبقية التهديد).
- خلق عمق صناعي من خلال شبكة المستعمرات والمستوطنات التي أقامتها على حدودها وداخلها وفي الأراضي العربية المحتلة.
- التحالف مع قوة دولية كبرى تدعم إسرائيل قبل وفي أثناء وبعد الحرب، خاصة إذا ما خرجت نتائج العمليات العسكرية عن الحسابات التي افترضتها إسرائيل وأوشكت على الهزيمة أو كانت في حاجة ماسة لكبح سياسي وعسكري لخصومها يفوق قدراتها.

ويستخلص من ذلك أن الأمن القومي الإسرائيلي له خصوصية تجعله شاذًا عن تعريفات الأمن القومي للدول عمومًا؛ كونه يشمل كل الأنشطة والفاعليات الحيوية، مثل: القوة العسكرية، وبناء مؤسسة الجيش، ومشاركة كل سكان الدولة في ذلك الجيش كجيش احتياط، مع تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتوسيع دائرة الاستيطان، وتخفيف الهجرة إلى الخارج، وتقوية الاقتصاد القومي، والنشاط الدبلوماسي الخارجي لتأمين متطلبات الأمن، إضافة إلى التربية والتعليم، وتقوية الجبهة الداخلية. ونتيجة لانعدام العمق الاستراتيجي، تولي القيادة الإسرائيلية اعتبارات "الأمن العسكري" قدرًا كبيرًا من الاستقلال الذاتي، وتعطي المؤسسة العسكرية حرية كبيرة في العمل، مما يمكّنها من استخدام إمكانياتها المتاحة لأغراض تتجاوز التحذير والإحباط والضربة الوقائية، وصولًا إلى تحقيق "الردع".

فوفقًا لرئيس الوزراء الإسرائيلي السابق "دافيد بن غوريون"، فإن الأمن القومي الإسرائيلي بني على مبدأين مركزيين؛ هما: جيش الشعب، والثالوث الأمني؛ إذ يتحقق الأول من خلال فرض التجنيد الإجباري على جميع الإسرائيليين كجنود احتياط، فيما تأسس الثاني على ثلاثة أسس؛ هي: الردع، والإنذار، والحسم. ويتحقق الردع بشن هجمات انتقامية مدمرة تستهدف الخصم، مما سيردعه عن مهاجمة إسرائيل تجنبًا لرد فعلها. فيما يتحقق الإنذار المبكر بإيجاد قوة استخبارية متفوقة يمكنها التنبؤ بنوايا الخصم وإحباط خططه قبل أن يقدم على تنفيذها. فيما يتحقق الحسم بتقصير مدة الاشتباك من خلال توجيه ضربة قوية وحاسمة للعدو.

وقد اتجه الخبراء الاستراتيجيون ومراكز الدراسات والبحوث المتخصصة إلى مراجعة مبادئ ومفهوم الأمن الإسرائيلي، وفي هذا الإطار حدد تقرير "مريدور" (الذي أُعدّ في العام 2006) تسعة مبادئ لعقيدة الأمن القومي الإسرائيلي؛ وهي: منع أي تهديد أمني، والمزج بين المنع وتحقيق الردع باستخدام الدفاع والهجوم، والمحافظة على القوة العسكرية، والاعتماد على الذات الإسرائيلية، وتمتين العلاقة مع الولايات المتحدة، مع السعي لبناء علاقات استراتيجية مع القوى الدولية المؤثرة، ومراعاة الاعتبارات القانونية والأسس الأخلاقية

عنـد اسـتخدام القـوة، والاسـتمرار فـي تبنـي مبـدأ جيـش الشـعب، والسـعي إلـى تطويـر القـدرات الإداريـة والتكنولوجيـة للجيـش، والموازنـة بيـن الجانـب التنمـوي والاجتماعـي والجانـب الأمنـي.

ويمكـن القـول إن هنـاك مبـادئ ومرتكـزات جديـدة طـرأت علـى نظريـة الأمـن الإسـرائيلي ودخلـت فـي سـياق الصياغـة الشـاملة للعقيـدة الأمنيـة الإسـرائيلية، مثـل مبـدأ الاسـتيعاب أو الامتصـاص كبديـل لمصطلـح الدفـاع؛ ويشـير إلـى منـع المقاومـة مـن اسـتخدام القـوة لفتـرة زمنيـة طويلـة للحـد مـن الأضـرار المحتملـة، وهـو مـا يتحقـق مـن خلال اسـتخدام الجيـش الإسـرائيلي لمختلـف وسـائل الدفـاع الجـوي الحديثـة مـع امـتلاك قـدرات هجوميـة مركّـزة تحـول دون أي عـدوان مفاجـئ، بجانـب حرمـان المقاومـة مـن إمكانياتهـا العسـكرية لا سـيما علـى صعيـد القـوة الصاروخيـة. هـذا إلـى جانـب مبـدأ الإعاقـة لمنـع فصائـل المقاومـة مـن تطويـر قدراتهـا العسـكرية النوعيـة، ومبـدأ التقويـض أو الإحبـاط المركّـز بمعنـى تدميـر قـدرات باتـت موجـودة بالفعـل لـدى الخصـوم، ومبـدأ الشـلل بمعنـى اتخـاذ قـرار البـدء بهجـوم عسـكري ضـد الخصـوم لحرمانهـم مـن قدراتهـم الأساسـية، وغيـر ذلـك.

ثانيًا: تداعيات حرب أكتوبر 1973 على نظرية الأمن الإسرائيلي

كان مـن المفتـرض أن تقـدم أجهـزة الاسـتخبارات الإسـرائيلية تحذيـرًا قبـل يومين علـى الأقـل مـن وقـوع الحـرب، كـي يتمكـن الجيـش مـن اسـتدعاء قـوات الاحتيـاط وتعبئتهـا ونشـرها علـى الجبهـات مـن ناحيـة، وتقييـم مـدى الحاجـة إلـى هجـوم جـوي وقائـي لتعطيـل الاسـتعدادات العربيـة للحـرب مـن ناحيـة أخـرى. وقـد سـبق أن أقـرت الاسـتخبارات العسـكرية ووعـدت القيـادة السياسـية لإسـرائيل فـي عـام 1972 بـأن يكـون التحذيـر قبـل 6-5 أيـام مـن وقـوع أي هجـوم محتمـل، لكنهـا لـم تقـدم تحذيـرًا مبكـرًا قبـل الهجـوم، علـى الرغـم مـن المعلومـات المقدمـة مـن بعـض العناصـر المعاونـة بشـأن الاسـتعدادات، ووجـود الكثيـر مـن المؤشـرات الاسـتخباراتية التـي أظهـرت الحشـد المكثـف للجيـوش العربيـة. إن حجـم الفشـل الاسـتخباراتي الإسـرائيلي فـي عـام 1973 لا يـزال مـذهلًا بعـد مـرور أكثـر مـن خمسـين عامًـا، فقـد تزامنـت الحـرب مـع أقـدس يـوم فـي السـنة اليهوديـة (أي يـوم الغفـران). ولـذا، وعلـى مـدى أكثـر مـن خمسـين عامًـا، تعـددت الكتابـات التـي فسـرت كيفيـة حـدوث وأسـباب ذلـك الفشـل الـذي أدى إلـى هـدم نظريـة الأمـن الإسـرائيلي، حتـى إن إسـرائيل لـم تتمكـن مـن تجنـب الهزيمـة القاسـية إلا عندمـا قدمـت الولايـات المتحـدة إمـدادات عاجلـة ضخمـة مـن المعـدات والأسـلحة.

كانـت حـرب أكتوبـر1973 هـي بدايـة تدميـر نظريـة الأمـن الإسـرائيلي، نظـرًا لفاعليـة خطـة الخـداع الاسـتراتيجي. فقـد واكـب الإعـداد والتخطيـط القتالـي للحـرب وحتـى صبـاح يـوم الحـرب خطـة موازيـة للخـداع الاسـتراتيجي علـى الأصعـدة السياسـية العسـكرية والاقتصاديـة والاجتماعيـة داخليًـا وخارجيًـا. ويمكـن القـول إن النجـاح الكبيـر الـذي حققتـه هـذه الخطـة كان هـو أول مفاتيـح النصـر، فقـد ظلـت القيـادة الإسـرائيلية غيـر متيقنـة مـن حـدوث حـرب شـاملة حتـى مسـاء يـوم 4 أكتوبـر، حيـن قـدم مديـر المخابـرات العسـكرية آنـذاك "إلـي زاعيـرا" تقريـره بـأن مـا يحـدث علـى قنـاة السـويس هـو شـبيه بمنـاورة شـهر مايـو 1973 بعـد متابعاتـه لأعمـال التنصـت المتقدمـة، وأوصـى المجلـس برفـع درجـة الجاهزيـة القتاليـة لأجـزاء مـن القـوات الجويـة احترازيًـا.

بنيـت خطـة الخـداع الاسـتراتيجي علـى عـدة أمـور؛ منهـا قبـول زيـارة وزيـر الدفـاع الرومانـي لمصـر فـي 8 أكتوبـر، وإرسـال ممثـل للرئيـس السـادات إلـى الولايـات المتحـدة للتباحـث، والاجتمـاع السـري لمجلسـي الدفـاع الوطنـي المصـري والسـوري فـي الإسـكندرية، وإخفـاء توقيـت الحـرب عـن الـدول العربيـة الداعمـة، والتنسـيق السياسـي لإغلاق بـاب المنـدب، وتأخيـر إغلاق المجـال الجـوي فـوق مصـر لآخـر لحظـة، وتأخيـر إطفـاء شـعلات حقـول الغـاز لآخـر لحظـة، واسـتيراد ماكينـات ضـخ ميـاه فتـح السـواتر الرمليـة، والتركيـز علـى المـراد توصيلـه إلـى العـدو، مثـل إعلانـات الحـج والعمـرة فـي بدايـة رمضـان للضبـاط والمتطوعيـن وأسـرهم، والتركيـز علـى الصحـف التـي تحصـل عليهـا السـفارات الإسـرائيلية فـي أوروبـا وخاصـة لنـدن وباريـس، والاحتفـاء بمـن عـادوا مـن الاسـتدعاء التدريبـي السـنوي الكبيـر لمنـاورات الخريـف مـن سلسـلة تحريـر (1) و(2) و(3) حتـى أكتوبـر عـام 1973، وغيـر ذلـك.

نتيجـة نجـاح خطـة الخـداع الاسـتراتيجي، خسـرت إسـرائيل عناصـر المفاجـأة والمبـادأة والحـرب الخاطفـة، وأُجبـرت علـى حـرب ترهقهـا اقتصاديًـا نظـرًا لكبـر نسـبة التعبئـة فـي الجيـش الإسـرائيلي إلـى قـوة العمـل، فهـي الأعلـى دوليًـا بنسـبة (16٪) للذكـور وحتـى (25٪) بإدخـال الإنـاث، علمًـا بـأن المعـدل الدولـي هـو (1.5-1)٪ مـن عـدد السـكان، ولـم يتبـق لإسـرائيل إلا مبـدأ الحليـف القـوي المتمثـل فـي دعـم الولايـات المتحـدة سياسـيًا وعسـكريًا الـذي وصـل فـي صـورة معـدات وإمـدادات عسـكرية اعتبـارًا مـن يـوم 10 أكتوبـر إلـى مطـار العريـش بسـيناء.

ختامًـا، إن انتصـارات حـرب أكتوبـر أثبتـت هزيمـة نظريـة الأمـن الإسـرائيلي، فقـد خسـرت إسـرائيل عناصـر المفاجـأة والمبـادأة والحـرب الخاطفـة، وأُجبـرت علـى حـرب ترهقهـا اقتصاديًـا، وقـد سـبقتها حـرب الاسـتنزاف التـي أدت لاهتـزاز نظريـة الأمـن الإسـرائيلي. تلـك النظريـة التـي بنيـت علـى أسـاس التخويـف النفسـي والسياسـي والعسـكري ليسـت درعًـا مـن الفـولاذ. والآن وعقـب طوفـان الأقصـى، تبحـث إسـرائيل عـن بديـل لنظريـة الأمـن الإسـرائيلي، نتيجـة تدميـر مرتكزاتهـا بعـد تطويرهـا؛ فهـي بصـدد البحـث عـن "نمـوذج جديـد" وبنـاء نظريـة أمـن جديـدة.

حرب أكتوبر المجيدة.. من الإعداد إلى النصر: خلاصـــات تحليليـــة

تُعد حرب أكتوبر المجيدة إحدى أهم صفحات النضال الوطني المصري الحديث والمعاصر، فقد مضى ما يزيد على خمسين عامًا على انتصار شعب وجيش مصر في ملحمة العاشر من رمضان، السادس من أكتوبر عام 1973، فقد كان انتصارًا مؤزرًا ضحى فيه شهداء الوطن بأرواحهم فداء له.

لواء أ.ح.د/ محمد عبد الخالق قشقوش

عضو الهيئة الاستشارية

المركز المصري للفكر والدارسات الاستراتيجية

أولًا: حرب الاستنزاف والإعداد لحرب التحرير الحتمية

تتسم المرحلة المهمة بين هزيمة حرب عام 1967 ودروسها المستفادة من ناحية، وبين انتصار حرب أكتوبر عام 1973 من ناحية ثانية، بالقصر النسبي (إذا ما قورنت بالمدة التي احتاجتها ألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى للإعداد للحرب العالمية الثانية 1918 - 1939 أي 21 عامًا).

وقد انقسمت تلك الفترة الزمنية إلى ثلاث مراحل، تدرجت صعودًا وقوة في مواجهة العدو ارتباطًا بالتسلح الوارد تدريجيًا من الاتحاد السوفيتي. فبدأت بمراحل الصمود، ثم التصدي، ثم الردع، وقد كانت المرحلة الأخيرة ردًا على توغل الطيران الإسرائيلي في العمق المصري، وكان الرد هو بناء حائط صواريخ الدفاع الجوي، بالتوازي مع القيام بعمليات فدائية في عمق العدو بسيناء، حيث تكبد خسائر كبيرة في الأفراد والأسلحة والمعدات، مع العديد من الأسرى والوثائق، مما أفاد في التخطيط لحرب أكتوبر لاحقًا (وقد شرُفت بقيادة إحدى تلك المجموعات الفدائية، فحصلت ورجالي على نوط الشجاعة من الطبقة الأولى من الرئيس الأسبق جمال عبد الناصر). وقد كانت تلك الخسائر سبب قبول إسرائيل لمبادرة وقف إطلاق النار التي قدمها وزير الخارجية الأمريكي آنذاك "ويليام روجرز" في أغسطس 1970.

ومن الجدير بالذكر أن حرب أكتوبر 1973 كانت حربًا حتمية لتحرير جزء محتل من أرض الوطن الذي هو بمثابة العرض لكل الوطن، هذا بالإضافة إلى محو آثار هزيمة عام 1967 التي كانت هزيمة بلا حرب، رغم أن معظم من شاركوا فيها قد شاركوا لاحقًا في حرب أكتوبر، ولكن مع فارق على صعيد الأخيرة، ممثلًا في دراسة العدو بنقاط ضعفه وقوته للتركيز على الأولى وتحييد الثانية، مع دقة وواقعية التخطيط وجدية التدريب المحاكي للحرب، وخاصة مرحلتي اقتحام قناة السويس وتدمير دفاعات خط بارليف الحصين. كما نبعت الحتمية أيضًا من ضرورة إعادة فتح قناة السويس لخدمة التجارة الدولية من جهة، وكمصدر مهم للدخل القومي المصري من جهة أخرى.

وقد تحتم خوض الجيش المصري تلك الحرب بأسلحة وتكنولوجيا أقل حداثة مما لدى إسرائيل، ويظهر ذلك في التوجيه السياسي العسكري للرئيس الراحل "محمد أنور السادات" بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة حينذاك، بأنه يجب أن نخطط للحرب بما في أيدينا وقتئذ؛ فلن يأتينا ما طلبناه من الاتحاد السوفيتي بما يقارب ما لدى العدو من حداثة وتكنولوجيا في بعض الأسلحة الرئيسية كالقوات الجوية والدفاع الجوي المتحرك (المرافق للقوات) وبعض أنواع الدبابات والحرب الإلكترونية. وكان استمرار الرفض السوفيتي هو سبب طلب الرئيس "السادات" من خبرائهم مغادرتهم مصر، وهكذا كان الإعداد والتخطيط والتنفيذ مصريًا خالصًا.

ثانيًا: خطة الخداع الاستراتيجي

وجب حرمان العدو من قدرته على تنفيذ خطة تعبئة احتياطية (إذ يشكل الاحتياط قرابة ثلثي إجمالي القوات المسلحة الإسرائيلية)، وبالتالي سيخسر العدو بعض أهم عناصر الحرب كالمفاجأة والمبادأة والحشد، لذلك كان التخطيط النموذجي لخطة الخداع الاستراتيجي بمثابة مفتاح النصر؛ كونها واكبت مراحل الإعداد والتخطيط والتدريب القتالي حتى صباح يوم 6 أكتوبر على كل الأصعدة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية داخليًا وخارجيًا. فقد ظلت القيادة الإسرائيلية غير متيقنة من وقوع الحرب حتى مؤتمرها الحاسم مساء يوم 4 أكتوبر، حيث قدم مدير المخابرات العسكرية (أمان) آنذاك الجنرال "إيلي زاعيرا" تقريرًا يفيد بأن ما يحدث على قناة السويس هو شبيه بمناورة شهر مايو 1973 بعد متابعاته التنصتية الدقيقة والمتقدمة.

على المستوى السياسي، تمثلت بعض ملامح خطة الخداع الاستراتيجي فيما يلي:

- قبول زيارة وزير الدفاع الروماني لمصر في 8 أكتوبر1973 بناءً على طلبه وإرسال برنامج مقترح للزيارة ثم الاعتذار له يوم الحرب، وقد تفهم الزائر الموقف.
- إرسال ممثل للرئيس السادات إلى الولايات المتحدة للتباحث بناءً على طلب الجانب الأمريكي، حيث تم التنسيق مساء يوم 5 أكتوبر بين وزير الخارجية الأمريكي آنذاك "هنري كيسنجر" والسفير المصري في واشنطن آنذاك "أشرف غربال"، على إرسال ممثل للرئيس "السادات" للتباحث، وقبل أن يُرد السفير في التاسعة من صباح اليوم التالي (6 أكتوبر بتوقيت واشنطن-الثالثة ظهرًا بتوقيت القاهرة) كانت الحرب قد بدأت بالفعل.
- الاجتماع السري لمجلسي الدفاع الوطني لمصر وسوريا في الإسكندرية، حيث كان التنسيق النهائي للحرب، والذي استمر لمدة يومين، ولم تشعر به أي من القنصليات والهيئات الأجنبية في الإسكندرية خصوصًا وفي مصر عمومًا.
- التنسيق السياسي لإغلاق باب المندب تحت ستار إجراء عمرات لمدمرات مصرية في الخارج ومع اليمن (صنعاء) لإغلاق الممر الملاحي البحري بالتمركز في جزيرة (بريم) ومنع الملاحة من وإلى إيلات، بما في ذلك البترول القادم من إيران المُورد الوحيد، حيث أوقفت المدمرات المصرية سفن البترول لمدة قرابة 4 أشهر وحتى فض الاشتباك.

على المستوى الاقتصادي، تمثلت بعض ملامح خطة الخداع الاستراتيجي فيما يلي:

- تأخير إغلاق المجال الجوي فوق مصر لآخر لحظة، بما يسمح للطيران الدولي بتغيير مساراته إلى مسارات بديلة قبل وصوله إلى الأجواء المصرية.
- تأخير إطفاء شعلات حقول الغاز لآخر لحظة في حقول غاز خليج السويس وشمال البحر الأحمر المواجهة للعدو عبر خليج السويس حتى لا تكون ملفتة للنظر.
- استيراد ماكينات ضخ مياه فتح السواتر الرملية بدءًا من بريطانيا ثم من ألمانيا تحت ستار مشروعات زراعية كبرى.

على المستويين الإعلامي والاجتماعي، تمثلت بعض ملامح خطة الخداع الاستراتيجي فيما يلي:

- التنسيق مع إعلام القوات المسلحة، بالتركيز على المراد توصيله إلى العدو مثل إعلانات الحج والعمرة في بداية رمضان للضباط والمتطوعين وأسرهم، والتركيز على الصحف التي تحصل عليها السفارات الإسرائيلية في أوروبا وخاصة لندن وباريس، وكذلك صور ميدانية عن المناورة العسكرية المصرية الأخيرة التي قال عنها قادتها إنها بدأت في أول أكتوبر وستنتهي في السابع منه (أي بعد 6 أكتوبر).
- الفرحة الأسرية بعودة الأبناء من التعبئة في الظروف المتوترة، وكذلك الاحتفاء بمن عادوا من الاستدعاء التدريبي السنوي الكبير لمناورات الخريف من سلسلة تحرير 1 و2 و3 (حتى أكتوبر 1973).
- أما على المستوى العسكري، فقد طال هذا المستوى مناصب عدة تتدرج من أعلاها في وزارة الدفاع إلى مستوى الجندي الذي يصطاد ويسبح في قناة السويس قبل سويعات من الحرب وطبقًا لخطة محددة وموقوتة. وقد تمثلت بعض ملامح خطة الخداع الاستراتيجي فيما يلي:
- التعبئة والتسريح المتكرر.
- التدريب على العبور واقتحام المانع المائي خارج مراقبة العدو، بما في ذلك إنشاء الكباري واستخدام المعديات في مناطق مثل الخطاطبة البعيدة عن مراقبة العدو، مع بناء نماذج مطابقة للساتر الترابي وأحد مواقع خط بارليف الحصين، مع تجربة إبحار اللواء البرمائي في البحر المتوسط ولمسافة أطول من البحيرات المرة التي سيعبرها وقت الحرب.
- التخطيط للهجوم على طول مواجهة قناة السويس ظهرًا بمواجهة حوالي 170 كم وبقوات النسق الأول المحتل لغرب القناة مباشرة والدارس للعدو دون إعادة تجميع وتقليل المواجهات.
- بدء الحرب ظهرًا عكس كل المتبع في توقيتات الحروب التي غالبًا ما تكون عند أول ضوء (بعد الفجر) أو آخر ضوء (بعد الغروب).
- استخدام اللغة النوبية في الاتصالات الحرجة كشفرة مستحدثة عجزت أجهزة فك الشفرات الأمريكية فائقة التكنولوجيا عن حلها!
- وكانت نتائج خطة الخداع الاستراتيجي مبهرة، فقد خدعت العدو ومَن وراءه عن توقيت وكيفية بدء الحرب، ما ساعد على إنجاز وحسم المراحل الصعبة في بداية الحرب، وخاصة اقتحام قناة السويس، كأصعب مانع مائي في التاريخ حتى الآن، ثم قتال وتدمير خط بارليف، كأقوى خط دفاعي في التاريخ حتى الآن أيضًا، وكذلك صد وتدمير الاحتياطيات المدرعة القريبة والتكتيكية قبل إنشاء كباري الاقتحام الثقيلة وعبور الدبابات.

ثالثًا: أهم مراحل إدارة القتال

بدأ القتال بالضربة الجوية المركزة بعدد 220 طائرة، أعقبها التمهيد النيراني وهدير 2000 مدفع لمدة 53 دقيقة، مع استهداف خط بارليف والاحتياطيات القريبة وطرق تقدمها ومراكز القيادة المتقدمة، كما صبت المدفعية خلال أول دقيقة 10500 (دانة) بمعدل 175 طلقة في الثانية. وقد أعقب ذلك اقتحام القناة بالقوارب والبحيرات بالبرمائيات مع بدء التمهيد النيراني وخاصة على خط بارليف، فتدفق إلى مياه القناة 720 قاربًا تحمل 4000 رجل وهم يهتفون: الله أكبر، كما اقتحم اللواء البرمائي بحيرتي التمساح والمرة في زمن قياسي.

وقد رُفعت أعلام مصر على حصون خط بارليف التي تهاوت تباعًا، واستسلم أكبرهما في لسان بور توفيق والقنطرة في وجود الصليب الأحمر، وكذلك مواقع المدفعية في عيون موسى، حيث تحولت تلك المواقع إلى متاحف عسكرية لاحقًا شاهدة على التاريخ.

ومن الجدير بالذكر أن معركة الثغرة تعتبر أكبر أكذوبة إسرائيلية عن حرب أكتوبر 1973، فهي إحدى 8 معارك برية من الحرب، وطبقًا لآراء الخبراء، فقد كسبت مصر 6.5 معارك بينما كسبت إسرائيل 1.5 معركة، وهذا النصف هو الجزء الأول من معركة الثغرة، حيث تسللت القوات غربًا، وفشلت في الاقتراب من الإسماعيلية، وتوجهت لتحاصر السويس، وفشلت في دخولها يوم 24 أكتوبر، ومُنيت بهزيمة كبيرة، ولم تستطع معاودة الهجوم حتى وقف إطلاق النار يوم 28 أكتوبر، بينما كان النصف الثاني لصالح مصر بجدارة؛ حيث تم "حصار الحصار" بكثافة بقوات المظلات

والصاعقة وفرقة الحرس الجمهوري وفرقة ميكانيكية ولواء مدرع، ومن الدعم العربي لواء مدرع جزائري ولواء ميكانيكي مغربي تمهيدًا لتصفية الثغرة مع التخطيط لتدمير الكوبري الوحيد لانسحابهم (فكانوا كفأر في مصيدة)، لذلك احتفلوا بفض الاشتباك طوال الليل للسماح لهم بالخروج من حصار الحصار!

وطبقًا للمفاهيم الاستراتيجية المستقرة، هناك شرطان لتحقيق النصر، أولهما هو كسب أكبر عدد من المعارك المكونة للحرب، وثانيهما وهو الأهم وهو تحقيق الهدف من الحرب، وهو ما حققتهما مصر وفشلت دونهما إسرائيل، وبالتالي لا مجال للمغالطة والمكابرة.

رابعًا: أهم الدروس المستفادة

على المستوى الدولي: غيرت بعض الدول بعض تكتيكات القتال، اقتداء بأن القائد المصري كان في الأمام وخاصة في المستويات الصغرى، لإعطاء المثل ورفع الروح المعنوية لرجاله، رغم زيادة نسبة الخسائر، وهو ما اتبعه معهد المشاة الأمريكي في جورجيا، وجسده بتمثال ضخم لقائد يُشير لرجاله أن يتبعوه، وكتب أسفله "اتبعني" (FOLLOW ME).

على المستوى العربي: أثبتت الحرب إمكانية التكاتف والتنسيق العربي الفعال بالتنسيق القتالي بين مصر وسوريا، وتنسيق الدعم القتالي العربي لكل من مصر وسوريا (للأقرب جغرافيًا) بتفعيل اتفاقية الدفاع المشترك، وحظر تصدير البترول الخليجي المؤثر (وخاصة السعودي) عن حلفاء إسرائيل في الولايات المتحدة وغرب أوروبا، وكذلك الأهمية الاستراتيجية لإغلاق باب المندب في وجه الملاحة الإسرائيلية.

على المستوى الميداني المصري: كان هناك الكثير والكثير، كقتال المشاة بدون دبابات حتى اليوم الثاني للحرب، والاستخدام الماهر للمضادات الخفيفة ضد طيران ودبابات العدو ما كبده خسائر فادحة مع إطلاق حرية الفكر وهو ما نتج عنه هزيمة الساتر الترابي بالمياه المضغوطة، كما تمت التضحية بالتوثيق الإعلامي الحي والمباشر للحفاظ على السرية وخطة الخداع الاستراتيجي.

ختامًا، لا بد من التساؤل عما كان سيحدث لو حظيت مصر من الاتحاد السوفيتي بمثيل ما حظيت به إسرائيل من الولايات المتحدة؟ مع الإشارة تحديدًا إلى القوات الجوية (ميج 25 وسوخوي 20 والمروحيات الهجومية) والدفاع الجوي (صواريخ سام 6 المتحركة والمرافقة للقوات المهاجمة)، بجانب نسبة أكبر من الدبابات المتقدمة تي 62 المعدلة وعناصر متقدمة من الحرب الإلكترونية التي تعمل مع القوات الجوية والدفاع الجوي. والإجابة هي: **ما كان ليوقف قواتنا سوى خط الحدود الدولية.**

ملحمة خالدة: كيف أثرت حرب أكتوبر 1973 في التخطيط العالمي والتاريخ العسكري؟

قال بطل الحرب والسلام والرئيس الراحل "محمد أنور السادات"، أمام مجلس الشعب في 16 أكتوبر 1973، "لست أتجاوز إذا قلت أن التاريخ العسكري سوف يتوقف طويلًا بالفحص والدرس أمام عملية يوم 6 أكتوبر 73، حين تمكنت القوات المسلحة المصرية من اقتحام مانع قناة السويس الصعب، واجتياز خط بارليف المنيع، وعبور الضفة الشرقية من القناة؛ بعد أن أفقدت العدو توازنه.." . إن حرب أكتوبر 1973 لا تعدو كونها معركة وملحمة خالدة غيّرت مسار التاريخ العسكري، وأسقطت المزاعم الإسرائيلية، وأثبتت مدى بسالة الجندي المصري، حتى استمر الاهتمام بها وبتداعياتها طيلة ما يزيد على نصف قرن من اندلاعها.

د. رغدة البهي

رئيس وحدة الأمن السيبراني

المركز المصري للفكر والدارسات الاستراتيجية

أولًا: الاهتمـــام المتجـــدد بحـــرب أكتوبـــر 1973

لا تـزال حـرب أكتوبـر تُـدرس فـي عـدة أكاديميـات عسكرية، ولا يزال العسكريون يحاولون استخلاص الـدروس المسـتفادة منهـا. كمـا تتعـدد المقـالات والتحليـلات المنشـورة ذات الصلـة علـى المواقـع الإلكترونيـة لعـدد مـن الأكاديميـات ومعاهـد الحرب العسـكرية، بـل والدراسـات الأكاديميـة الصـادرة عـن كبـرى المجلات الدولية وأرقى دور النشر العالمية. ومـن ثَـمّ، فإن مـا قاله "السـادات" لـم يكـن مـن قبيـل المبالغة، بـل كان استشرافًا بعيد المدى لتأثير تلك الحرب في التاريخ العسـكري الـذي توقـف بالفعـل أمـام تلـك الحـرب، **بالنظـر إلـى النقـاط التاليـة:**

1. **دفـع الـدول للبحـث والتطويـر:** بفعـل الـدور الاستراتيجي الـذي لعبتـه الحـرب الإلكترونيـة فـي حـرب أكتوبـر 1973، عكفـت كل مـن الولايـات المتحـدة والاتحـاد السـوفيتي فـي أعقابهـا علـى دراسـة تلـك الحـرب دراسـة شـاملة بهـدف اسـتكمال التطويـر والأبحـاث. فوفقًـا لعـدة تحليـلات عسـكرية، وبالنظـر إلـى الدعـم العسـكري السـوفيتي لمصـر والدعـم العسـكري الأمريكـي لإسـرائيل، كانـت تلـك الحـرب وسـيلة لاختبـار عـدة أسـلحة ومعـدات عسـكرية سـوفيتية وأمريكيـة. فعلـى سـبيل المثـال، ومـع اسـتخدام القنبلـة التليفزيونيـة (AGM-65) علـى الجبهـة المصريـة، اتجهـت الولايـات المتحـدة إلـى تصميـم جيـل جديـد مـن الصـاروخ "مافريـك" ألا وهـو الصـاروخ (AGM-45) الموجـه بالليـزر، وهـو يُعـد مـن الصواريـخ الراكبـة لشـعاع الـرادار [1].

2. **اسـتمرار اهتمـام مراكـز الفكـر الإسـرائيلية:** بمناسـبة مـرور خمسـين عامًـا علـى حـرب أكتوبـر 1973، دشـنت إسـرائيل مركزيـن بحثييـن لتحليـل ودراسـة تلـك الحـرب، وقـد تـم إطلاقهمـا رسـميًا فـي 6 أكتوبـر 2023. وقـد تمثـل أولهمـا فـي موقـع أرشـيف وزارة الدفـاع الإسـرائيلية الـذي يضـم أكثـر مـن 6 آلاف وثيقـة تغطـي مختلـف مراحـل الحـرب. أمـا ثانيهمـا فهـو مركـز "دراسـات حـرب يـوم الغفـران" الـذي يضـم عـدة ضبـاط إسـرائيليين متقاعديـن ممـن يهدفـون إلـى نقـل وقائـع الحـرب ودروسـها المسـتخلصة إلـى الأجيـال الإسـرائيلية الجديـدة [2].

3. **المراجعـات المسـتمرة لمخرجـات الحـرب:** عقـدت إسـرائيل مراجعـات داخليـة عـدة شـملت الفتـرة مـن 1974 حتـى عقـد الثمانينيـات لاسـتخلاص الـدروس المسـتفادة مـن تلـك الحـرب، بيـد أن تلـك المراجعـات لـم تكـن كافيـة؛ حتـى اتجهـت إسـرائيل فـي أعقـاب مـرور نصـف قـرن عليهـا إلـى مزيـد مـن المراجعـات التـي تكفـل اسـتخلاص مزيـد مـن الـدروس المسـتفادة، وتُحـدد الفصيـل السياسـي الـذي تسـبب فـي الهزيمـة[3].

4. **تزايـد اهتمـام مراكـز الفكـر الأجنبيـة بالحـرب:** لا تـزال مراكـز الفكـر الأجنبيـة علـى تعـدد دوائرهـا وخلفياتهـا تولـي الاهتمـام بحـرب أكتوبـر 1973 فـي محاولـة للشـرح والتحليـل والتفسـير، ومـن الأمثلـة علـى ذلـك سلسـلة اللقـاءات والحـوارات التـي عقدهـا (The Washington Institute) مـع عـدد مـن الخبـراء والمتخصصيـن فـي أكتوبـر 2023 لفهـم أسـباب الحـرب وانعكاسـاتها الاسـتراتيجية. والجديـر بالذكـر أن ذلـك المعهـد وصـف تلـك الحـرب فـي مقالـه المعنـون "حـرب أكتوبـر 1973: دروس لتحديـات سياسـة الشـرق الأوسـط اليـوم" بأنهـا كانـت حدثًـا زلزاليًـا فـي تاريـخ الشـرق الأوسـط الحديـث، وفجـر صنـع السـلام الحديـث؛ حيـث مثلـت آخـر صـراع عربـي-إسـرائيلي متعـدد الـدول، وقـد شـهدت حظـر تصديـر النفـط لأغـراض سياسـية[4].

كمـا أولـى مركـز "بروكينجـز" الاهتمـام بحـرب أكتوبـر، حيـث أشـار فـي المقـال المعنـون "حـرب أكتوبـر 1973: نظـرة علـى مـا جـرى بعـد خمسـين عامًـا"، والمنشـور علـى موقعـه الإلكترونـي فـي 3 أكتوبـر 2023، إلـى أن تلـك الحـرب حققـت صدمـة وطنيـة فـي الداخـل الإسـرائيلي؛ فقـد أدى الفشـل الاسـتخباراتي وعنصـر المفاجـأة وضعـف أداء القـوات الإسـرائيلية خلال الأيـام القليلـة الأولـى مـن الحـرب، بجانـب العـدد الكبيـر مـن الضحايـا والاعتمـاد علـى إعـادة الإمـداد مـن الولايـات المتحـدة والتكلفـة الاقتصاديـة الضخمـة إلـى حشـد الجمهـور الإسـرائيلي ضـد حكومـة رئيسـة الـوزراء الإسـرائيلية آنـذاك "جولـدا مائيـر" [5].

5. **ثـراء الكتـب المعنيـة والشـارحة:** ورد فـي كتـاب "البندقيـة وغصـن الزيتـون" للصحفـي البريطانـي" دافيـد هيرسـت" أن حـرب أكتوبـر كانـت بمثابـة زلـزال؛ فـلأول مـرة فـي تاريـخ الصهيونيـة حـاول العـرب، ونجحـوا فـي فـرض أمـر واقـع بقـوة السـلاح. فيمـا تسـاءل كتـاب "الأيـام المؤلمـة فـي إسـرائيل" للكاتـب الفرنسـي "جـان كلـود جيبـوه" عـن "السـادات"، ومـا كان يتصـور، وهـو يطلـق فـي السـاعة الثانيـة مـن السـادس مـن أكتوبـر، دباباتـه وجنـوده لعبـور قنـاة السـويس أنـه أطلـق قـوة عاتيـة قـادرة علـى تغييـر هـذا العالـم. وقـد جـاء فـي كتـاب" زلـزال أكتوبـر حـرب يـوم عيـد الغفـران" للكاتـب والمعلـق العسـكري الإسـرائيلي "زئيـف شـيف" أن هـذه الحـرب أثبتـت أن علـى إسـرائيل أن تعيـد تقديـر المحـارب العربـي بعـد أن دفعـت هـذه المـرة ثمنًـا باهظًـا؛ فقـد هـزت حـرب أكتوبـر إسـرائيل مـن القاعـدة إلـى القمـة. أمـا فـي كتـاب "إسـرائيل انتهـاء الخرافـة" للمعلـق العسـكري "أمنـون كابيليـوك"، فقـد ورد أن إسـرائيل سـقطت مـن أعلـى بـرج السـكينة والاطمئنـان الـذي كانـت قـد شـيدته لنفسـها [6].

6. **ثـراء التغطيـة الصحفيـة العالميـة:** تعـددت التصريحـات التـي أوردتهـا الصحـف العالميـة تعليقًـا علـى حـرب أكتوبـر 1973، ولعـل منهـا مـا ذكرتـه صحيفـة "ديلـي تلجـراف" البريطانيـة بقولهـا: "لقـد غيـرت حـرب أكتوبـر -عندمـا اقتحـم الجيـش المصـري قنـاة السـويس واجتـاح خـط بارليـف- مجـرى التاريـخ". وكـذا صحيفـة "التايمـز" البريطانيـة التـي قالـت: "كانـت الصـورة التـي قدمتهـا الصحافـة العالميـة للمقاتـل العربـي عقـب

حرب 1967 هي صورة مليئة بالسلبيات.. أثبت المقاتل العربي وجوده وقدراته". كما ذكرت صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية أن العرب حققوا نصرًا نفيسًا ونصرًا ضخمًا لا مثيل له، تحطمت معه أوهام الإسرائيليين بأن العرب لا يصلحون للحرب .أما صحيفة "الفايننشال تايمز" البريطانية، فقالت إن "الجيوش العربية تقاتل بقوة وشجاعة وعزم.. والمصريون والسوريون ليس كما قيل عنهم أنهم غير قادرين على القتال". [7]

وعقب مضي نصف قرن على تلك الحرب، اتجهت صحف أجنبية مختلفة لنشر مقالات عدة بمناسبة تلك الذكرى. ففي عام 2023، تحدثت مجلة (TIME) إلى خبراء حول تاريخ حرب أكتوبر 1973 والدروس التي نتجت عنها وكيف أعادت تشكيل إسرائيل والمنطقة. وقد دفعت المجلة بأن "حرب كيبور" 1973 بدأت باندلاع المعارك عندما عبرت القوات المصرية قناة السويس، وهاجم الجنود السوريون في الشمال على هضبة الجولان. فتدفقت القوتان عبر خطوط الجبهة الإسرائيلية، واندفعتا نحو الأراضي التي تسيطر عليها إسرائيل تحت وهج شمس بعد الظهر، مدعومين بالمدفعية الثقيلة والطائرات المقاتلة، فقاموا بالمناورة بالدبابات والمركبات المدرعة [8]. أما "رويترز"، فنشرت في عام 2023 مقالًا تحت عنوان "وبعد مرور خمسين عامًا، تتذكر إسرائيل المنقسمة الحرب من أجل بقائها"، وقد دفعت فيه بأن حرب 1973 وضعت إسرائيل على حافة هزيمة كارثية بعد أن بدأت بهجوم مفاجئ على جبهتين من قبل أعمدة الدبابات السورية والكتائب المصرية التي فاجأت القوات الإسرائيلية في بداية يوم كيبور، وهو أقدس يوم في التقويم اليهودي [9].

ثانيًا: ملامح من عبقرية الحرب

إن تخليد ذكرى حرب أكتوبر 1973 واستمرار الاهتمام بها رغم مضي ما يزيد على نصف القرن على اندلاعها لم ينجم من فراغ، بل نجم عن جملة من العوامل التي أسهمت في تغيير التكتيك الاستراتيجي العالمي، وهي العوامل التي **يمكن الوقوف على أبرزها من خلال النقاط التالية:**

1. التفوق الإسرائيلي ومعضلة الحرب غير المتكافئة:

أخذت مصر على عاتقها مهمة تجهيز وتدريب مليون ضابط وجندي مصري ممن عانوا من الآثار النفسية لهزيمة 1967 في مواجهة جيش أكثر جاهزية وأشد تفوقًا. وقد كانت القوات الجوية إحدى أكثر نقاط ضعف الجيش المصري مقارنة بمثيلتها الإسرائيلية؛ ففي مواجهة الطائرات المصرية من طراز "ميج"، كانت مقاتلات "فانتوم (إف-4) الأمريكية هي رأس حربة القوات الجوية الإسرائيلية التي هاجمت قواعد الصواريخ والمطارات المصرية والسورية. فإن شنت القوات البرية المصرية هجومًا عبر سيناء، عجزت القوات الجوية عن توفير الغطاء الجوي المناسب لها أو توجيه ضربة جوية مركزة على الأهداف الحيوية في العمق، وهو ما يرجع إلى عوامل عدة منها خبرة معظم الطيارين المصريين التي لم تتجاوز 1000 ساعة طيران مقارنة بما يزيد على 2000 ساعة طيران للطيار الإسرائيلي [10].

أما المدفعية المصرية، فإنها وإن كانت قوة مكافئة للجيش الإسرائيلي، فإنها واجهت معوقًا رئيسًيا تمثل في "خط بارليف" الذي وُصف بأنها أحد أعقد السواتر غير الطبيعية في العالم، والذي تكون من سلسلة من التحصينات العسكرية على امتداد الساحل الشرقي لقناة السويس كخط دفاع ثابت غرب سيناء، وقد تضمن تحصينات وحواجز دفاعية بناء على اقتراح رئيس أركان الجيش الإسرائيلي آنذاك "حاييم بارليف" الذي حمل خط الدفاع اسمه فيما بعد. وقد شارك خبراء من ألمانيا وبلجيكا والولايات المتحدة في عملية التخطيط له منذ منتصف مارس 1968، وقد استمر العمل عليه سنة كاملة بتكلفة بلغت 500 مليون دولار وبطول 170 كيلو متر وباتساع 12 كيلو متر. وقد تمثل الهدف من إنشائه في: بقاء إسرائيل الدائم في سيناء، وتأمين القوات الإسرائيلية في المنطقة، والحيلولة دون عبور القوات المصرية إلى شرق القناة.

وفي مقدمة التحصينات، وُجد ساتر ترابي تراوح ارتفاعه بين 20 - 22 متر على حافة القناة مباشرة، وبلغ انحداره 45 درجة، وزُرِع بالألغام، ونُصبت شراك خداعية فيه، ما شكّل عقبة أمام عبور العربات والمدرعات. وخلفه، وقعت التحصينات الرئيسية للخط (سلسلتين من الدشم)، ومن قاعدتها هناك أنابيب لقذف النابالم في القناة مباشرة، مما يؤدي إلى تكوين طبقة من اللهب بارتفاع متر واحد، ورفع حرارة المياه إلى درجة الغليان، وبالتالي ردع أي محاولة إنزال بحري أو عبور لقوات الجيش المصري. كما وُزّع 20 مركز مراقبة على طول الخط للإبلاغ عن أي محاولة اختراق. كما أُعدت منصات خاصة للدبابات كنقاط ثابتة للقصف في حالات الطوارئ؛ لتستوعب التحصينات 22 موقعًا دفاعيًا و36 نقطة حصينة [11].

2. نجاح خطة الخداع الاستراتيجي:

تحظى تلك الخطة بتقدير بالغ من قبل الهيئات والمعاهد العسكرية الدولية حتى يومنا الراهن، بالنظر إلى درجة إحكامها وشمول عناصرها وتداعياتها الاستراتيجية. فقد تمثل الأساس في تلك الخطة في رغبة "السادات" في التفوق على التقدم التكنولوجي والتسليحي الإسرائيلي من خلال إخفاء أي استعدادات للحرب على نحو يحول دون أي ضربة اجهاضية للقوات المسلحة. وقد بُنيت تلك الخطة على جملة من الركائز التي **يمكن إجمال أبرزها في النقاط التالية:**

- التأكيد على أن "السادات" والجيش المصري لا يفكرون في الحرب؛ ليستمر وضع "اللا حرب واللا سلم".
- إظهار ضعف مصر اقتصاديًا وعدم قدرتها على الهجوم.
- استيراد مخزون استراتيجي من القمح عن طريق قيام المخابرات العامة بتسريب معلومات مفادها أن أمطار الشتاء قد غمرت صوامع القمح.

- ضخ ومضاعفة العديد من السلع التموينية في المجمعات الاستهلاكية تحت مبرر شراء احتياجات المواطنين في شهر رمضان.
- الإعلان عن تلوث بعض المستشفيات بميكروب يستوجب تطهيرها وإخلاءها تحسبًا لأي حالة طارئة.
- نقل المعدات الثقيلة مثل الدبابات إلى الجبهة من خلال نقل ورش التصليح إلى الخطوط الأمامية، بجانب دفع الدبابات في طوابير بحجة إصابتها بأعطال.
- بناء نماذج لقطاعات خط بارليف في الصحراء الغربية لتدريب الجنود عليها وخداع الأقمار الصناعية من خلال ملء المعسكرات التدريبية بخيام بالية وأكشاك متهالكة.
- إنشاء ساتر ترابي على الضفة الغربية للقناة أمام تمركزات العدو لإخفاء التحركات العسكرية، بجانب عدة سواتر في العمق بزوايا مختلفة، مما رسخ قناعة مفادها أن مصر تتبنى استراتيجية دفاعية لا هجومية.
- استدعاء ضباط الاحتياط ثم الإعلان عن تأجيل الحرب، ورفع درجة التأهب في المطارات والقواعد الجوية (22 - 25 سبتمبر 1973)، ثم الإعلان عن عقد "تدريبات روتينية".
- عقد اجتماع بين الجانبين المصري والسوري لتحديد موعد الحرب (بين 1-5 أكتوبر) مع حضور العسكريين السوريين بالزي المدني على إحدى السفن القادمة إلى الإسكندرية في 21 أغسطس 1973.
- تسريب معلومات للجانب الإسرائيلي تزعم أن مصر ستعقد مناورات شاملة بين يومي 1-7 أكتوبر وليس حربًا شاملة[12].

وإلى جانب ما سبق، يمكن الدفع بأن حسن اختيار توقيت الحرب كان أحد أهم أسباب نجاح خطة الخداع الاستراتيجي؛ فلم يكن اختيار 6 أكتوبر 1973 من قبيل الصدفة، وإنما بُني على دراسة متخصصة للموقف العسكري للعدو وخطة الحرب الهجومية والمواصفات الفنية لقناة السويس؛ من حيث المد والجزر وسرعة التيار واتجاهه وساعات الظلام وساعات ضوء القمر والأحوال الجوية وحالة البحرين الأبيض والأحمر. كما رُوعي اختيار توقيت يتلاءم والجبهة السورية ويتزامن مع إحدى العطلات الرسمية الإسرائيلية، فكان اختيار عيد الغفران "يوم كيبور" لتقويض عمليات التعبئة الإسرائيلية من ناحية، وتوقف بث الإذاعة والتليفزيون من ناحية ثانية. وقد تزامن مع ظروف جوية مناسبة للعبور في ظل قصر فترة الإظلام وتناسب حالة البحر مع العمليات البحرية[13].

3. الفشل الاستخباري الإسرائيلي:

في الأشهر القليلة التي سبقت الحرب، تلقت إسرائيل عدة تحذيرات من إمكانية وقوع حرب/هجوم محتمل، ورغم ذلك يُوصف الفشل الاستخباراتي الإسرائيلي في تلك الحرب بكلمة "محدال"، والتي تعني في اللغة العبرية "الإهمال إلى درجة الفساد"، حتى تحولت إلى عنوان دارج في المقالات والكتب الإسرائيلية، وتسببت في الإطاحة برئيس أركان الجيش آنذاك "دافيد العزار" وبعض جنرالاته، وكذا تقويض الدور التاريخي الذي لعبته "مائير"، وصولًا للإطاحة بحكم حزبها وصعود اليمين إلى الحكم[14].

فقد تلقت إسرائيل عدة تحذيرات كان من الممكن بموجبها توقع إمكانية حدوث الحرب، **يُذكر منها:**

- طرد "السادات" الخبراء العسكريين السوفييت الذين ساعدوا في إعادة بناء الجيش المصري، وجنحوا إلى الحذر حيال المواجهة الإسرائيلية المفتوحة.
- تسربت معلومات تفيد أن الحرب ستبدأ في شهر مايو 1973، لتستعد القوات الإسرائيلية بعد أن تجاهلت رأي رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية آنذاك "إيلي زعيرا" الذي أكد أن "السادات" كان يفتقد إلى الشروط التي تُمكِّنه من دخول الحرب. وبحلول مايو 1973، ارتفعت مصداقية "زعيرا"، وتراجعت أهمية الموساد ومصادره.
- دفع تقرير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) إلى الرئيس الأمريكي آنذاك "ريتشارد نيكسون" بأنه من الممكن أن يعتقد "السادات" بأن العمل العسكري وحده هو الذي سيدفع لتسوية الأوضاع، وأن تحركات مصر لعلها استعدادات من أجل ذلك، وإن تشككت واشنطن في هذا الاحتمال.
- طلبت إسرائيل في 3 مايو 1973 من الاستخبارات الإسرائيلية تقييمًا خلص إلى أن الهجوم ممكن، لكنها استنتجت أن المواجهات المصرية-الإسرائيلية غير مُرجحة في الأسابيع القليلة المُقبلة. وعندما لم تندلع الحرب، رجحت تحذيرات مايو من كفة المتشككين في إمكانية أن تُبادر مصر بحرب خاسرة.
- نظرت الولايات المتحدة وإسرائيل إلى نشاطات المصريين العسكرية على أنها مجرد تدريبات أكثر واقعية فحسب.
- حين مرَّت أزمة مايو، دفعت بعض الأصوات، ومنها مكتب البحوث والاستخبارات بوزارة الخارجية، بأن "السادات" سيُخاطر بشن حرب محدودة لكسر الجمود السياسي في المنطقة وإجبار إسرائيل على الجلوس إلى طاولة المفاوضات.

بعد أشهر من التحذيرات التي لم تُؤخذ بجدية، شنَّت مصر هجومها، وفتح الإسرائيليون تحقيقًا سريعًا، وأسسوا لجنة "أغرانات" للنظر في حرب أكتوبر، وقد استنتجَت اللجنة أن السبب الرئيسي في هذا الفشل الاستخباري كان التحليل السيئ، وبالتحديد الافتراضات المتصلة بالنوايا المصرية،

وترسخ قناعة مفادها أن "السادات" لن يشُن حربًا خاسرة [15]، وأن سوريا لن تذهب إلى الحرب من دون مصر التي لن تذهب إلى الحرب حتى تتلقى أسطولًا من المقاتلات السوفيتية المتقدمة التي يمكنها تحييد سلاح الجو الإسرائيلي. وقد تأخر تسليم تلك المقاتلات حتى عام 1974، فاعتقد الإسرائيليون أنهم في أمان في عام 1973 [16].

4. عبقرية خطة الهجوم المصرية:

خاضت مصر الحرب على عكس التوقعات التي بُنيت على عدم قدرتها على خوض الحرب في ظل التفوق العسكري الإسرائيلي[17]. وقد تعددت ركائز خطتها واستراتيجيتها الهجومية، لتشمل: إرغام إسرائيل على القتال في ظروف غير مناسبة لها وإجبارها على تعبئة جيشها لمدة طويلة، والوقوف على نقاط الضعف ومنها ضرورة استبدال العربات ذات العجلات التي لا تمتلك القدرة على السير في الرمال، والاكتفاء بخراطيم المياه لهدم خط بارليف، وتقليل كفاءة الطائرات الإسرائيلية بتفريق فرق المشاة كي تعبر على طول القناة، وإجبار الطيران الإسرائيلي على توزيع هجماته بدلًا من التركيز على نقاط محددة، وتوفير الحماية للجنود المصريين الذي أصبحوا تحت حماية الصواريخ المضادة للطائرات المنتشرة على طول الجبهة، والدفع بالمشاة الذين يحملون صواريخ مضادة للدبابات محمولة على الكتف، وهو النوع الذي أهملته إسرائيل بسبب ثقتها في دباباتها المتطورة [18].

ولذا، وُصف التخطيط الاستراتيجي العسكري المصري للحرب بأنه يرقى إلى أعلى درجات الفكر العسكري العالمي، حيث شمل: التوجيه السياسي العسكري للقائد الأعلى للقوات المسلحة، وإعداد خطط العمليات والخطط التكميلية، وتنظيم التعاون الاستراتيجي، والإشراف والمراجعة، واختبار التخطيط. وقد أسفر عن تقويض نظرية الحرب الوقائية، وتحقيق عنصر المفاجأة، وتكبيد الاقتصاد الإسرائيلي 5 مليارات دولار، واهتزاز ثقة الإسرائيليين في تفوقهم الدائم[19].

5. إعادة تقييم الاستراتيجيات الوطنية والدولية:

تعددت الدروس المستفادة من حرب أكتوبر 1973 والتي انعكست على الاستراتيجيات العسكرية عمومًا، **ومن ذلك ما يلي:**

- التأكيد على أن قدرات العنصر البشري وجاهزيته تتفوق في أهميتها على الآلات والمعدات دون التقليل من شأنها.
- عدم استبعاد عنصر المفاجأة والجمع بين التحليلات السياسية والعسكرية والاستخبارية والنفسية.
- عدم التعويل على السواتر والعوائق الصناعية والدشم ونقاط الخط الدفاعي الحصين المدعومة بالصواريخ بأنواعها والمدفعية.
- الاستفادة من دروس الهزيمة والتقييم الشامل للتهديدات والظروف الدولية المحيطة والمؤثرة في الصراع وقدرات الدولة الشاملة.
- أهمية الدراسة الدقيقة للعدو وتحديد مراكز ثقله على المستوى الاستراتيجي/ التعبوي الذى يمكن إن تأثر أن يُحدث التغيير الاستراتيجي المطلوب.

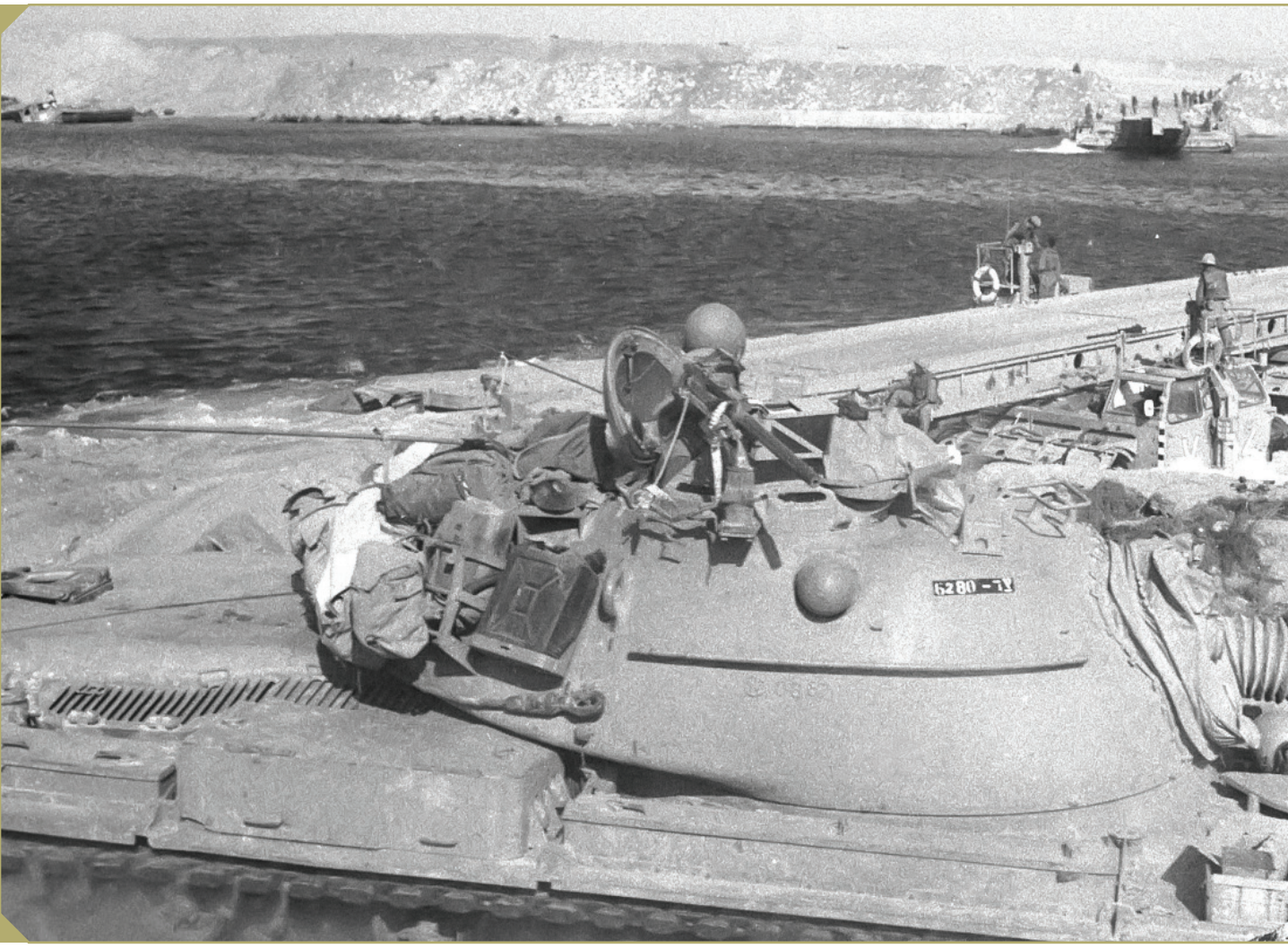

- ضرورة التنسيق الجيد والمسبق مع الحلفاء للاستفادة من خبراتهم مع إحاطة أعمال التنسيق بالسرية[20].
- قد تندلع معارك عسكرية تختبر فكر وتسليح العقيدة الشرقية في مواجهة فكر وتسليح العقيدة الغربية.
- قد تندلع حرب تقليدية بين طرفين يمتلك أحدهما أو كلاهما أحدث الأسلحة والمعدات، إضافة إلى منظومات تكنولوجية وإلكترونية حديثة، لم تكن قد استُخدمت من قبل في ميادين القتال الحقيقية.
- الاستخدام المكثف لكل عناصر الاستطلاع بهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة ومبكرة لمواجهة المواقف المستقبلية.
- الاهتمام بتدريب القوات على أعمال المناورة الواسعة والعميقة وتشجيع القادة على التخطيط لها والقيام بها.

وإلى جانب ذلك، أسفرت حرب أكتوبر عن تقويض نظرية الأمن الإسرائيلي في معظم نقاطها هي والاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية؛ فمع العجز عن تحليل المعلومات الاستخبارية أُهدر الأساسين الأول والثالث من أسس استراتيجيتها العسكرية بفقدان القوة الرادعة والعجز عن اكتشاف نوايا العرب لشن حرب ضدها في وقت مبكر. وعندما لحق خط بارليف بنظائره في التاريخ من خطوط دفاعية، أُهدر الأساس الرابع من أسس الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية المتمثل في الاستناد إلى العائق الطبيعي القوي في خطوط دفاعية محصنة متتالية[21].

ختامًا، لن يتوقف اهتمام مراكز الفكر والصحف الدولية والأكاديميات العسكرية المصرية والإسرائيلية والدولية عن دراسة حرب أكتوبر 1973، والتي كانت ولا تزال وستظل ملحمة عسكرية وطنية خالصة، أمكن من خلالها استخلاص الدروس والعبر ذات الانعكاس على التخطيط والفكر الاستراتيجي العالمي والتاريخ العسكري.

المصـــــــادر

1. موسـوعة مقاتـل مـن الصحـراء، دور الحـرب الإلكترونيـة فـي حـرب فيتنـام 1968 وحـرب أكتوبـر 1973، موسـوعة مقاتـل مـن الصحـراء، متـاح علـى: http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Askria6/ElectroWar/sec23.doc_cvt.htm
2. شادي محسن، اعتبارات داخلية: إسرائيل ونشر وثائق حرب أكتوبر 1973، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، 25 سبتمبر 2023، متاح على: https://ecss.com.eg/36961/
3. موسـوعة مقاتـل مـن الصحـراء، دور الحـرب الإلكترونيـة فـي حـرب فيتنـام 1968 وحـرب أكتوبـر 1973، موسـوعة مقاتـل مـن الصحـراء، متـاح علـى: http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Askria6/ElectroWar/sec23.doc_cvt.htm
4. The October 1973 War Redux: Lessons for Today's Middle East Policy Challenges, Brief Analysis, The Washington Institute, October 3-5, 2023, Available at: https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/october-1973-war-redux-lessons-todays-middle-east-policy-challenges
5. Itamar Rabinovich, Israel's 1973 October War: A 50-year perspective, Brookings, October 3, 2023, Available at: https://www.brookings.edu/articles/israels-1973-october-war-a-50-year-perspective/
6. أحمد موسى، حرب أكتوبر . . كما يراها العالم، الهيئة العامة للاستعلامات، 5 أكتوبر 2016، متاح على: https://shorturl.at/icJAF
7. المرجع السابق، مصدر إلكتروني.
8. Olivia B. Waxman, How the Yom Kippur War Changed Israel, Time Magazine, October 11, 2023, Available at: https://time.com/6322802/yom-kippur-war-israel-history/
9. Emily Rose and James Mackenzie, Fifty years on, divided Israel remembers the war for its survival, Reuters, October 6, 2023, https://www.reuters.com/world/middle-east/fifty-years-divided-israel-remembers-war-its-survival-2023-10-06/
10. محمد العربي، 6 أكتوبر و7 أكتوبر.. دروس الحروب غير المتكافئة ضد إسرائيل، الجزيرة، 9 يناير 2024، متاح على: https://shorturl.at/s0ijB
محمد أبو عوف، 50 عامًا على انتصارات أكتوبر.. عبقرية الجيش المصري تغير مسار التاريخ، القاهرة الإخبارية، 4 أكتوبر 2023، متاح على: https://shorturl.at/uMxG4
11. خط بارليف.. أقوى خط دفاع إسرائيلي اخترقه الجيش المصري، الجزيرة، 3 فبراير 2024، متاح على: https://shorturl.at/E7X8S
12. علا الحاذق، "الخداع الاستراتيجي" خطة مصر لتحقيق ملحمة النصر، الهيئة الوطنية للإعلام، 27 سبتمبر 2023، متاح على: https://shorturl.at/iPjaE1 https://shorturl.at/iPjaE
13. سر اختيار «يوم الغفران» حرب العاشر من رمضان.. عبقرية التوقيت، أكتوبر، 4 إبريل 2023، متاح على: https://octobermageg.com/?p=18553
14. نظير مجلي، إسرائيل... الفشل الاستخباراتي يكرر نفسه بعد 50 سنة من حرب أكتوبر، الشرق الأوسط، 7 أكتوبر 2023، متاح على: https://rb.gy/gbumxs
15. ماجدة معروف، بين حرب أكتوبر وطوفان الأقصى.. لماذا تفشل الاستخبارات الإسرائيلية والأميركية في مواجهة العرب؟، الجزيرة، 21 أكتوبر 2023، متاح على: https://shorturl.at/I4Zyf7
16. يوري كوفمان، حرب أكتوبر 1973 تحيطها دروس يستفاد منها بعد نصف قرن، اندبندنت عربية، 24 أكتوبر 2023، متاح على: https://shorturl.at/xZMwN
17. محمد أبو عوف، مرجع سبق ذكره، مصدر إلكتروني.
18. محمد العربي، مرجع سبق ذكره، مصدر إلكتروني.
19. أحمد مرسي، مرجع سبق ذكره، مصدر إلكتروني.
20. محمد الغباري، حرب أكتوبر والتغير في التخطيط العسكري العالمي، السياسة الدولية، 3 أكتوبر 2023، متاح على: https://www.siyassa.org.eg/News/19695.aspx
21. موسوعة مقاتل من الصحراء، الدروس المستفادة، موسوعة مقاتل من الصحراء، متاح على:http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/Harb73Misr/sec17.doc_cvt.htm

دراســـــات

يـدور قسـم "دراسـات" حـول دلالات وخلفيـات اتفاقيـة التعـاون الأمنـي والعسـكري بيـن مصـر والصومـال، كمـا يناقـش التعـاون العسـكري الروسـي-الصيني وعلاقتـه بالحـرب الروسـية-الأوكرانية ذات التبعـات غيـر المخططة علـى مسار العلاقات الروسية-الصينية، في ظل تزايد التعاون بينهما، بسبب موقفهما المتشابه تجـاه الولايـات المتحـدة الأمريكيـة والـدول الغربيـة، وبسـبب مصالحهما المشـتركة سـواء كانـت سياسـية أو اقتصاديـة أو عسـكرية.

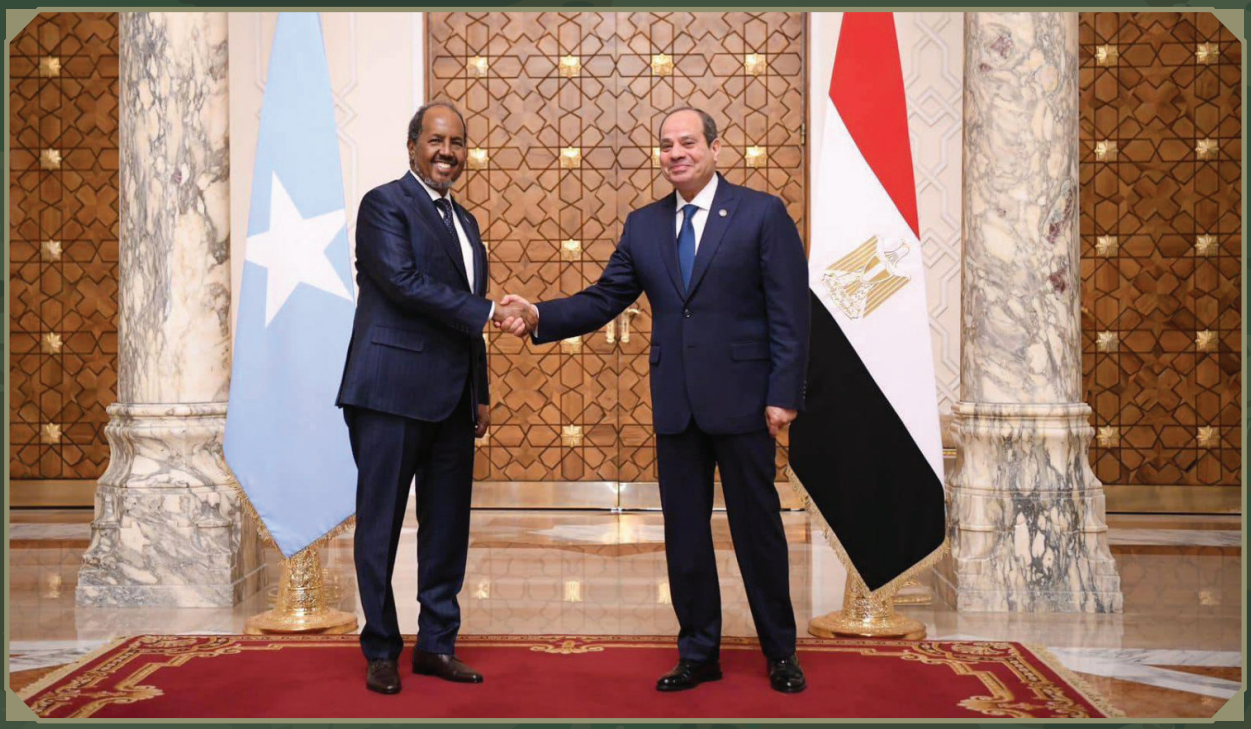

دلالات وخلفيات اتفاقية التعاون الأمني والعسكري بين مصر والصومال

في الأول من يناير عام 2024، أبرمت إثيوبيا اتفاقًا مبدئيًّا مع إقليم أرض الصومال، تتمتع بموجبه أديس أبابا بالوصول إلى البحر الأحمر تمهيدًا لإقامة قاعدة بحرية تجارية إثيوبية بالقرب من ميناء بربرة، مقابل اعتراف الحكومة الإثيوبية بأرض الصومال كدولة مستقلة، بالإضافة إلى بعض المزايا الأخرى. وفي خلفية ذلك، أتى تصريح رئيس الوزراء الإثيوبي "آبي أحمد" في أكتوبر عام 2023 حول ضرورة إيجاد موطئ قدم لبلاده على البحر الأحمر، والذي انطوى على تحذيرات من إمكانية استخدام القوة في حالة فشل التفاوض مع دول المنطقة، معتبرًا أن وجود إثيوبيا مرتبط بالبحر الأحمر، وقال نصًا إنه "إذا كنا (دول القرن الأفريقي) نعتزم العيش معًا في سلام، فعلينا أن نجد طريقة للتشارك المتبادل مع بعضنا البعض بطريقة متوازنة"، وإن الإطلالة على البحر الأحمر حد وجودي بالنسبة للبلاد، وإن إثيوبيا لا يمكن أن تبقى في سجن جغرافي. وهو ما يعني سعي إثيوبيا للحصول على حقوق سيادية في شريط ساحلي بالإقليم في مخالفة لمواثيق الاتحاد الأفريقي، وأهم أُسس العمل الجماعي الأفريقي بعد استقلال القارة، وهو احترام الحدود الموروثة من الاستعمار، وعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول.

اللواء أ.ح. طيار/ عماد عبد المحسن

المستشار بمركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة،

أكاديمية ناصر العسكرية العليا

مـن الجديـر بالذكـر أن إقليـم أرض الصومـال قـام بالاتحـاد مـع دولـة الصومـال بعـد الاسـتقلال عـن بريطانيـا عـام 1960. وبعـد 18 عامًـا مـن الوحـدة، سـعت أرض الصومـال إلـى الانفصـال عـن الصومـال، وقامـت حـرب أهليـة قُتـل فيهـا مـا يقـارب ربـع مليـون مدنـي، وبعـد اسـتيلاء الحركـة الوطنيـة التابعـة لأرض الصومـال وهزيمتهـا للحكومـة المركزيـة، أعلنـت انفصـال أرض الصومـال واسـتقلالها عـن جمهوريـة الصومـال فـي عـام 1991 عقـب الإطاحـة بالرئيـس الصومالـي السـابق سـياد بـري، ولكـن لـم تنـل أرض الصومـال اعترافًـا رسـميًا بهـا مـن دول العالـم.

أولًا: أهمية أرض الصومال

إن أرض الصومـال أو صومالـي لانـد إقليـم يقـع فـي شـمال الصومـال، ولهـا سـاحل طويـل علـى خليـج عـدن يمتـد بطـول 740 كيلومتـرًا، ويبلـغ عـدد سـكانه قرابـة خمسـة ملاييـن نسـمة أغلبهـم مسـلمون، وعاصمـة إقليـم أرض الصومـال هـي مدينـة هرغيسـا، وهـي أكبـر مـدن الإقليـم، وسـابقًا كانـت محميـة بريطانيـة، ثـم حصلـت علـى اسـتقلالها عـام 1960، وسـعت إلـى الاتحـاد مـع الصومـال، وقـام صانعـو القـرار فـي جمهوريـة أرض الصومـال بالموافقـة علـى شـروط الجنـوب قائليـن: "نحـن هنـا مـن أجـل الوحـدة بـدون قيـد أو شـرط"، وقامـوا بتسـليم السـلطة للإخـوة فـي صوماليـا، وتنازلـوا عـن مناصبهـم جميعًـا فـي سـبيل تحقيـق "الصومـال الكبيـر"[1]، وعلـى الرغـم مـن أن أرض الصومـال غيـر معتـرف بهـا دوليًـا، فإنهـا تتمتـع بنظـام سياسـي ومؤسسـات حكوميـة وقـوة شـرطة وعملـة خاصـة.

جـرت تسـع جـولات مـن المُحادثـات بيـن الصومـال وسـلطات أرض الصومـال التـي امتـدت مـن عـام (2012 -2022)، ولكـن هـذه الجـولات لـم تسـفر عـن حـل القضايـا المُتنـازع عليهـا، حيـث ترفـض الحكومـة المركزيـة الصوماليـة مطالـب أرض الصومـال بالانفصـال عنهـا، كمـا عملـت الحكومـة المركزيـة الصوماليـة علـى الحفـاظ علـى التمثيـل السياسـي لإقليـم أرض الصومـال مـن خلال تخصيـص مقاعـد نيابيـة لهـا فـي مجلـس الشـعب والشـيوخ، بحيـث تكـون جـزءًا مـن النظـام الفيدرالـي الـذي تتكـون منـه الصومـال. وتـرى حكومـة أرض الصومـال أن الحلـول التفاوضيـة مـع الحكومـة المركزيـة الصوماليـة لـم تُحقـق النتائـج المرجـوة، ولذلـك تـرى حكومـة أرض الصومـال أن المجتمـع الدولـي عليـه التـزام لدعـم مسـاعي حكومـة أرض الصومـال لنيـل الاعتـراف الدولـي.

وعلـى الرغـم مـن أن حكومـة أرض الصومـال تُحقـق إنجـازات علـى كل الأصعـدة السياسـية والاقتصاديـة والأمنيـة، وتتعـاون الإدارة الأمريكيـة مـع حكومـة أرض الصومـال، ولا يمكـن ترجمـة اسـتياء الإدارة الأمريكيـة مـن أداء حكومـة الصومـال المركزيـة بأنـه دافـع لمنـح حكومـة أرض الصومـال الاعتـراف الدولـي، حيـث إن الإدارة الأمريكيـة لديهـا موقـف راسـخ يتمثـل فـي وحـدة الصومـال، وأنهـا تتعـاون مـع حكومـة أرض الصومـال كمـا تتعـاون مـع الحكومـة المركزيـة الصوماليـة لتحقيـق الأهـداف المشـتركة، وتعتبـر مسـألة وضـع أرض الصومـال شـأنًا داخليًـا يقـرره الشـعب الصومالـي. وعلـى جانـب آخـر، تـرى الإدارة الأمريكيـة أن التعـاون مـع حكومـة أرض الصومـال سـيمكنها مـن الوصـول إلـى مطـار وميناء بربـرة، الـذي يطـل علـى خليـج عـدن وعلـى مضيـق بـاب المنـدب الـذي يربـط بيـن المحيـط الهنـدي وقنـاة السـويس والبحـر الأبيـض المتوسـط، ومـن شـأن ذلـك حمايـة المصالـح الاقتصاديـة والأمنيـة الأمريكيـة فـي منطقـة القـرن الأفريقـي، وموازنـة التواجـد الصينـي فـي المنطقـة.

وفـي سـعي "موسـى بيحيـي عبـدي" (رئيـس أرض الصومـال) لتحصـل علـى اعتـراف دولـي، أبـرم مذكـرة تفاهـم مـع إثيوبيـا بموجبهـا تستأجر إثيوبيـا (الدولـة الحبيسـة) 20 كـم2 حـول ميناء بربـرة علـى خليـج عـدن، تتيـح لهـا إمكانيـة الوصـول إلـى البحـر الأحمـر، لمـدة 50 عامًـا لأغراضهـا البحريـة والتجاريـة مقابـل الاعتـراف بـأرض الصومـال كدولـة مسـتقلة، إضافـةً إلـى حصـة 20% مـن شـركة الطيـران الإثيوبيـة.

ثانيًا: الطموح الإثيوبي

إن إثيوبيـا، التـي يبلـغ عـدد سـكانها حوالـي 120 مليـون نسـمة، ليـس لهـا سـواحل علـى البحـار، وقـد فقـدت سـاحلها عندمـا انفصلـت إريتريـا فـي عـام 1993[2]. وعلـى مـدى العقديـن الماضييـن، تعتمـد بشـكل رئيسـي علـى ميناء جيبوتي، حيـث تمـر 95 % مـن واردات وصـادرات إثيوبيـا عبرهـا. علـى جانـب آخـر، تواجـه إثيوبيـا أزمـة اقتصاديـة، تفاقمـت بسـبب الحـرب الأهليـة وجائحـة كوفيـد- 19، وقـد أدى ذلـك إلـى ارتفـاع معـدلات الفقـر والبطالـة[3]، ونقـص الخدمـات الأساسـية، كمـا نجـد أن إثيوبيـا دولـة ناميـة تعتمـد بشـكل كبيـر علـى التجـارة الدوليـة وعلـى موانـئ دولـة جيبوتي، مـا يحـد قدرتهـا علـى التجـارة البحريـة، بسـبب ارتفـاع تكاليـف النقـل، مـا يُؤدّي إلـى إعاقـة التجـارة، بالإضافـة إلـى أن اعتمـاد إثيوبيـا علـى دولـة جيبوتي يجعلهـا عرضـة للضغـوط السياسـية والاقتصاديـة، لذلـك يُعـدّ الوصـول إلـى البحـر ضروريًـا لتنميـة اقتصادهـا وخلـق فـرص عمـل جديـدة.

أيضًـا، تعانـي إثيوبيـا مـن توتـرات عرقيـة متفاقمـة بسـبب الحـرب الأهليـة عـام 2020 بيـن الحكومـة الفيدراليـة الإثيوبيـة وجبهـة تحريـر شـعب التيجـراي، كذلـك يشـهد إقليـم أمهـرة فـي إثيوبيـا احتجاجـات متواصلـة منـذ شـهور ضـد حكومـة آبـي أحمـد، حيـث يطالـب المحتجـون بإعـادة ترسـيم الحـدود بيـن إقليـم أمهـرة وإقليـم التيجـراي. ومـن ثـم تحتـاج إثيوبيـا إلـى امتـلاك ميناء بحـري للتنميـة الاقتصاديـة وإحـكام الهيمنـة علـى القـرن الأفريقـي، مـا دعاهـا إلـى خـرق القانـون الدولـي وعقـد اتفاقيـات مـع إقليـم غيـر ذي سـيادة وغيـر معتـرف بـه دوليًـا.

ثالثًا: المواقف المتبادلة بين إثيوبيا والصومـــــال

رغم مشاركة قوات من إثيوبيا في قوات حفظ السلام في الصومال والتي ستنتهي في ديسمبر عام 2024، يظهر التضارب الواضح في التعامل الإثيوبي مع أمن الصومال، فهي من ناحية تشارك في استقرار الصومال من خلال قوات حفظ السلام الأفريقية، ومن ناحية أخرى تهدد أمن ووحدة الدولة الصومالية بعلاقتها مع أرض الصومال.

فور اعلان الاتحاد الأفريقي عن تشكيل قوة جديدة في الصومال (لا تشارك فيها القوات الإثيوبية)، والمقرر أن تبدأ عملها في يناير عام 2025، بادرت إثيوبيا بالإعلان أن تلك القوة قد تؤدي إلى زيادة التوترات في منطقة القرن الأفريقي، وأن البعثة الجديدة للاتحاد الأفريقي في الصومال ستشكل خطرًا على المنطقة، مؤكدة أنها لن تقف مكتوفة الأيدي بينما يتخذ لاعبون آخرون تدابير لزعزعة استقرار المنطقة.

ومنذ توقيع مذكرة التفاهم بين إثيوبيا وصوماليلاند في يناير عام 2024، اشتعل فتيل التوترات في المنطقة، وذلك لاحتجاج الصومال على انتهاك إثيوبيا لسيادته بالتفاوض مع إقليم صوماليلاند التابع له، فبدأ الصومال في حشد التأييد الإقليمي والدولي وهو ما نجح فيه بدرجة كبيرة، ورفض الصومال أي تفاهم مع إثيوبيا في هذا الخصوص واعتبره خطًا أحمر، واحتشد الصوماليون في موقف موحد ضد إثيوبيا من الداخل والخارج، ليتشكل موقف مشحون يتجه نحو التصعيد والتوتر.

فيما أكد مجلس الوزراء الصومالي أن الاتفاق بين إثيوبيا وأرض الصومال "باطل ولاغٍ"، وقال إنه "يعرّض الاستقرار والسلام في المنطقة للخطر"، وإن صوماليلاند ليس لديه السلطة لإبرام أي صفقات مع الحكومات الأجنبية، ووقع الرئيس الصومالي المنتخب في 6 يناير عام 2024، قانونًا يلغي الاتفاقية بين إثيوبيا وأرض الصومال.

بعد فشل الوساطة التركية بين الصومال وإثيوبيا، وقع الصومال مع تركيا اتفاقية دفاع مشترك تقوم بموجبها القوات البحرية التركية بحماية السواحل الصومالية من قوى خارجية لديها نوايا بالتواجد على سواحلها، والمقصود هنا هو إثيوبيا التي كانت تؤكد دومًا أنها ماضية في اتفاقيتها مع أرض الصومال، وبهذه الاتفاقية عززت الصومال وضمنت حماية أمنها البحري، وتبعتها اتفاقية التنقيب عن البترول والغاز كتعزيز للاتفاقية الأولى، وهو ما يرفع مستوى العلاقات إلى الشراكة القوية بين الدولتين.

رابعًا: التداعيات الاستراتيجية وردود الأفعال الدولية

بسبب توتر الأوضاع بين الصومال وإثيوبيا وفشل الطرفين في الوصول إلى تفاهمات عبر الحوار والتفاوض، بدأ الصومال في عقد اتفاقيات استباقية تقطع الطريق على إثيوبيا من أن تتخذ أي خطوة عملية في تنفيذ ما تم الاتفاق عليه مع أرض الصومال. وفي إطار عمليات إنهاء بعثة الاتحاد الأفريقي "أتميس" واستبدالها بـ"أوسوم"، في نهاية عام 2024، طلب الصومال سحب القوات الإثيوبية البالغ تعدادها ستة آلاف جندي، ضمن الدول التي ساهمت في قوات حفظ السلام منذ 2007، وطلبت أيضًا عدم التجديد للتواجد الإثيوبي.

وفي 14 أغسطس 2024، وقع الصومال بروتوكول تعاون عسكري مع مصر في ظل استمرار الخلاف بين الصومال وإثيوبيا وتصاعد التوترات. وقد صرح متحدث الخارجية الإثيوبية "نيبو تيدلا"، إن عقد الصومال اتفاقًا عسكريًا مع مصر "لا يقلق أديس أبابا"، إلا أنه زعم أن من حق إثيوبيا مواصلة اتخاذ الإجراءات ضد التهديدات التي تشكلها حركة الشباب "الإرهابية"، سواء مع أو من دون بعثة حفظ السلام التي يقودها الاتحاد الأفريقي في الصومال، في مؤشر على أن إثيوبيا قد تطالب مستقبلًا بالتدخل في الصومال بدعوى حماية أمنها. ومن المنتظر أن ترفض/تتباطأ إثيوبيا في سحب قواتها (العاملة ضمن قوة بعثة الاتحاد الأفريقي "أتميس") من الصومال التي ستنتهي مهامها طبقًا لما تم تقريره بنهاية ديسمبر عام 2024.

وفيما يتصل بردود الأفعال حيال مذكرة التفاهم بين إثيوبيا وأرض الصومال، جاءت ردود الأفعال الإقليمية إلى حد كبير مؤيدة للصومال، ودفعت بأن الاتفاق الإثيوبي مع أرض الصومال يتعارض مع مبادئ الحفاظ على سلامة الأراضي والسيادة وعدم التدخل في الشئون الداخلية، كما أثار قلق الجارتين جيبوتي وإريتريا اللتين وقفتا إلى جانب مقديشو، على الرغم من أن حكومة إريتريا التزمت الصمت بشأن الصفقة، إلا أن الرئيس الإريتري "أسياس أفورقي" دعا الرئيس الصومالي لزيارة أسمرة.

أما على صعيد المواقف الدولية، فقد أعرب الاتحاد الأوروبي عن دعمه القوي للصومال، وأصدر بيانًا موجهًا إلى إثيوبيا أكد فيه أهمية احترام وحدة الصومال وسيادته وسلامة أراضيه. كما أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية بيانًا أعربت فيه عن قلقها بشأن الاتفاق، وحثت جميع الأطراف المعنية على الدخول في حوار دبلوماسي. وتتخوف الإدارة الامريكية من أن اعتراف إثيوبيا المحتمل بأرض الصومال سيعرقل جهود مكافحة "حركة الشباب".

خامسًا: الموقف المصري

يطل الصومال على أهم الممرات البحرية التي تربط دول شرق آسيا بدول غرب أوروبا (قناة السويس في شمال البحر الأحمر، ومضيق باب المندب في أقصى جنوب البحر الأحمر الذي تطل عليه جيبوتي وإريتريا والصومال واليمن). وتبرز أهميته بالنظر إلى بعدين، الأول أفريقي، والثاني عربي. ولعل اتصاله المباشر بحركة السفن المؤدية لقناة السويس يدفع مصر للتحرك بخطوات ثابتة نحو تعزيز التعاون مع دول المنطقة، كما أن استراتيجية مصر الأفريقية قائمة على تعميق نهج المصالح المتبادلة، وتعزيز علاقات التعاون المشترك فيما يتعلق بالسلم والأمن ومحاربة الإرهاب.

أما بالنسبة للخلافات المصرية-الإثيوبية، فبين البلدين مشكلة سد النهضة التي لم تتوصل فيها كل المحادثات وكل الوساطات إلى حل يُرضي الطرفين، كما اتهمت إثيوبيا مصر بدعم جبهة تحرير التيجراي. وفي 28 سبتمبر 2024، التقى وزير الخارجية والهجرة المصري بدر عبد العاطي مع نظيريه الصومالي أحمد معلم فقي والإريتري عثمان صالح، في لقاء ثلاثي مشترك على هامش مشاركتهم في أعمال الشق رفيع المستوى للدورة 79 للجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك، انعكاسًا للتنسيق المشترك والإرادة السياسية لدى الدول الثلاث على تحقيق الأهداف والمصالح المشتركة والحفاظ على الاستقرار بالمنطقة واحترام سيادة ووحدة وسلامة الأراضي الصومالية.

إن تهديد إثيوبيا المستمر للصومال قد تطور إلى الحد الذي يهدد أمن وسلامة الصومال، وبالتالي جاء الرد المصري مختلفًا عن سابقه بالنسبة لما تمّ في سياق "أزمة سد النهضة"، وذلك من خلال توقيع مذكرة دفاع مشترك مع الصومال في 14 أغسطس 2024، في ظل استمرار الخلاف بين الصومال وإثيوبيا وتصاعد التوترات، وقد صرح الرئيس عبد الفتاح السيسي: "إننا لن نترك الصومال وحده، ونرفض أي تدخل خارجي في شأنه"، إشارة إلى التربص الإثيوبي بالوصول إلى البحر بأي ثمن، وقال السيسي: "إن الصومال دولة بالجامعة العربية، ولها حقوق طبقًا لميثاق الجامعة بالدفاع المشترك لأي تهديد لها[4]". ومن المتوقع أن تشمل اتفاقية الدفاع المشترك تبادل المعلومات الاستخباراتية، وتدريب الجيش الصومالي، وتوريد أسلحة ومعدات عسكرية مصرية.

وتهدف مصر بتواجد قواتها في الصومال إلى تحقيق عدة أهداف منها: مساعدة الجيش الصومالي، ورفع كفاءته القتالية للتعامل مع حركة الشباب الإرهابية عبر الخبرات الكبيرة للجيش المصري، وأيضًا دعم وحدة الأراضي الصومالية برفع كفاءة قواتها المسلحة، وأخيرًا فهي تهدف إلى تعزيز مشاركة الصومال في تأمين قناة السويس من باب المندب.

وقد أكدت الخارجية المصرية أن "مصر لا تتدخل عسكريًا ولا تلجأ إلى القوة الخشنة[5]"، وهذا أسلوبها في التعامل مع الأزمات، لذا سيكون الواقع في الصومال قائمًا على التدريب والمساعدة والمشاركة في قوات حفظ السلام"، فالصومال دولة استراتيجية لمصر ويجب أن تتعاونا معًا، خصوصًا أن لهما مواقف مشتركة رافضة للتحركات الإثيوبية الجديدة التي تهدف إلى تهديد مقديشو أو الأمن المائي المصري. وأن مصر تشارك بقوات حفظ سلام منذ سنوات طويلة في الصومال، وبالتالي فهذا التعاون الجديد مبني على علاقات البلدين وأهمية دعم استقرار الصومال. وقد وصلت معدات عسكرية مصرية إلى مطار مقديشو عبر طائرتين عسكريتين قبل نهاية أغسطس 2024، وهي مقدمة القوات المصرية المشاركة في بعثة الاتحاد الأفريقي في الصومال.

وإلى جانب ذلك، وقّعت مصر مؤخرًا اتفاقية دفاعية مع إريتريا، تتضمن خطوات لحماية الشحن في البحر الأحمر. وقد أتت هذه الخطوة في إطار تعزيز التعاون العسكري بين البلدين، وقد أثارت بعض التوترات في المنطقة، خاصةً مع إثيوبيا التي تعتبر هذه التحركات تهديدًا لمصالحها، وتسعى مصر وإريتريا لإبرام اتفاقية تعاون عسكري وتبادل معلومات استخباراتية في سعيهما إلى تعزيز العلاقات الوثيقة بالفعل. إن اتفاقية التعاون العسكري مع إريتريا ستكون أحدث صفقة من نوعها يتم إبرامها بين القاهرة ودول في القرن الأفريقي أو شرق أفريقيا أو حوض النيل، وتشمل جيبوتي وكينيا وأوغندا والسودان.

التعليق، إن مخالفة قواعد القانون الدولي إنما تنبع من تراجع الثقة في قدرة المنظمات الدولية والإقليمية على اتخاذ إجراءات حاسمة، ومن شأن ذلك أن يهدد الأمن القومي لدول الجوار. فقد تختار دول الجوار تلك التفاوض والمباحثات لضمان أمنها بيد أن ذلك لا يعني ضعفها، فقد تلجأ إلى خيار القوات المسلحة كي تكون قاب قوسين من مصدر التهديد أو قد تعمد إلى المنظمات الدولية أو الإقليمية لتعزيز قدرتها على التأثير في القضايا الإقليمية، وتضع حدًا لاستغلال الفراغ الأمني والسياسي في بعض الدول.

تأتي أهمية توقيع مصر والصومال على بروتوكول تعاون عسكري كخطوة تُنهي تهميش الدور المصري في الصومال (بعد تحفظ إثيوبي سابق على المشاركة المصرية بقوات حفظ السلام الأفريقية في الصومال)، ويُعد ردًا مصريًا مباشرًا على التعنت الإثيوبي خلال مفاوضات سد النهضة، بالتواجد في حديقتها الخلفية ومنعها من الوصول إلى باب المندب، وهذا أمر هام لاستعادة الثقل المصري وتغيير موازين القوى في القرن الأفريقي وأمن البحر الأحمر، ولا سيما أن تنمية دولة إثيوبيا لا يقف على الإضرار بمصالح الآخرين، سواء فيما يخص بناء سد النهضة أو امتلاك ميناء بحري.

1. الصومال الكبير يشير إلى المنطقة التي تعيش فيها العرقية الصومالية في القرن الأفريقي والتي مثلت تاريخيًا الأغلبية فيها، ويضم الصومال الكبير كلًا من: الصومال وجيبوتي وأوغادين والمحافظة الشمالية الشرقية (المنطقتان الأخيرتان تديرهما حاليًا إثيوبيا وكينيا، على التوالي)، بالإضافة إلى أرض الصومال.
2. كانت إثيوبيا تملك قوة بحرية بميناءيها مصوع وعصب، ولكنها فقدت الميناءين وكل ساحلها، بعد انفصال أريتريا عنها وانفصالها نهائيًا في عام 1993، وفقدت ميزة الوصول إلى البحر الأحمر.
3. أسماء عادل، انتهاكات السلامة الإقليمية في القرن الأفريقي.. أرض الصومال نموذجًا، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، 24 يونيو 2024، متاح على: https://ecss.com.eg/46416/
4. وقعت عام 1950 بالقاهرة، أبرمت بين 7 دول عربية، هي مصر والأردن وسوريا والعراق والسعودية ولبنان واليمن، استمر انضمام بقية الدول العربية تباعًا على مدار السنوات التالية شملت الصومال، تتضمن 13 بندًا، وتتخلص في اعتبار أي عدوان على أي دولة موقعة على البروتوكول عدوانًا على باقي الدول، وأي مساس بدولة من الدول الموقعة على البروتوكول يعتبر مساسًا صريحًا بباقي الدول الموقع.
5. ماذا تستهدف مصر من حضورها العسكري في الصومال؟، الشرق الأوسط، https://aawsat.com/ العالم-العربي/شمال-أفريقيا/5055265-ماذا-تستهدف-مصر-من-حضورها-العسكري-في-الصومال؟

التعاون العسكري الروسي-الصيني وعلاقته بالحرب الروسية-الأوكرانية

تعد الصين وروسيا فاعلين رئيسيين في النظام الدولي، لذا ينعكس التفاعل بينهما على طبيعة هذا النظام، وشكله الحالي والمستقبلي. ومن هنا، تبرز أهمية وموضوع العلاقات الروسية- الصينية؛ فلكل منهما توجهات وسياسات إقليمية ودولية تسعى عبرها لتحقيق مصالحها، ويبدو أن أهدافهما الخارجية متطابقة إلى حد كبير لا سيما فيما يتعلق بأسس النظام الدولي وطبيعته. وقد برزت أهمية العلاقات المشتركة بينهما منذ عام 2001، وحظيت بطفرة كبرى في أعقاب الحرب الروسية-الأوكرانية التي تعتبر حربًا روسية مع الغرب. ومن هنا، ازداد التعاون بين روسيا والصين، بسبب موقفهما المتشابه تجاه الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية، وبسبب مصالحهما المشتركة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو عسكرية.

لواء أ.ح.م/مجدي حجازي

مستشار الأكاديمية العسكرية للدراسات العليا الاستراتيجية،

ومحافظ أسوان الأسبق

أولًا: مجالات التعاون في العلاقات الروسية-الصينية

في **المجال الاقتصادي**، تعززت العلاقات الاقتصادية بين الدولتين من خلال التجارة والاستثمارات المشتركة، حيث أظهرت بيانات الجمارك الصينية أن التغيرات الجيوسياسية خصوصًا خلال الحرب الروسية-الأوكرانية وتبعاتها، دفعت روسيا إلى تعزيز علاقاتها التجارية مع الصين. وفي هذا السياق، تفوقت روسيا على المملكة العربية السعودية لتصبح المصدر الرئيسي للنفط الخام إلى الصين التي تعد أكبر شريك تجاري لروسيا، كما أن هناك مشروعات كبرى للتبادل التجاري بين البلدين مثل: خط الأنابيب التي تنقل الغاز الروسي إلى الصين (Power Siberia). كما أن روسيا تسعى منذ عدة سنوات لإجراء محادثات حيال إنشاء خط أنابيب ثاني والذي من المتوقع أن ينقل سنويًا 50 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي الروسي من منطقة يامال في روسيا الشمالية إلى الصين عبر منغوليا[1].

على الصعيد السياسي، وفي الفترة الحالية، هناك تقارب وتوافق سياسي ملحوظ بين الدولتين، حيث تتخذ الدولتان مسارات متوازية في أغلب رؤاهم السياسية، وتشتركان في موقفهما المناهض للغرب وللولايات المتحدة الأمريكية. كما تؤكد الدولتان رؤيتهما المشتركة لنظام عالمي جديد متعدد الأقطاب تتمكن فيه الدول من العمل وفقًا لقواعد جديدة مختلفة عن تلك التي وضعتها الدول الغربية الليبرالية الأخرى.

على الصعيد العسكري، خلال الأعوام الأخيرة، تعددت بشكل ملحوظ مظاهر التعاون العسكري الروسي-الصيني في العديد من المجالات؛ منها: التدريبات، والمناورات المشتركة، ومبيعات الأسلحة بين كلا الطرفين، وكذا التعاون في مجال الأمن السيبراني من خلال عملهما على إعادة تشكيل الإنترنت للحد من النفوذ الغربي، والعمل على حماية البيانات من الاختراق ومن عمليات التجسس الأمريكية.

كما أجرت الصين وروسيا تدريبات عسكرية مشتركة متعددة لإظهار تعاونهما العسكري المتزايد، وقد شمل ذلك تدريبات بحرية وبرية بهدف زيادة التنسيق وتبادل الخبرات واستعراض القوة. وعلى الرغم من تناقص معدلات المساعدات العسكرية وكذا معدلات بيع وشراء الأسلحة فإن الدولتين تسعيان إلى زيادة حجم التبادل في مبيعات الأسلحة بشكل متبادل، وهو ما تأكد في المباحثات التي جرت على مستوى القمة الروسية-الصينية.

فقد عززت روسيا والصين من تحالفهما الاستراتيجي عسكريًا، وخاصة في ظل المخاوف إزاء التهديدات المحتملة من الولايات المتحدة وشركائها. وقد شمل هذا التعاون بذل جهود مشتركة لمواجهة الحضور العسكري الأمريكي في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، حيث تعارض الدولتان هيمنة الدول الغربية واستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة المحيطين الهندي والهادئ، وتحركات الناتو في المنطقة والتي كان لها تأثير سلبي في الاستقرار والأمن في المنطقة.

وفي ضوء ما سبق، ففي ظل الظروف الدولية المحيطة والمتوقعة، من المتوقع أن تشهد العلاقات الروسية- الصينية تطورًا متزايدًا وعميقًا في أطر مؤسسية استنادًا إلى المصالح المتبادلة والرؤى المشتركة خاصة الرغبة في تحويل النظام الدولي إلى نظام دولي متعدد الأقطاب، ووجود تهديدات مشتركة تدفع إلى الالتزام الكبير والمتبادل بإقامة تحالف متين ومرن وقادر على التصدي للتحديات الجيوسياسية الراهنة ومتوسطة الأجل.

ثانيًا: البعدان الأمني والعسكري في العلاقات الصينية-الروسية

1. الأهمية الاستراتيجية للتعاون الأمني العسكري المشترك:

تزداد أهمية التعاون الأمني والعسكري بين الصين وروسيا بالنظر إلى جملة من الاعتبارات التي يأتي في مقدمتها حاجة الصين إلى تطوير قدراتها العسكرية بشكل يضمن لها حماية إنجازاتها الاقتصادية في الداخل والخارج، وتعزيز قدراتها العسكرية التي تسمح لها ببناء مكانة دولية تعزز بها موقفها في مواجهة منافسيها[2]. كما تأتي معظم الواردات الصينية من الأسلحة والتكنولوجيا العسكرية من روسيا، كما تعتمد عمليات التحديث الصينية بشكل رئيسي على روسيا. كما يتم تدريب العديد من الضباط الصينيين في المؤسسات التعليمية العسكرية الروسية مثل: أكاديمية الأسلحة العامة، وأكاديمية النقل، والأكاديمية البحرية، وأكاديمية الأركان العامة[3].

هذا وتسعى الصين إلى امتلاك القدرة على اختراق دفاعات أي عدو محتمل وامتلاك أنظمة قيادة وسيطرة واتصالات متطورة، فضلًا عن امتلاك القدرة على الهجوم على مصادر التهديد الموجه من الفضاء، وهو ما يحدث بمساعدة روسيا وبالتعاون معها، وذلك بإمدادها بالتكنولوجيا العسكرية المتقدمة في مختلف المجالات.

إلى جانب هذا، تعمل الصين على إثبات قوة وجودها في بحر الصين الجنوبي، كما تسعى لعودة تايوان إلى أحضان الوطن الأم، وهو ما تعارضه الولايات المتحدة. ودائمًا ما تلوح الصين في هاتين القضيتين باستعمال القوة العسكرية حال المساس بسيادتها. كما تعتمد الصين على روسيا لإمدادها بالأسلحة والمعدات البحرية الجوية والتكنولوجية التي تسمح لها بامتلاك إمكانيات حرب الفضاء السيبراني لاستعمالها في أي حرب محتملة مع الولايات المتحدة التي توجد قواتها قرب الحدود الصينية. إذ تملك روسيا خبرة وتجربة في مجال حرب المعلومات؛ فعندما شنت روسيا حربها على جورجيا، استُهدفت المؤسسات الحكومية الجورجية وعُطلت عن العمل عبر هجمات سيبرانية[4].

أما روسيا، فتنظر إلى علاقتها بالصين من منظور استراتيجي؛ فهي ترى في السوق الصينية فرصة كبيرة لتصدير مختلف أنواع الأسلحة

والتكنولوجيا العسكرية، وهذا في حد ذاته يمثل أهمية عسكرية لروسيا مثل الأهمية الاقتصادية المحققة من تصدير الأسلحة للصين. إذ تدرك روسيا أن أفضل وسيلة لتجنب أي تهديد من الصين هو دعم التعاون معها وتعزيز الاعتماد المتبادل معها في المجالين الأمني والعسكري.

لقد كان قرار استخدام القوة العسكرية الروسية في أوكرانيا أحد عوامل تأجيج الصراع الاستراتيجي بين الصين والولايات المتحدة. وقد كان لموقف الصين تجاه الحرب الروسية-الأوكرانية في ظل التعاون التام بين الصين وروسيا مؤشرًا لوقوف الصين بجانب الموقف الروسي، حيث تتوافق الرؤى الروسية-الصينية في رؤية كل منهما لأوكرانيا وتايوان.

تعتبر روسيا أن التعاون الدفاعي مع الصين أداة مهمة لتحقيق الاستقرار في العلاقات معها والحفاظ على التكافؤ بين البلدين. ومؤخرًا، كانت القوة العسكرية الروسية في حالة انحسار فضلًا عن تدهور العلاقات مع الولايات المتحدة، لذلك لا يمكن لروسيا أن تكون على خلاف مع الصين التي هي الآن قوى عظمى تشترك معها في حدود برية طويلة. فمن خلال العلاقات المتبادلة في مجال الدفاع، تستطيع موسكو تقليل التهديد الذي تشكله الصين لروسيا، وأن تحظى في الوقت نفسه باحترام بكين من خلال إظهار أهمية روسيا من الناحية العسكرية.

2. آليات التعاون العسكري الصيني-الروسي:

إن التقارب العسكري الاستراتيجي بين الدول لا يحدث فجأة، بل يمر بعدد من المراحل، فلا يمكن لمرحلة أن تسبق أخرى، غير أن الدول يمكن لها أن تندفع نحو تنظيم معاهدة وتحالف فيما بينها فجأة وذلك ردًا على تهديد خارجي مفاجئ دون المرور على مراحل التعاون المتعارف عليها[5]، وهي:

- تدابير بناء الثقة.
- آلية المشاورات المنتظمة بين الجيوش.
- التعاون العسكري التقني.
- تدريبات عسكرية مشتركة ومنتظمة.
- دمج القيادات العسكرية وتكوين قيادات مشتركة.
- دمج القوات المشتركة.
- اتفاقيات الدفاع المشترك وتكوين الأحلاف العسكرية.

في الحالة الروسية-الصينية، دُمجت المراحل السبع النظرية السابقة في ثلاث مراحل شملت كل منها مرحلتين أو ثلاث مراحل نظرية. وعليه، مر التعاون العسكري الروسي-الصيني بعدة مراحل، تمثل أولها في تدابير بناء الثقة والمشاورات المنتظمة، وقد بدأت هذه المرحلة في أوائل التسعينيات من القرن الماضي، وكانت أبرز إجراءاتها إجراءات تسوية النزاع الروسي-الصيني على الحدود التي يبلغ طولها 4300 كم واتفاقيات تخفيض القوات على الحدود المشتركة. وفي يوليو 1994، وقعت الدولتان اتفاقية منع الأنشطة العسكرية الخطرة على الحدود المشتركة، ثم وقعتا اتفاقيتين أخريين بشأن عدم استخدام الأسلحة النووية وتسوية الحدود الغربية بين الجانبين. وفي إطارهما، تم الارتقاء بالعلاقات الثنائية من "حسن الجوار" إلى التعاون البناء. وعلى مدار الأعوام حتى عام 2001، انتهت جميع المشكلات الحدودية بين الدولتين. وفي يونيو 2005، تبادل وزيرا خارجية الدولتين وثائق إبرام الاتفاقية الإضافية الملحقة بمعاهدة الحدود الدولية بين البلدين في الجزء الشرقي.[6] أما المرحلة المتوسطة، فتمثلت في **مرحلة التعاون التقني والتدريبات العسكرية المشتركة؛** فقد بدأ التعاون العسكري التقني منذ بداية التسعينيات خاصة بعد إضفاء الطابع المؤسسي على المشاورات الثنائية بين البلدين. وقد مثل تاريخ 11 ديسمبر 2008 نقطة تحول مهمة على صعيد التعاون العسكري بين الجانبين. فقد تم التوقيع على اتفاقية الملكية الفكرية في التعاون العسكري التقني والتي مثلت نقطة تحول في رفع مستوى التعاون بين الجانبين. وفي أغسطس 2015، أُطلق عدد من المشروعات العسكرية المشتركة في مجالات الأقمار الصناعية والمعدات الفضائية وتصنيع الطائرات وتصدير الأسلحة بأنواعها خاصة المضادة للطائرات في أعقاب الأزمة الروسية-الأوكرانية الأولى عام 2014، حتى أخذ التعاون بين الصين وروسيا شكل التقارب المستمر والمتنامي. ولاحقًا، تطور بشكل ملحوظ أعداد العسكريين الصينيين الذين دُربوا في روسيا، كما شهدت هذه المرحلة إدخال العديد من أنواع التدريبات الأخرى في المجالات البحري والجوي ومقاومة الإرهاب. كما تُجري الصين وروسيا بصورة سنوية تدريبًا واحدًا أو اثنين من التدريبات العسكرية المشتركة والتي قد تصل إلى 5 - 6 تدريبات سنويًا.

أما المرحلة الثالثة، فهي **مرحلة التعاون المتقدم** والتي شهدت دمج وتكامل القيادات والانتشار المشترك وسياسات الدفاع المشتركة. وقد شهدت هذه المرحلة منذ عام 2010 حتى الآن مزيدًا من التطور في التدريبات المشتركة وتحسين تنسيق القوات مع عناصر محاكاة الدفاع المشترك والمزيد من التعاون التقني والقيادة المتكاملة. وفي أوائل العشرينيات من القرن الحالي، تقدمت عمليات التدريب العسكري التقني المشترك بدرجة أكبر مما كانت عليه، وزادت مجالات التعاون في المجالات الجوية والبحرية حتى وصلت إلى مشاركة الغواصات النووية.

وبشكل عام، يمثل التعاون الروسي-الصيني وسيلة ضغط على الولايات المتحدة والدول الغربية من خلال الحرب الروسية-الأوكرانية. وتكاد الصين توافق على الإجراءات العسكرية الروسية في أوكرانيا دون أن تصرح بذلك رسميًا.

ثالثًا: انعكاسات على الحرب الروسية-الأوكرانية

مثلت الحرب الروسية-الأوكرانية دفعة كبرى للعلاقات الروسية-الصينية، فقد تسارع معدل التعاون العسكري والاقتصادي والسياسي بين الطرفين بمعدل غير مسبوق مدفوعًا بالاحتياج الروسي للدعم الصيني عسكريًا، بالإضافة إلى تخوفات الصين من تصاعد الموقف الغربي

تجاهها في مجالات الاقتصاد والتكنولوجيا. فقد منحت هذه الظروف الصين فرصة استثنائية لتعزيز نفوذها في مناطق التنافس التاريخي مع روسيا؛ إذ دفعت الصراعات الحدودية التاريخية الصين وروسيا إلى حافة المواجهة العسكرية، مما خلف عقودًا من الترقب والارتياب بين الجانبين الروسي والصيني والتي تجمعهما حدود مشتركة أكثر من 400 كم، وهو ما يشير إلى أن الحرب الروسية-الأوكرانية، وإن كانت قد دفعت البلدين إلى التقارب، فإنها زادت من التنافس الخفي بينهما.

لقد كانت الحرب الروسية-الأوكرانية حدثًا فارقًا في مسار العلاقات الروسية-الصينية المعقدة، إذ زادت الحرب، خاصة مع امتدادها لأكثر من عامين، من تقارب روسيا والصين بشكل متسارع أملًا في الحصول على المزيد من المنافع المشتركة، وسعت روسيا للتقارب مع بكين وتجاوز مخاوفها وذلك لفتح نافذة للإفلات من العقوبات الغربية والأمريكية المتزايدة.

لقد مثلت الحرب الروسية-الأوكرانية فرصة للصين لتعزيز وجودها في محيط موسكو بموافقة وترحيب روسي، بالإضافة لحصد مزايا اقتصادية كبيرة، لأن روسيا وجهت مواردها الاقتصادية وثقلها الاستراتيجي باتجاه الصين، **وذلك من خلال ما يلي:**

- تنامي العلاقات الاقتصادية الصينية مع روسيا، حيث أصبحت الصين أكبر شريك تجاري لروسيا منذ عام 2023، في حين أصبحت روسيا سادس شريك تجاري للصين.
- مكاسب سياسية صينية غير متوقعة من خلال تعزيز نفوذها في منطقة جغرافية مهمة ضمن خطط مبادرة الحزام والطريق، وذلك نتيجة الفراغ الاستراتيجي الذي شهدته منطقة آسيا الوسطى.
- جهود صينية هادئة لزيادة النفوذ من خلال سعي الصين لاستغلال الأزمة في أوكرانيا لزيادة نفوذها في آسيا.
- كان الدعم الصيني ضروريًا للإبقاء على المكاسب الروسية في ساحة المعركة الأوكرانية مع تقلص واردات روسيا العسكرية بسبب العقوبات الغربية، فقد زادت الصادرات الصينية لروسيا لسد العديد من الاحتياجات المدنية والعسكرية. وفي المقابل، كان على موسكو غض الطرف عن عدائها القديم للصين وترقبها لتحركاتها في محيطها الحيوي باعتبارها أزمات يمكن التعامل معها لاحقًا عقب الانتهاء من الحرب في أوكرانيا.

ويستخلص مما سبق أن الحرب الروسية-الأوكرانية كانت لها تبعات غير مخططة على مسار العلاقات الروسية-الصينية، مما يخدم ميزان القوى لصالح الصين التي تسعى لاستغلال الفرصة والاستفادة من التشتت الغربي والضعف الروسي للتغلغل اقتصاديًا عبر الاستفادة من موارد روسيا في مجال الطاقة والحصول عليها بأسعار مناسبة، والاستفادة سياسيًا عبر التحرك بسرعة وحرية أكبر لتقوية نفوذها في دول عُرفت تاريخيًا بأنها الحديقة الخلفية لروسيا. كما مكنت تطورات الأزمة بهذا الشكل من اقتراب بكين من الحصول على تقنيات عسكرية فائقة التطور من موسكو، بل ونقل معركة بكين مع الغرب بشأن تايوان بعيدًا عن حدود الصين. كما أثبتت الحرب الروسية-الأوكرانية فشل العقوبات الغربية الاقتصادية وتأكيد فشلها في حالة استخدامها مع الصين في مشكلة تايوان خاصة أن تداعياتها ستكون أكبر على الاقتصاديات الغربية بسبب الحجم الهائل للاقتصاد الصيني. ولا تستطيع موسكو في وضعها الحالي تأجيل الصراع مع الصين لحين الانتصار في الحرب الأوكرانية، وستركز موسكو على استمرار التعاون مع بكين سواء في ساحتها الخلفية (وسط آسيا) أو في التنافس العسكري والاقتصادي بين البلدين.

وختامًا، لا يسهل تقييم درجة التقارب الاستراتيجي العسكري الروسي-الصيني في أعقاب الحرب الباردة وتحديدًا بعد الحرب الروسية-الأوكرانية، بسبب تعدد المصالح وكذلك الاختلافات والتناقضات في مجالات عدة. بيد أن المصالح القومية هي الحاكمة لتلك العلاقات، ومصلحة موسكو تتمثل في حاجتها إلى الدعم الصيني وخاصة في ظل العداء الروسي الغربي، أما مصلحة بكين فتتمثل في الحصول على أكبر قدر من المكاسب من الحرب الروسية-الأوكرانية التي تساعدها في الحاضر وفي المستقبل. وعليه، يصعب توقع العلاقات المستقبلية بين البلدين وخاصة في ظل طول أمد الحرب الروسية-الأوكرانية، ولا شك أن الوضع في الشرق الأوسط حاليًا وما يحدث من حرب بالوكالة بين إسرائيل ووكلاء إيران في منطقة الشرق الأوسط قد ألقى بظلاله على الأوضاع العالمية.

1. عائشة إبراهيم الحوسني، أفاق العلاقات الصينية-الروسية في ضوء زيارة الرئيس الروسي بوتين الى الصين، ترينذ للبحوث والاستشارات، متاح على: https://trendsresearch.org/ar/in-sight/%D8%A2%D9%81%D8%A7%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B6%D9%88%D8%A1-%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B6%D9%88%D8%A1-%D8%B2/
2. بشير عبد الفتاح، الأبعاد الاستراتيجية للمناورات الروسية الصينية، مجلة السياسة الدولية، 2005، ص. 76
3. منتصر عمران ناجي الرفاعي، تأثير الصعود الصيني في مستقبل الهيمنة الأمريكية، بيروت، 2014،ص ص. 211 - 212.
4. ريتشارد كلارك، روبرت نايك، حرب الفضاء الالكتروني (التهديد التالي للأمن وكيفية التعامل معه)، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2012،ص. 34.
5. غزلان محمود عبد العزيز، التقارب العسكري الروسي الصيني واحتمالات التحالف العسكري، المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، جامعة الإسكندرية، 2005،ص ص. 20-15.
6. -كيف استفادت الصين من الحرب الأوكرانية، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2024، متاح على: https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/9347/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AB%D9%85%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B2%D9%85%D8%A7%D8%AA-%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%81%D8%A7%D8%AF%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%8A%D9%86-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%83%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9

تقـــــارير

يسلط قسم "تقارير" الضوء على القدرات العسكرية لكل من حركة حماس وحزب الله وجماعة الحوثي مع تحليل ضرباتهم الصاروخية ضد إسرائيل ومقارنة القدرات القتالية لمنظومات الدفاع الجوي الإسرائيلية بالصواريخ والمُسيّرات الإيرانية. كما يتناول بالشرح والتحليل آخر مستجدات الحرب الروسية-الأوكرانية في ظل ما تشهده مقاطعة كورسك من هجمات أوكرانية مباغتة وضعت القوات الروسية في موقف دفاعي بحت على أراضيها. كما يسلط هذا القسم الضوء على السلاح النووي بين الاستخدام والردع، وسط تساؤلات عن السلاح النووي ودوره بين احتمالية استخدامه للتدمير الشامل أو كورقة فاعلة للردع النووي في ظل سرية وغياب الشفافية بين الدول النووية التي لا تعلن عن ترساناتها.

القدرات العسكرية لأكبر وكلاء إيران في الشـــرق الأوســط ضــد إسرائيل

يعتبر الصراع في الشرق الأوسط صراعًا سياسيًا عسكريًا أيديولوجيًا في الآن نفسه. ومن هذا المنطلق، فإن العديد من القوى العسكرية غير النظامية ذات الخلفيات الدينية لها دور رئيسي في هذا الصراع، لذا تعاظم دور وكلاء إيران في الشرق الأوسط في مواجهة إسرائيل مع تنفيذ عمليات عدائية ضدها بدعوى مناصرة القضية الفلسطينية، وقد يكون لهم أغراض أخرى غير معلنة في الوقت الحالي. وعليه، سيدور الموضوع حول تأصيل القوى الموالية لإيران في الشرق الأوسط وتحديدًا الأكثر تنظيمًا وتسليحًا منهم مع عرض قدراتهم العسكرية، ويلي ذلك سرد للضربات الصاروخية بواسطة كل من حماس وحزب الله والحوثيين ضد مواقع عسكرية وأهداف حيوية في إسرائيل، ثم عقد مقارنة بين القدرات القتالية لمنظومات الدفاع الجوي الإسرائيلية ضد الصواريخ والمُسيّرات الإيرانية.

لواء أ.ح.م/ مجدي حجازي

مستشار الأكاديمية العسكرية للدراسات العليا والاستراتيجية،

ومحافظ أسوان الأسبق

أولًا: أبرز وكلاء إيران في الشرق الأوسط وقدراتها الصاروخية[1]

تسعى إيران إلى إبراز قوتها العسكرية في أكبر مساحة في الشرق الأوسط، وذلك من خلال دعمها لأكثر من 20 مجموعة وحركة بالأسلحة والتدريب والمساعدات المالية. وتشترك تلك المجموعات في خدمة أهداف إيران، كما أن لديها مصالح محلية. وقد نجحت إيران في منافسة القوى الإقليمية التقليدية في المنطقة (السعودية وتركيا وإسرائيل) وذلك من خلال الدعم المباشر لتلك المجموعات اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا. ويعد الحرس الثوري الإيراني الذراع العسكري لنظام طهران في إدارة الجماعات المسلحة المرتبطة عضويًا بإيران أو التي ترتبط معها بمصالح مشتركة على غرار حماس. والجدير بالذكر أن أغلب تلك الجماعات مُصنفة من قِبل الولايات المتحدة الأمريكية كجماعات إرهابية. وفي تقديري، فإن حرب الظل بين إيران وإسرائيل قد انتهت بعد 7 أكتوبر 2023، وهو اليوم الذي بدأت فيه عملية "طوفان الأقصى" ضد إسرائيل، وترتب عليها الحرب الإسرائيلية على غزة طيلة عام كامل، ثم على لبنان.

1. حركة حماس[2]:

منذ إنشاء حركة حماس في عام 1987، قامت الحركة بشن العديد من الهجمات على إسرائيل، وكانت غالبًا ما تعمل مع جماعات مسلحة أخرى مدعومة من إيران، مثل حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية. **وفي عام 2021، أطلقت الجماعتان حوالى 4000 صاروخ على إسرائيل خلال 11 يومًا،** ولم تكتفِ إيران بتزويد كلتيهما بالأسلحة والتدريب فحسب، بل قامت أيضًا بتدريب حماس على كيفية صنع وتجميع أسلحتها باستخدام أدوات محلية.

في أوائل التسعينيات، بدأ تواصل إيران مع حماس في لبنان بعد أن أجبرت إسرائيل مئات الفلسطينيين بما فيهم قادة حماس على اللجوء إلى لبنان، وقد سارع أتباع الحركة إلى إقامة علاقات مع أعضاء حزب الله، فأصبحت حماس مرتبطة بإيران.

في أوائل عام 2011، خلال ما سُمي "الربيع العربي"، دعمت حماس القوات المناهضة للنظام السوري، في حين أن إيران قد دعمت الرئيس بشار الأسد، وعلى النسق نفسه في عام 2015 دعمت حماس السعودية ضد جماعة الحوثي اليمنية المدعومة من إيران، ولكن لأن المصالح تتصالح فقد حدث بعد ذلك تقارب بين قيادة حماس والأسد، وبين حماس والحوثيين.

ولتحليل القدرات العسكرية لحركة حماس، تشير التقديرات أنها تمتلك أسلحة غير متطورة نسبيًا، لكن الكمية تعوض ما تفتقر إليه ترسانتها من حيث الجودة والتطور. كما تشير التقديرات أن لدى حماس آلاف الصواريخ قصيرة ومتوسطة المدى تصل حتى مسافة 125 ميلًا على الأقل. **ومن غزة، يمكن أن يصل بعض هذه الصواريخ إلى مدينتي إيلات وحيفا وكذلك القدس وتل أبيب.** كما تمتلك حماس عددًا كبيرًا من الصواريخ المحمولة المضادة للدبابات روسية الصنع والتي استخدمتها ضد القوات الإسرائيلية في غزة، كما لديها طائرات مُسيّرة بدون طيار استخدمتها لمهاجمة الدبابات ونقاط الاتصال الإسرائيلية. وداخل غزة، تمتلك حماس القدرة على تجميع وتصنيع بعض الأسلحة من خلال الحصول على مكوناتها الجزئية من إيران والصين وروسيا، وليس من الواضح حصول حماس على هذه الأجزاء من الصين وروسيا مباشرة أو من خلال إيران وحزب الله، ومن المرجح الاحتمال الثاني بنسبة أكثر من الاحتمال الأول أو بالطريقتين.

أما على صعيد الضربات الصاروخية من حماس ضد إسرائيل[3]، فمنذ اندلاع الحرب في7 أكتوبر2023 على خلفية "طوفان الأقصى"، لم يتوقف سلاح الجو الإسرائيلي عن قصف قطاع غزة المحاصر بشكل يفوق كل الحروب السابقة عليها مجتمعة، لكن حركة حماس واصلت إطلاق الصواريخ بشكل فعال. كما نفذت حماس هجومًا صاروخيًا وبالمُسيرّات ضد إسرائيل في السابع من أكتوبر 2023 وهي تعلم يقينًا أن جيش إسرائيل سيرد بشن حرب على غزة وقوات حماس بها، وأنها (أي حركة حماس) لن تتلقى دعمًا أو مزيدًا من الصواريخ والذخائر خلال الحرب، لذا عملت على استخدام صواريخها بحكمة طوال الحرب، وهذا هو السبب الذي دفع الحركة لحفر أنفاق عميقة وطويلة وبناء ملاجئ محصنة تحت الأرض في غزة.

تتبنى حماس سياسة القوة النارية من خلال إحداث أكبر ضرر في إسرائيل مع المحافظة على الصواريخ لأطول فترة ممكنة، لذا نجد أن حماس تطلق كميات صغيرة من الصواريخ في كل رشقة، وتختار مواقع القصف بدقة، وقد تعلمت أن إطلاق صاروخ واحد على مكان ما في إسرائيل مثل (ريشيون لتسيون) قرب تل أبيب كاف لإحداث الأثر النفسي والمعنوي واحتلال نشرات الأخبار. كما تواصل حماس إطلاق الصواريخ حتى تستعرض قوتها فتظهر أنها صامدة في مواجهة الجيش الإسرائيلي، ومع استمرار إطلاق الصواريخ تعطي حماس الانطباع بأنها لا تزال قوية، وتملك زمام المبادرة ولديها القدرة على الاستمرار في القتال وإطلاق الصواريخ ضد أي مكان داخل إسرائيل.

2. حـــــزب الله:

تشير التقارير إلى أن حزب الله يُوضع في مكانة أكبر **وأقدم مجموعات وكلاء إيران وأفضلها تدريبًا في الشرق الأوسط،** كما تشير التقديرات إلى أنه -وهو منظمة شيعية- بات هو القوة السياسية والعسكرية المهيمنة في لبنان. وخلال حرب إسرائيل ضد غزة، بدأ في زيادة الضغط على حدود إسرائيل، وفي المقابل شنت إسرائيل هجومًا مضادًا، ولقد تعددت المواجهات بين الجانبين في أكثر من مناسبة على مدى سنوات طويلة إلى حين الانسحاب الإسرائيلي من لبنان عام 2000، ولكن بعد 6 سنوات من الانسحاب

وتحديدًا في يوليو عام 2006 خاض الطرفان حربًا اعتبرت هي الأشرس.

رغم الحظر الأمريكي على إيران، فإنها تمكنت من الحفاظ على دعمها لحزب الله بعدة طرق؛ فهي تواصل تقديم الأسلحة والمعرفة التكنولوجية المتطورة حتى يتمكن حزب الله من تصنيع الأسلحة محليًا، وهو ما جعل من حزب الله واحدًا من أفضل المليشيات تجهيزًا في الشرق الأوسط.

تعتبر إيران أن قوات حزب الله في لبنان بمثابة خط دفاعها الأول إن تلقت هجومًا إسرائيليًا، ويشير المحللون إلى أن إيران تساعد حزب الله لأن ذلك يمثل لها فرصة لإعادة التموضع في الشرق الأوسط بعد أن أدت حربها مع العراق إلى عزلها عن جزء كبير من دول المنطقة وخاصة عن الحكام المسلمين السنة الذين يشعرون بالقلق منها.

وعلى صعيد القدرات العسكرية لحزب الله [4]، تشير التقديرات إلى أن ترسانة حزب الله تبلغ حوالي (135 - 150) ألف صاروخ وقذيفة مع مدى يصل إلى حوالي 200 ميل أو نحو ذلك، بما يسمح بوصول صواريخ حزب الله إلى عمق إسرائيل من لبنان. فيما يشير المحللون العسكريون إلى أن حزب الله يمتلك ما بين (400-10) صاروخ موجه بأنظمة دقيقة تم تحديثها مؤخرًا، وقد تكون عملية التحديث أُجريت بتكنولوجيا روسية أو صينية على الرغم من تعديلها في بعض الأحيان بواسطة خبراء الأسلحة الإيرانيين أو الموجودين في حزب الله. وبشكل عام، تعمل القوة القتالية لحزب الله أكثر انضباطًا وأفضل تنظيمًا وتدريبًا من بعض جيوش دول الشرق الأوسط؛ إذ تتكون من حوالي 30 ألف فرد مسلح بالإضافة إلى حوالي 20 ألف جندي احتياطي، كما أن حزب الله لديه القدرة على تجنيد وتدريب الآلاف من المسلحين الجُدد بسرعة من خلال دورة تدريب أساسية، كما أنه يقدم العديد من الخدمات الاجتماعية في المجتمعات اللبنانية.

وعلى صعيد **الضربات الصاروخية من حزب الله ضد إسرائيل**[5]، يمكن الإشارة إلى أنه في صباح يوم 8 أكتوبر2023، أطلق حزب الله صواريخ وقذائف على مواقع في منطقة مزارع شبعا، حيث استهدفت مواقع الرادار في زبدين ورويسات العلم. ويوم 11 أكتوبر 2023، أطلق حزب الله صواريخ مضادة للدبابات على موقع للجيش الإسرائيلي. وخلال شهر نوفمبر 2023، في يوم 5 نوفمبر 2023، أسقط حزب الله طائرة إسرائيلية بدون طيار فوق النبطية، كما أعلنت كتائب القسام مسئوليتها عن إطلاق 16 صاروخًا من لبنان استهدفت جنوب حيفا. ويوم 20 نوفمبر 2023، قصف حزب الله قاعدة بيرانيت الإسرائيلية باستخدام صواريخ بركان. وبعد وقف إطلاق النار المؤقت يوم 24 نوفمبر 2023، أوقف حزب الله عملياته العسكرية لفترة وجيزة، وكذلك توقف الجيش الإسرائيلي عن قصف أهداف جنوب لبنان. وقد استمرت الضربات الصاروخية لحزب الله على مواقع إسرائيلية بالصواريخ حتى نهاية عام 2023 يقابلها قيام إسرائيل بقصف أهداف جنوب لبنان ومنها مواقع عسكرية لحزب الله. وخلال شهر يناير 2024، وبالتحديد صباح 2 يناير، أطلق حزب الله حوالي 40 صاروخًا على شمال إسرائيل. ويوم 9 يناير 2024، شن حزب الله هجومًا بطائرة بدون طيار على مقر القيادة الشمالية الإسرائيلية في صفد. وقد استمرت طوال 9 أشهر من عام 2024 إطلاق صواريخ متفرقة من حزب الله بكل من لبنان وسوريا ضد المواقع الإسرائيلية، وقد قوبل هذا بعمليات نوعية إسرائيلية منها ما هو ضد أهداف عسكرية لحزب الله ومنها ما هو ضد أهداف حيوية لبنانية وسورية.

وخلال شهر سبتمبر 2024، وبالتحديد يوم الأربعاء الموافق 18 سبتمبر 2024، استهدف حزب الله ضواحي تل أبيب في تصعيد جيد؛ حيث أعلن استهداف المقر المسئول عن اغتيال القادة وعن تفجيرات البايجر وأجهزة اللاسلكي. كما أكد الجيش الإسرائيلي من جانبه أن نظام الدفاع الجوي اعترض صاروخًا بالستيًا متوسط المدى قادم من لبنان باتجاه تل أبيب، وهذه هي المرة الأولى التي يستهدف فيها حزب الله تل أبيب حتى الآن، وتشير التقارير أن هذه الضربة تمت بنوع من الصواريخ أطلق عليها اسم (قادر 1)، وهو نسخة مطورة من صاروخ (شهاب 3) البالستي، وقد أتت هذه الضربة بعد يومين من رشقات صاروخية أخرى أطلقها حزب الله على إسرائيل طالت عدة مناطق في الجليل الأعلى والأسفل، بالإضافة إلى جنوب شرق حيفا وعكا داخل إسرائيل. وقد اعتبر الخبراء ضربات حزب الله لأهداف عسكرية وحيوية في إسرائيل تطورًا استراتيجيًا مُهمًا في الصراع بين حزب الله وإسرائيل، حيث تظهر هذه الضربات النوعية القدرات العسكرية المتطورة له [6]. ومن ثَمّ، قد يكون اغتيال حسن نصر الله زعيم حزب الله ردًا مباشرًا على هذا التطور الاستراتيجي العسكري في قدرات وعمليات حزب الله ضد إسرائيل.

3. الحوثيـــــــون[7]:

أصبح الحوثيون هم الحكام الفعليون لليمن بعد سيطرتهم على العاصمة صنعاء عام 2014، وهم يسيطرون الآن على ما يقرب من ثلث مساحتها، حيث يعيش حوالي 75% من السكان. ومنذ اندلاع الحرب في غزة، أطلق الحوثيون أكثر من 60 هجومًا صاروخيًا وطائرات بدون طيار على السفن التي تعبر البحر الأحمر وخليج عدن، وقد أثرت الهجمات على التجارة في جميع أنحاء العالم، وانخفض الشحن عبر البحر الأحمر وقناة السويس إلى النصف تقريبًا طبقًا لصندوق النقد الدولي، بينما يقول بعض محللي صناعة النقل أن الانخفاض يصل إلى حوالي 80 %.

وعلى صعيد **ارتباط الحوثيين بإيران**، يمكن القول إن جماعة الحوثي تتلقى أسلحة وتدريبًا من إيران بدلًا من الدعم المادي، وبعض التقارير تشير إلى أنها تتلقى مخدرات وبعض المنتجات النفطية، وكلاهما يمكن إعادة بيعهما، ما يوفر لها

الأموال. وفي ديسمبر 2023، فرضت وزارة المالية الأمريكية عقوبات على شركات الصرافة والأفراد في إيران وتركيا واليمن المتورطين في تحويل ملايين الدولارات من إيران إلى الحوثيين.

أما على صعيد **القدرات العسكرية للحوثيين** [8]، فتمتلك جماعة الحوثي في ترسانتها العسكرية عدة صواريخ بالستية بعيدة المدى ومن أبرزها صواريخ (طوفان) التي يتراوح مداها بين 1350-1900 كم، وهي في حال إطلاقها من أقصى نقطة في حدود اليمن قبالة البحر الأحمر قد تصل إلى مدينة إيلات الإسرائيلية التي تبعد حوالي 1650 كم في خط مستقيم. كما تشمل ترسانة الحوثيين صواريخ بالستية مثل (قدس 2، 3، 4) التي يتراوح مداها بين 2000-1350 كم، وبالتالي فإنها قادرة على الوصول إلى مناطق أبعد من مدينة إيلات أي أنها قادرة على استهداف العمق الإسرائيلي، ويمكن أن تصل إلى مدينة حيفا التي تبعد حوالي 2000 كم أو تل أبيب التي تبعد مسافة 1940 كم. ولعل السلاح الأكثر تطورًا في الترسانة الحوثية هو الصاروخ البالستي (عاصف) الذي يحمل رأسًا حربيًا يبلغ وزنه 1100 رطل (أي حوالي 500 كجم)، ويبلغ مداه 250 ميلًا (400 كجم)، كما تملك جماعة الحوثي الصاروخ الذي يحمل اسم (المندب 2)، ويتم إطلاقه من سطح شاحنة، ويبدو أنه نسخة قريبة من الصاروخ الصيني طراز (c802)، وهو صاروخ مضاد للسفن تم بيعه لإيران في التسعينيات.

كما يملك الحوثيون أسطولًا من المُسيّرات التي يمكنها الطيران لمسافة تصل إلى حوالي 1500 كم بحمولة متفجرة، كما تمتلك الجماعة طائرة مُسيّرة انتحارية تسمى (صماد3-)، ويتراوح مداها بين 1500-1200كم. كما يمتلك الحوثيون مجموعة من الصواريخ كروز المضادة للسفن فضلًا عن القدرات اللازمة لنشر طائرات بدون طيار وقوارب انتحارية غير مأهولة.

أما على صعيد **الضربات الصاروخية من الحوثيين ضد إسرائيل**، فقد أعلن المتحدث العسكري الحوثي في 31 أكتوبر 2023 عن إطلاق دفعة كبيرة من الصواريخ البالستية وعدد كبير من الطائرات المُسيّرة ضد إسرائيل، وقد قال المتحدث إن هذه العملية هي الثالثة منذ بدء العدوان الإسرائيلي على غزة [9]. ومنذ 7 أكتوبر 2023، نطالع كل عدة أيام خبر إطلاق صاروخ بالستي أو طائرة بدون طيار من مسافة تزيد عن 2000 كم من المواقع اليمنية ضد الأهداف الحيوية والعسكرية داخل إسرائيل، ولم تنفِ إسرائيل هذه الأخبار، ولكنها تعلن في أغلب الأحوال تصديها للصواريخ. وفي 15 سبتمبر 2024، قال الناطق العسكري باسم الحوثيين إن قواتهم نفذت عملية نوعية استهدفت موقعًا عسكريًا في يافا بصاروخ فرط صوتي، في حين فتح الجيش الإسرائيلي تحقيقًا في سبب التأخُر في رصد الصاروخ واعتراضه. وفي 27 سبتمبر 2024، قال المتحدث العسكري باسم جماعة الحوثي: إنهم قصفوا هدفًا في تل ابيب وعسقلان ليلة الخميس 26 سبتمبر بصاروخ بالستي وطائرة مُسيّرة وذلك تضامنًا مع غزة ولبنان.

ثانيًا: مقارنة الدفاعات الجوية الإسرائيلية بصواريخ وكلاء إيران في المنطقة [10]

1. الصواريخ والمُسيّرات الإيرانية:

- على مدى السنوات الماضية، طورت إيران مجموعة من الصواريخ البالستية والطائرات المُسيّرة من خلال برنامج لطالما أثار قلق الغرب وإسرائيل، ومن بين منظومة الصواريخ الإيرانية التي قد تصل إلى إسرائيل من مواقع وكلاء إيران بالمنطقة الأنواع الآتية:
- **"سجيل"**: يستطيع قطع حوالي 280 كم في الدقيقة ويصل مداه إلى حوالي 2500 كم.
- **"خيبر"**: يصل مداه إلى 2000 كم، وهو مجهز برأس حربي شديد الانفجار يزن 1500 كجم، في حين تصعب سرعته الفائقة من القدرة على متابعته أو اعتراضه أو تدميره.
- **"الحاج قاسم"**: ويبلغ مداه 140 كم، ويحمل اسم قائد فيلق القدس "قاسم سليماني"، ويمكن اعتباره أول صاروخ بالستي إيراني تكتيكي يعمل بالوقود الصلب، ويمكنه أن يصل إلى إسرائيل من مواقع وكلاء إيران بالشرق الأوسط.
- وقد أعلنت إيران أنها طورت في وقت سابق طائرة مُسيّرة تسمى (مهاجر- 10) يصل مداها إلى 2000 كم، وهي قادرة على الطيران لمدة 24 ساعة وحمولتها القتالية حوالي 300 كجم.
- تستخدم إيران والعناصر الموالية لها في الشرق الأوسط طائرات مُسيّرة من أنواع (شاهد 136، شاهد 131) إيرانية الصنع.

2. منظومة الدفاعات الإسرائيلية:

على مدار العقدين السابق والحالي، حدثت إسرائيل دفاعاتها الجوية بشكل كبير، حيث أضافت أنظمة جديدة لاعتراض الصواريخ البالستية التي يتم إطلاقها من مسافة تصل إلى 2400 كم، ويشمل هذا النطاق اليمن وسوريا والعراق ولبنان، حيث تتمركز العناصر الموالية لإيران، والتي يمكن استعراضها بشكل موجز على النحو التالي:

- **منظومة (القبة الحديدية) الإسرائيلية:** اعترضت المنظومة آلاف الصواريخ منذ عام 2011، وهي مصممة لرصد وتدمير الطائرات الموجهة بدون طيار والصواريخ من مسافة 4 كم حتى 70 كم، وهي واحدة من أكثر أنظمة الدفاع الجوي تقدمًا لدى إسرائيل.

- **منظومـة (مقـلاع داود) الإسـرائيلية:** جـرى تطويـره ونشـره عـام 2017 بهـدف اعتـراض المقذوفـات المتوسـطة وطويلـة المـدى بهـدف سـد الفجـوة بيـن نظـام القبـة الحديديـة ونظـام آخـر يعـرف باسـم آرو (السـهم). وقـد صُمـم نظـام (مقـلاع داود) لكشـف وتدميـر الصواريـخ البالسـتية/ صواريـخ (كـروز) وكذلـك الطائـرات المُسـيّرة بـدون طيـار علـى مـدى يصـل إلـى 200 كـم.
- **منظومة السهم:** وهي منظومة صاروخية يمكنها اعتراض الصواريخ التي يتم إطلاقها من مسافة تصل إلى 2400 كم سواء في الغلاف الجوي لكوكب الأرض أو خارجه.

الخاتمـــــة:

سـيظل الصـراع مسـتمرًا بيـن إسـرائيل وكيلـة الولايـات المتحـدة في الشـرق الأوسـط مـن جانـب، وإيـران مـن الجانـب الآخـر، وتتميـز إيـران بوجـود وكلاء لهـا بالشـرق الأوسـط بـكل مـن غـزة ولبنـان واليمـن وسـوريا والعـراق، وهـذا يعنـي أن وكلاءهـا بالمنطقـة يطوقـون إسـرائيل مـن كل الاتجاهـات. ولا شـك أن الصـراع القائـم بيـن إيـران وإسـرائيل سيسـتمر وسـيزيد مـع الأيـام ارتباطًـا بالقضيـة الفلسـطينية والتـي تصـر إسـرائيل فيهـا علـى عـدم الاعتـراف بحـل الدولتيـن ضاربـة بـكل الآراء الدوليـة عـرض الحائـط. كمـا سـيظل الصـراع قائمًـا بيـن الأهـداف الجويـة سـواء كانـت طائـرات تقليديـة أو مُسـيّرات بـدون طيـار أو صواريـخ بأنواعهـا بينهـا وبيـن وسـائل الدفـاع الجـوي.

1. الحرة، بالأسماء والأرقام... من هم وكلاء إيران في الشرق الأوسط؟ وما قدراتهم؟، الحرة، 9 ابريل 2024، متاح على: https://shorturl.at/gHZTMF
2. المرجع السابق
3. سكاي نيوز، رغم الضربات الإسرائيلية، كيف استمرت حماس في إطلاق الصواريخ، سكاي نيوز، 7 نوفمبر 2023، متاح على: https://shorturl.at/H9wHR
4. الحرة، مرجع سبق ذكره.
5. سكاي نيوز، حزب الله يستهدف مواقع عسكرية شمالي إسرائيل، سكاي نيوز، 13 سبتمبر 2023، متاح على: https://shorturl.at/qnCqY/
6. شيرين شريف، تقصى الحقائق: ماذا نعلم عن صاروخ قادر- 1 الذي أطلقه حزب الله نحو تل أبيب؟، بي بي سي، 24 سبتمبر 2024، متاح على: https://www.bbc.com/arabic/articles/cqjr47zpdpqo
7. الحرة، مرجع سبق ذكره.
8. محمود غراب، بعض الضربات الأمريكية/البريطانية، ما هي القدرات العسكرية للحوثيين، القاهرة الاخبارية، 12 يناير 2024، متاح على: https://shorturl.at/KwvMS
9. - الصواريخ والمسيرات الحوثيون يعلنون دخول الحرب ضد إسرائيل، سكاي نيوز عربية، 31 أكتوبر 2023، متاح على: https://shorturl.at/IIkqP
10. - صواريخ إيران ودفاعات إسرائيل من يربح معركة الردع، سكاي نيوز عربية، 5 أغسطس 2023، متاح على: https://shorturl.at/kkipP

اتجاهات الحرب الروسية - الأوكرانية بين معركتي «كورسك» و «خاركيف»

تحمل مقاطعة كورسك الروسية الحدودية مع أوكرانيا رمزية تاريخية مهمة، نظرًا لكونها موضع إحدى أهم معارك الجبهة الشرقية في الحرب العالمية الثانية، في مثل هذا الوقت من عام 1943، حيث خاضت القوات السوفيتية معارك طاحنة مع القوات الألمانية، خلال الفترة بين الخامس من يوليو والثالث والعشرين من أغسطس، وكان انتصار السوفييت في هذه المعركة، نقطة تحول أساسية -بجانب معركة ستالينجراد التي سبقت هذه المعركة- التي أدت إلى بدء انحسار الهجوم الألماني على الأراضي السوفيتية، ولعلها مفارقة لافتة أن تشهد هذه المقاطعة نفسها، بعد عقود من هذه المعركة، مواجهة عسكرية حاسمة ومهمة، يمكن أن تمثل نقطة مفصلية في نزاع عسكري طال أمده بين موسكو وكييف.

أ. محمد منصور

باحث أول بالمرصد المصري،

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

تشهد هذه المقاطعة منذ الخامس من أغسطس 2024 هجومًا أوكرانيًا مباغتًا على عدة محاور، وهو ما وضع القوات الروسية للمرة الأولى منذ عقود، في موقف دفاعي بحت على أراضيها، مما أعاد بشكل أو بآخر صورة الهجوم الألماني المباغت على الأراضي الروسية في منتصف عام 1941. وقد كان عنصر "المباغتة" هو أهم وجه للشبه بين كلا الهجومين، حيث وجدت موسكو نفسها أمام وضع غير متوقع، لم تظهر أمامها -رغم امتلاكها التفوق الجوي والاستخباراتي على الأراضي الأوكرانية- أي مؤشرات على قرب حدوثه.

هذا المشهد يضع الهجوم الأوكراني المستمر حاليًا على كورسك، ضمن قائمة "المفاجآت" التي تعرضت لها موسكو في أوكرانيا، مثل العمليات السابقة التي أجري تنفيذها عبر الحدود في الداخل الروسي، وفشل الهجوم الروسي في المحور الشمالي لكييف في بداية العملية العسكرية الروسية، والهجمات على قطع أسطول البحر الأسود وجسر القرم، وعملية الهجوم على مبنى الكرملين بطائرات مسيرة في مايو 2023، وتراجع القوات الروسية في جبهة خاركيف في سبتمبر 2022.

أولًا: هجـــوم مضـــــاد جديـــــد أم اختـــراق مؤقـــت؟

بشكل عام، لم تكن عملية الاختراق الأوكرانية الحالية للأراضي الروسية هي الأولى من نوعها عبر الحدود، فقد حدثت في مراحل سابقة عمليات "أقل نطاقًا" تم فيها اختراق الأراضي الروسية، وعلى رأس هذه العمليات، عمليتان تمتا خلال العام الماضي. العملية الأولى تمت في شهر مارس، وخلالها اخترقت مجموعة مسلحة تابعة لمنظمة "متطوعو روسيا" أراضي مقاطعة "بريانسك"، انطلاقًا من مقاطعة "تشيرنيهيف" الأوكرانية، وهاجمت على مدار يوم كامل قريتي "ليوبيشان" و"سوشاني"، ومن ثم انسحبت إلى داخل الأراضي الأوكرانية. أما العملية الثانية، فقد تمت أواخر شهر مايو من العام نفسه، وخلالها نفذت مجموعتان تابعتان لمنظمة "متطوعو روسيا" و"فيلق الحرية الروسي" اختراقًا للحدود الروسية، انطلاقًا من مقاطعة "خاركيف" الأوكرانية، استهدفت فيه مناطق تابعة لمقاطعة "بيلجورود"، وقد كان هذا الهجوم أوسع نطاقًا من هجوم مارس، وخلاله دخلت المجموعتان مدعومتين بالدبابات وناقلات الجند قريتي "جرايفورون" و"كوزينكا" الحدودية، وهاجمت مراكز الشرطة في عدة قرى بهذا النطاق، مما أدى إلى قيام حكومة الإقليم خلال هذا الاختراق، بإصدار أوامر بإخلاء تسع قرى، وقد دام هذا الهجوم يومًا واحدًا.

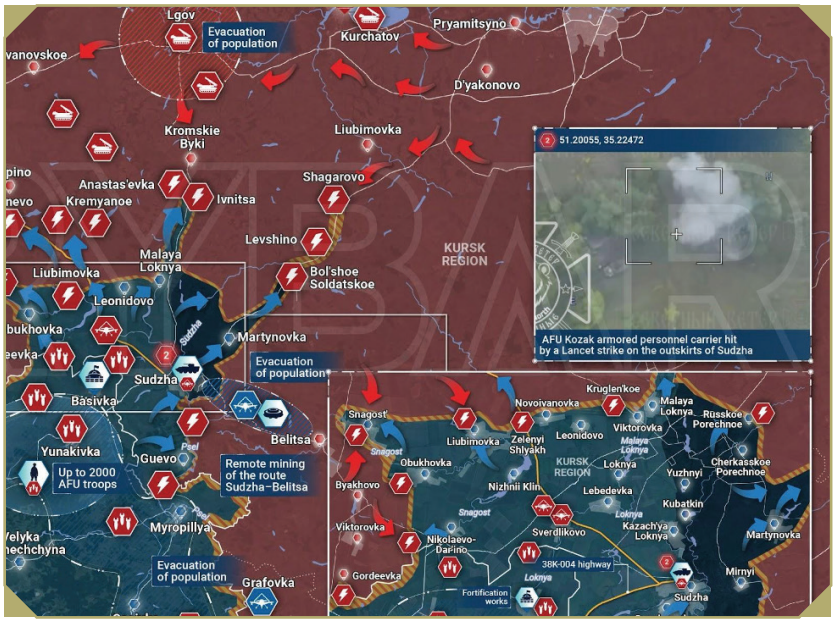

من هذا المنطلق، يمكن القول إن العملية الحالية يمكن النظر لها بوصفها "اختراقًا مؤقتًا"، يستهدف تحقيق أهداف ميدانية وعملياتية محددة، لا يبدو أن من بينها السيطرة على الأرض -لأسباب عدة ترتبط بالموقف الميداني العام في الجبهات الأوكرانية المختلفة- لكن هناك اختلافات جوهرية في هذا الهجوم عن الهجمات السابقة، خاصة فيما يتعلق بعدد القوات وعتادها، وأسلوب تحركها داخل الأراضي الروسية، والأهم هنا أن الوضع الميداني العام في الجبهات الأوكرانية المختلفة كان له دور أساسي في تنفيذ كييف لهذا الهجوم.

ثانيًـا: موقـف أوكرانـي حـرج فـي الجبهـة الشـرقية

ينقسم المجهود العسكري الروسي بالجبهات الأوكرانية حاليًا، إلى قسمين أساسيين؛ القسم الأول: يقاتل في جبهة شمال شرق أوكرانيا، وتحديدًا المحاور القتالية التي تقع في مقاطعتي "خاركيف" و"سومي". أما القسم الثاني: فيقاتل على طول خطوط المواجهة في أقاليم "لوهانسك" و"دونيسك" و"زابوروجيا" و"خيرسون". تتركز المعارك حاليًا بشكل أساسي في المحاور القتالية بجبهات "خاركيف" و"دونيسك"، بجانب معارك أقل زخمًا في جبهات "لوهانسك" و"زابوروجيا"، في حين تراجعت بشكل كبير حدة القتال في المناطق الشمالية الغربية من "خيرسون" والمناطق الشمالية الشرقية من "سومي".

ولعل النقطة الأهم في هذه المرحلة على المستوى الميداني، ترتبط بإعادة القوات الروسية منذ نحو أربعة أشهر تنشيط الجبهة الشمالية الشرقية في مقاطعة "خاركيف"، حيث أنشأت محورين أساسيين في هذه المناطق؛ الأول: نحو مدينة "فوفشانيسكا" والآخر: نحو مدينة "ليبتسي"، وقد حققت خلال الشهر الأول من هذا الهجوم، تقدمًا كبيرًا في اتجاه مدينة ليبتسي، ووصلت إلى المناطق الوسطى فيها، وسيطرت بشكل كامل على مدينة "غلوبكا" الواقعة شمال غربها، إلا أن تعزيزات أوكرانية وصلت إلى

هذه المدينة خلال الأسابيع الأخيرة، أدت إلى استعادة السيطرة على كامل مناطق "ليبتسي" و"غلوبكا"، وقد عادت واستعادت القوات الروسية مدينة "غلوبكا"، وتعمل حاليًا في تخوم مدينة "ليبتسي" ومدينة "فوفشانيسكا"، وتحاول تشتيت القوات الأوكرانية الموجودة على طول خط المواجهة عبر إطلاق هجمات فرعية على القرى الواقعة غرب نهر "سيفري دونيسك" مثل قرية "ستاريتسيا" التي سيطرت عليها القوات الروسية مؤخرًا، وتقع غرب مدينة "فوفشانيسكا"[1].

وعلى الرغم من أن الموقف الروسي في الجبهة الشمالية الشرقية بشكل عام لا يمثل خطرًا داهمًا على القوات الأوكرانية التي بدا أنها تمكنت من وقف الهجوم الروسي المفاجئ، فإن إعادة تفعيل موسكو محور خاركيف القتالي، وكذا تفعيلها لفترة وجيزة عمليات عسكرية في شرق مقاطعة "سومي" شمال خاركيف، قد طرح عدة احتمالات أساسية حول أهداف تفعيل موسكو للجبهة الشمالية الشرقية، بعد فترة طويلة من توقف العمليات فيها، وهو ما يمكن حصره في احتمالين أساسيين؛ **الأول:** هو إجبار القوات الأوكرانية المدافعة عن جبهات الشرق والجنوب، على سحب جزء من وحداتها القتالية لمواجهة التهديد المستجد شمال شرق البلاد. الاحتمال **الثاني:** يرتبط باحتمالية وجود قرار روسي بفرض منطقة عازلة، تبدأ من عمق 10 كيلو متر، وقد تتضاعف لتصل إلى عمق 300 كيلو متر، لسحب ورقة هجمات العمق من أوكرانيا.

ثالثًا: كيفية الهجوم على كورسك

أعدت كييف لتنفيذ هذا الهجوم قوة يتراوح عددها بين 400 و2000 جندي حسب التقديرات الروسية، تتكون من تشكيلات مصغرة تم سحبها من عدة وحدات عسكرية أوكرانية منخرطة في العمليات القتالية الحالية في الجبهتين الشرقية والجنوبية. خلال الأيام التي سبقت بدء الهجوم، وكذلك بالتزامن مع تفعيل عمليات التوغل، نفذ الجيش الأوكراني جولة من عمليات القصف والاستهداف في الأراضي الروسية، حيث استهدف بالطائرات المُسيّرة والصواريخ قاعدة "موروزوفسك" الجوية في منطقة "روستوف" ومستودعات الذخائر الصاروخية في قاعدة "خالينو" الجوية بمقاطعة كورسك، وهو يبعد نحو 100 كيلو مترًا عن خط الحدود، بعد 104 كيلومترات من أوكرانيا. في السابع من أغسطس، دمرت طائرة بدون طيار مستودع ذخيرة بالقرب من قرية "سيرجيفكا" في منطقة فورونيج الروسية على بعد حوالي 140 كم من الجبهة[2].

تحركت الطلائع الأولى لهذه القوات، معززة بالدبابات وناقلات الجند، في وقت متأخر من ليل السادس من أغسطس 2024، انطلاقًا من مقاطعة "سومي" الأوكرانية نحو أراضي مقاطعة كورسك على ثلاثة محاور رئيسية؛ الأول: كان نحو مدينة "كورنيفو" التي تقع على الطريق نحو مدينة "رايلسك"، والثاني: نحو قرية "كرومسكي بايكي" التي تقع على الطريق نحو مدينة "لاجوف"، والثالث: كان في اتجاه مدينة "سودجا" التي يوجد طريق سريع يربطها بمركز مقاطعة "كورسك". يضاف إلى الاتجاهات الثلاث اتجاهين فرعيين لم يشهدا تقدمًا كبيرًا في البداية؛ الأول غربًا نحو قرية "سناجوست"، والثاني نحو الجنوب الشرقي في اتجاه "جويفو".

بدا من طريقة التحرك الأوكراني في هذا الهجوم اختلافه بشكل كبير عن هجمات العام الماضي؛ حيث كانت التحركات الهجومية أكثر تنسيقًا مع وجود وسائط مدفعية ودفاع جوي ووجود مركبات قتال مدرعة من نوع "برادلي" و"ستريكر" ودبابات متنوعة، وهو ما يشير في مجمله إلى عملية أكثر تنظيمًا وجوهرية مقارنة بالغارات عبر الحدود السابقة؛ حيث تقدمت القوات الأوكرانية بشكل سريع في الاتجاهين الأول والثاني، وسيطرت على عدد من القرى والمناطق في الاتجاهات الثلاث الرئيسة، أهمها تخوم مدينة "كورنيفو" ومناطق "باسيفكا" و"ميرني" و"بونداريفكا" في الاتجاه الأول، بجانب أغلب مناطق مدينة "سودجا" في الاتجاه الثالث، وبشكل خاص القسم الغربي منها، ووصلت إلى قرية "مارتينوفكا" الواقعة شمالها. وقد حققت القوات المهاجمة التوغل الأكبر في هذا الهجوم في الاتجاه الثاني، حيث وصلت إلى منطقة "كازاشيا لوكنيا" التي تبعد نحو 26 كم عن خط الحدود[3].

على المستوى العملياتي، يظهر من الشكل الذي كانت عليها التحركات الأوكرانية منذ بدء الهجوم على كورسك وحتى الآن، أن القوات الأوكرانية تستهدف التقدم شمالًا لقطع قسم من الطريق السريع الرابط بين مدينتي "لاجوف" و"رايلسك"، والذي يصل بعد ذلك إلى مركز مقاطعة "كورسك"، ويمر بالقرب من المحطة النووية في المقاطعة، وبالتالي سيسمح الوصول لهذا الطريق، بعزل المناطق الجنوبية للمقاطعة،

عـن أي تعزيـزات روسـية قادمـة نحـو المناطـق التـي تـم اختراقهـا، خاصـة أن الجيـش الأوكراني عمـد إلى التركيـز علـى قطـع الجسـور المؤديـة لهـذا الطريـق لمنـع المحـاولات الروسـية لعـزل التقـدم الأوكراني.

بشـكل عـام، توغلـت القـوات الأوكرانيـة علـى نطـاق تتـراوح مسـاحته بيـن 450 و800 كيلـو متـرًا مربعًـا فـي كورسـك، عبـر التحـرك علـى محـاور القتـال الرئيسـية، وهمـا محـوران شـماليًا باتجـاه "لاجـوف" و"رايلسـك"، ومحـور جنوبـي يسـتهدف التحـرك فـي اتجـاه المناطـق الشـمالية لمدينـة "سـودجا"، وقـد أُضيـف لهـذه المحـاور محـاور إضافيـة، يقـع أولهـا جنوبًـا باتجـاه المناطـق الجنوبيـة الشـرقية لمدينـة سـودجا"، وثانيهمـا نحـو الشـمال الغربـي، وقـد فعلـت القـوات الأوكرانيـة بعـد نحـو شـهر مـن بـدء هـذا الهجـوم محـورًا منفـصلًا مـن مقاطعـة سـومي الأوكرانيـة، فـي اتجـاه مناطـق "فاسـيولا" بهـدف عـزل المناطـق الغربيـة لمدينـة "سناغوسـت"، التـي تعتبـر مـن المناطـق الأساسـية في كورسـك. لكـن لوحـظ بـدء القـوات الروسـية منـذ مطلـع سـبتمبر 2024 -وبعـد أن تراجعـت القيـادة العسـكرية عـن تصميمهـا السـابق علـى عـدم سـحب أي وحـدات قتاليـة مـن جبهـات شـرق أوكرانيـا، لمواجهـة الهجمـات الأوكرانيـة فـي كورسـك- فـي اسـتيعاب عمليـات الوحـدات الأوكرانيـة المتوغلـة فـي محـاور القتـال المختلفـة بكورسـك، خاصـة المحـاور الواقعـة شـمال وشـمال شـرق وشـمال غـرب مدينـة "سـودجا"[4].

رابعًا: الأهداف الأوكرانية

يمكـن القـول إن الهجـوم الأوكراني علـى كورسـك لا يسـتهدف بـأي حـال مـن الأحـوال الاحتلال الدائم لمناطـق فـي الداخـل الروسـي، بـل يسـتهدف خلـق بؤر قتـال جديـدة، وتشـتيت المجهـود العسـكري الروسـي الـذي يركـز فـي الوقـت الحالـي علـى التقـدم بشـكل سـريع فـي إقليـم دونيسـك وتحديـدًا وسـط الإقليـم. مـن هـذا المنطلـق، لا يتوقـع أن يسـتمر الهجـوم الأوكرانـي علـى كورسـك أو يتطـور بشـكل أكبـر مـن الوضـع الحالـي، لأن الوحـدات المهاجمـة سـتواجه معضلـة أساسـية ترتبـط بطـول خطـوط إمدادهـا مـع توغلهـا بشـكل أكبـر فـي الأراضـي الروسـية.

ولمعالجـة هـذا، سـتحتاج أوكرانيـا إلـى توسـيع نطـاق التوغـل، وهـو مـا قـد يبطـئ وتيـرة تقدمهـا بسـبب المـوارد المحـدودة والألويـة المتاحـة، وسـيجعل الوحـدات المقاتلـة مكشـوفة للتعزيـزات الروسـية القادمـة، خاصـة فـي ظـل السـيادة الجويـة الروسـية.

وبجانـب ذلـك، يمكـن الوقـوف علـى أهـم الأهـداف الأوكرانيـة مـن هجـوم كورسـيك مـن خلال النقـاط التاليـة:

1. **إلحـاق خسـائر نوعيـة متعـددة الاتجاهـات بروسـيا:** دأبـت كييـف منـذ فتـرة علـى الاسـتهداف المكثـف لمصافـي النفـط والمنشـآت النفطيـة فـي المقاطعـات الحدوديـة الروسـية، وهـو مـا تسـبب فـي خسـائر متزايـدة في القطـاع النفطي الروسـي. وفـي هـذا الإطـار، ركـز الهجـوم الأوكراني علـى السـيطرة علـى مدينـة "سـودجا" التـي تعتبـر نقطـة لوجسـتية حاسـمة فـي هـذا الصـدد، حيـث تقـع بالقـرب مـن خـط سـكة حديـد يسـتخدمه الـروس لتزويـد جبهتهـم فـي إقليـم "خاركيـف" الشـمالية، وتتضمـن المدينـة مرافـق نفطيـة أساسـية، منهـا محطـة قيـاس الغـاز التابعـة لآخـر خـط أنابيـب، ينقـل الغـاز الروسـي إلـى أوروبـا عبـر أوكرانيـا، وبالتالـي شـكلت سـيطرة كييـف علـى هـذه المدينـة، ضربـة إضافيـة للقطـاع الاقتصـادي الروسـي، تضاف إلـى مـا سـبق مـن إجـراءات. يضـاف إلـى ذلـك، احتماليـة تمكـن القـوات الأوكرانيـة المتقدمـة فـي المحـور الشـمالي الشـرقي لمنطقـة عملياتهـا في كورسـك مـن الوصـول إلـى المفاعـل النـووي الموجـود شـرق مدينـة "لاجـوف"، علـى بعـد نحـو 60 كيلـو متـرًا مـن الحـدود، ولكـن هنـاك صعوبـات ميدانيـة قـد تحـول دون تحقـق هـذا الهـدف[5].

2. **مباغتـة موسـكو وضـرب المعنويـات الروسـية:** عملـت كييـف علـى مـدار الفتـرات الماضيـة، علـى اسـتهداف الأراضـي الروسـية وشـبه جزيـرة القـرم، عبـر الطائـرات المسـيرة وصواريـخ (ATACMS) بشـكل مكثـف يسـتهدف مـن ضمـن أهـداف أخـرى ضـرب المعنويـات الروسـية والجبهـة الداخليـة خاصـة أن هـذه الهجمـات باتـت تشـمل مؤخـرًا قطاعًـا مهمًـا مـن المناطـق الحدوديـة الروسـية مـع أوكرانيـا، وهـو مـا ينقـل المعركـة -بشـكل أو بآخـر- إلـى الجانـب الروسـي. مـن هـذا المنطلـق، كان تأثيـر عنصـر "المباغتـة" علـى الجيـش الروسـي واضحًـا فـي هـذا الهجـوم، حيـث لـم تتمكـن القـوات الروسـية مـن الإلمـام بحقيقـة الوضـع الميدانـي فـي كورسـك إلا بعـد يومـيـن كامليـن، وشـرعت فـي عمليـات إخـلاء غيـر منظمـة لمعظـم القـرى الواقعـة فـي منطقـة الانتشـار الأوكرانيـة، وهـذا كلـه يمكـن وضعـه إلـى جانـب حقيقـة أن موسـكو قـد أسـاءت قـراءة الاسـتعدادات الأوكرانيـة لهـذا الهجـوم، رغـم امتلاكهـا قـدرات واسـعة النطـاق فـي مجـال الاسـتخبارات والمراقبـة والاسـتطلاع علـى الخطـوط الأماميـة وحتـى فـي عمـق الأراضـي الأوكرانيـة، وهـو مـا يثيـر شـكوكًا وأسـئلة فـي الداخـل الروسـي.

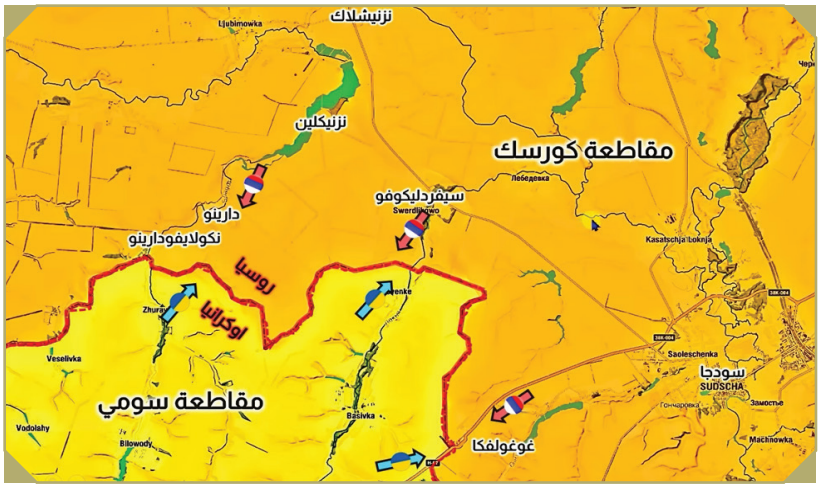

3. **إغلاق الباب أمام تفعيل موسكو جبهة "سومي":** كان الجيش الروسي قد بدأ أوائل الشهر الماضي، عمليات قتالية في اتجاه المناطق الشمالية من مقاطعة "سومي" الأوكرانية"، المتاخمة لمقاطعة كورسك، وقد استوعبت كييف هذه الهجمات وأوقفت التحركات الروسية في هذه الجبهة، لكن أثارت العمليات العسكرية الروسية المستمرة في المقاطعة المجاورة لسومي "خاركيف"، مخاوف أوكرانية من أن تعمل موسكو على توسيع نطاق الجبهة لتشمل مقاطعتي "سومي" و"تشرينيهيف"، لتشكل ما يشبه "منطقة عازلة"، تبعد القوات الأوكرانية عن خط الحدود الروسية، بمسافة كافية لأبعاد خطر صواريخ (ATACMS). من هنا، يمكن النظر إلى عملية كورسك كوسيلة للحفاظ على هذه الورقة من جانب كييف، والحيلولة دون تنفيذ موسكو أي عمليات في هذه الجبهة. تشير بعض الآراء إلى أن هذا الهجوم يستهدف أيضًا دفع موسكو لسحب بعض وحداتها المقاتلة من خاركيف، لتعمل على استيعاب الهجوم الأوكراني في كورسك، لكن لا توجد دلائل واضحة على حدوث هذا حتى الآن، وكل ما تم تأكيده حتى الآن، هو سحب موسكو بعض الوحدات المتمركزة بالقرب من مدينة سيفيرسك في إقليم دونيسك وإرسالها لتعزيز الموقف في كورسك[6] .

4. **الضغط على موسكو نحو التسوية:** في عدة مناسبات سابقة، ألمح الرئيس الأوكراني "فلاديمير زيلينسكي" بأنه كلما زاد الضغط على روسيا، اقترب الطريق إلى السلام. بالتالي، تمثل هذه العملية، وما يرتبط بها من تأثيرات، ضغطًا إضافيًا على موسكو للقبول بفتح نافذة للتفاوض، خاصة أن العمليات العسكرية الأوكرانية في كورسك تضمنت حتى الآن القبض على ما يصل إلى 100 جندي روسي، وقد أثارت اللقطات التي تظهر عملية اعتقالهم والتحقيق معهم ردود أفعال في المجتمع الروسي، الذي يعد أكثر حساسية بشكل عام لهذه المشاهد. يضاف إلى ذلك، وجود احتمالية -في حالة تمكن القوات الأوكرانية من الحفاظ على مواقعها في كورسك- أن تفرض كييف على موسكو ما يشبه "مقايضة"، تسمح بتخفيف التشدد الروسي حيال مسألة ضرورة اعتراف كييف بعملية ضم الاتحاد الروسي الأقاليم الأوكرانية الأربعة، أو طرح المسالة كعملية تبادل للأراضي، تنسحب أوكرانيا خلالها من الأراضي الروسية، مقابل انسحاب موسكو من أراضي أوكرانية محتلة، وهو سيناريو تبقى احتمالات تحققه ضعيفة، بالنظر إلى التحديات الكبيرة التي تواجه القوات الأوكرانية على الأراضي الروسية.

في الخلاصة، يمكن القول إن الهجوم الأوكراني على كورسك، لا يحمل أفقًا مستدامًا، لكنه يعتبر تدشينًا لمرحلة جديدة من عمليات استهداف العمق الروسي، قد يتم فيها استخدام وسائط مختلفة، ما بين الطائرات المُسيّرة والصواريخ المطلقة من مقاتلات "إف-16"، وعمليات التوغل في الأراضي الروسية، وهذه الأخيرة ستفرض على موسكو اتخاذ إجراءات مشددة على الحدود، ستستهلك موارد بشرية ومادية كبيرة. النقطة الأهم هنا هي أن الموقف الميداني الأوكراني في الجبهة الشرقية بالدونباس يبدو متراجعًا وحرجًا، وبالتالي إذا لم تتزامن هذه الاستراتيجية الجديدة مع تغير في التكتيكات الميدانية الأوكرانية، فإن عملية كورسك لن تعد سوى شكل جديد من أشكال استهداف العمق الروسي دون تحقيق فائدة تكتيكية معتبرة.

1. Olga Tokariuk, Ukraine's gamble in Kursk restores belief it can beat Russia, Chatham House, August 19, 2024, Available at: https://2u.pw/3UltEhPc
2. Olga Khvostunova, What Ukraine's Kursk Incursion Tells Us About Putin's Russia, Foreign Policy Research Institute, September 12, 2024, Available at: https://2u.pw/6APiSc7w
3. Neil Melvin and Mark Galeotti, How Ukraine's Kursk Incursion Changed the War in Russia, RUSI Institute, September 4, 2024, Available at: https://2u.pw/b4dHQjoZ
4. Gregg Curley, How Ukraine's Kursk incursion echoes the Gettysburg campaign, Atlantic Council, September 16, 2024, Available at: https://2u.pw/9WrKU1Vn
5. Michael McFaul, What Ukraine Gains From The Kursk Incursion, Hoover Institution, September 6, 2024, Available at: https://2u.pw/uVcG7gIE
6. Khrystyna Holynska, Ukraine's Kursk Incursion: Another Nail in the Coffin of Putin's Regime, RAND Corporation, September 13, 2024, Available at: https://2u.pw/JqPsXSYK

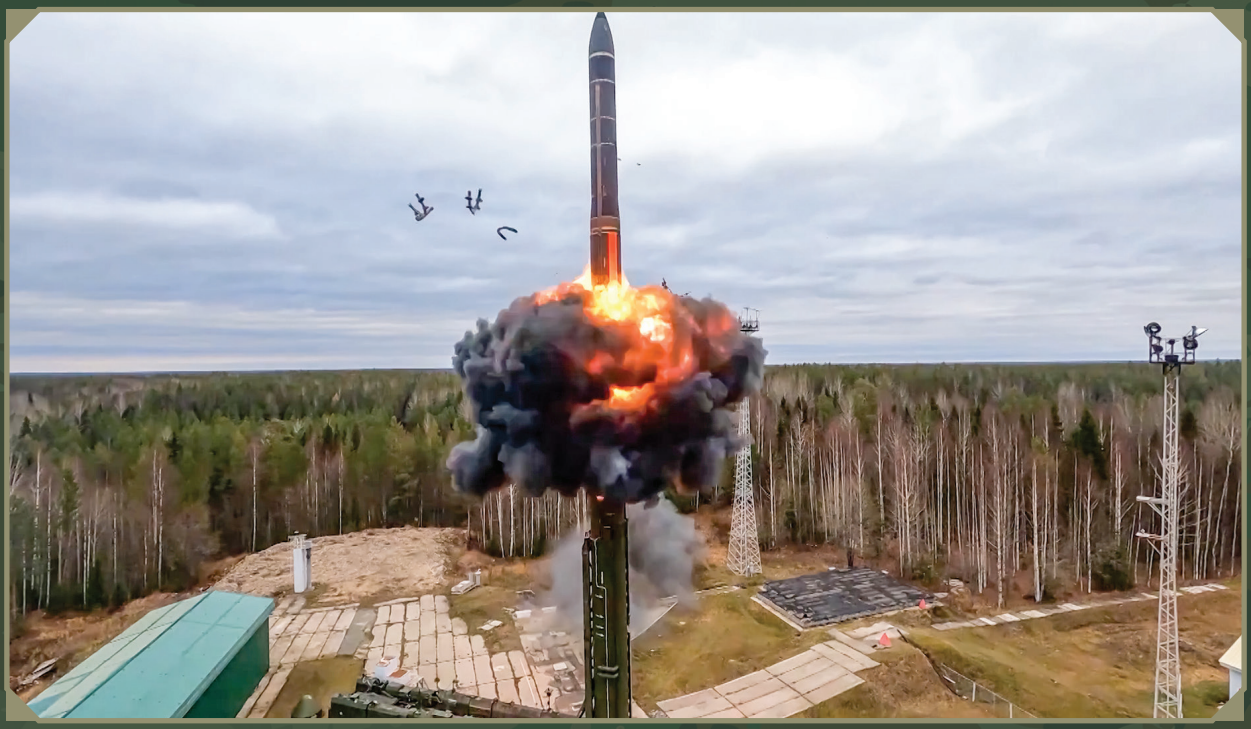

السـلاح النـووي بين الاستخدام والردع

حدد السلاح النووي مسار العالم وخريطة مصالح دوله لعقود عدة استمرت بعد الحرب العالمية الثانية وحتى الآن. في تلك الحرب، كان الحدث الأبرز هو إلقاء القنبلتين النوويتين على مدينتي هيروشيما ونجازاكي باليابان عام 1945. ومع انتهاء تلك الحرب، تغير هيكل النظام الدولي إلى نظام أحادي القطبية في ظل هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت أول دولة نووية في العالم أجمع، وإن تبعها في ذلك بعض الدول وتحديدًا الاتحاد السوفيتي والمملكة المتحدة وفرنسا والصين (ثم الهند وباكستان وكوريا الشمالية وإسرائيل)، حتى بات العالم بات مصنفًا إلى دول حائزة للسلاح النووي وأخرى غير حائزة له. فتغيرت ملامح المعادلة النووية وبالتبعية تغير معها حجم الترسانات النووية لهذه الدول عامًا بعد عام رغم تعدد جهود حظر الانتشار النووي، فنشأت تساؤلات جديدة عن السلاح النووي ودوره بين احتمالية استخدامه للتدمير الشامل أو كورقة فاعلة للردع النووي في ظل سرية وغياب الشفافية بين الدول النووية التي لا تعلن عن ترساناتها.

د. سامح شعبان

باحث أول ببرنامج السياسات العامة،

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

أولًا: الأسلحة النووية بين السرية والإفصاح

إن العدد الدقيق للأسلحة النووية في حوزة كل دولة هو سر وطني يتم حمايته بشكل كبير، مما يعني عدم اليقين بشأن التقديرات العالمية لترسانات الدول النووية؛ إذ لا تقدم تلك الدول أي معلومات حول أحجام مخزوناتها النووية، ومع ذلك فإن درجة السرية تختلف بشكل كبير من دولة إلى أخرى. وفقًا لاتحاد العلماء الأمريكيين[1] (Federation of American Scientist)، فإنه بين عامي 2010 و2018، كشفت الولايات المتحدة عن إجمالي حجم مخزونها، ولكن في عام 2019 أوقفت إدارة الرئيس الأمريكي آنذاك "دونالد ترامب" هذه الممارسة. وفي عام 2020، أقرت إدارة الرئيس الأمريكي "جو بايدن" الشفافية النووية، لكنها رفضت بعد ذلك رفع السرية عن أي بيانات لمخزونات أمريكية لعام 2021 أو 2022 أو 2023. وبالمثل، أعلنت المملكة المتحدة في عام 2021 أنها لن تكشف بعد الآن عن الأرقام العامة لمخزونها التشغيلي أو الرءوس الحربية المنشورة أو أرقام الصواريخ المنشورة. بالإضافة إلى ذلك، اعتبارًا من عام 2024، اختارت كل من الولايات المتحدة وروسيا عدم تبادل البيانات المتاحة للجمهور حول الرءوس الحربية الاستراتيجية وقاذفاتها المنشورة كما هو منصوص عليه في معاهدة "ستارت" الجديدة.

على الرغم من القيود التي تفرضها الدول على البيانات الخاصة بترساناتها النووية، فإن المعلومات المتاحة للعامة، والتحليل الدقيق للسجلات التاريخية، والتسريبات العرضية، تجعل من الممكن التوصل إلى أفضل التقديرات بشأن حجم وتكوين مخزونات الأسلحة النووية لكل دولة. إن المعلومات المتاحة لكل دولة تختلف اختلافًا كبيرًا، وتتراوح بين الدولة النووية الأكثر شفافية (الولايات المتحدة) والدولة الأكثر غموضًا (إسرائيل). وعلى هذا، ففي حين يستند تقدير المخزون للولايات المتحدة إلى أرقام "حقيقية"، فإن تقديرات العديد من الدول النووية الأخرى غير مؤكدة إلى حد كبير. وفي بعض الحالات، يمكن أن تستند التقديرات إلى كمية المواد الانشطارية) البلوتونيوم واليورانيوم) عالية الإثراء التي يُعتقد أن دولة ما أنتجتها، وعلى ملاحظات القوة الصاروخية، وهو ما أشار له الكتاب السنوي لعام 2024 لمعهد استوكهولم الدولي لأبحاث السلام[2].

جدول (1): مخزون الدول من الرءوس النووية لعام 2024

م	الدولة	عدد الرءوس النووية (المخزون الكلي)
1	الولايات المتحدة الأمريكية	5044
2	روسيا	5580
3	المملكة المتحدة	225
4	فرنسا	290
5	الصين	500
6	الهند	172
7	باكستان	170
8	كوريا الشمالية	50
9	إسرائيل	90

المصدر بتصرف الباحث: SIPRI Yearbook 2024, World Nuclear Forces 2023

ثانيًا: الترسانات النووية في العالم

يشير معهد استوكهولم لأبحاث السلام[3] (الفصل الخاص بالقوى النووية في العالم) إلى أنه في عام 2024، توجد تسع دول حائزة للسلاح النووي، وتمتلك تلك الدول مجتمعة ما يقرب من 12121 سلاحًا نوويًا، منها 9585 سلاحًا نوويًا يُعتَقَد أنها جاهزة للاستخدام التشغيلي المحتمل (بواسطة الصواريخ والطائرات والسفن والغواصات). وتشير التقديرات إلى أن 3904 من هذه الرءوس الحربية تم نشرها بقوات عملياتية (على قواعد الصواريخ أو القاذفات) بما في ذلك نحو 2100 رأس حربي ظلت في حالة تأهب تشغيلي عالية (رءوس حربية أمريكية وروسية وبريطانية وفرنسية في حالة تأهب قصوى، وجاهزة للاستخدام في غضون مدة قصيرة)؛ أي أكثر بنحو 100 رأس حربي عن العام السابق. ويشير الجدول رقم (1) إلى عدد الرءوس النووية التي تمتلكها الدول في العالم وفقًا لتقديرات عام 2024.

على الرغم من إحراز تقدم في خفض ترسانة الأسلحة النووية منذ الحرب الباردة، فإن المخزون الإجمالي العالمي من الرءوس الحربية النووية لا يزال عند مستوى مرتفع للغاية. ويمكن القول إنه بشكل عام يستمر عدد الرءوس الحربية النووية في العالم في الانخفاض، ويرجع هذا فقط إلى قيام الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا بتفكيك الرءوس الحربية المتقاعدة. ويبدو أن التخفيضات العالمية للرءوس الحربية التشغيلية قد توقفت، وأن أعدادها آخذة في الارتفاع مرة أخرى. تشير الورقة العلمية المنشورة بالموقع الإلكتروني لاتحاد العلماء الأمريكيين[4] تحت عنوان "حالة القوى النووية العالمية" إلى أن الولايات المتحدة وروسيا، اللتين تمتلكان معًا الآن ما يقرب من 88% من إجمالي مخزون الأسلحة النووية في العالم، و84% من الرءوس الحربية المخزنة المتاحة للاستخدام العسكري، لديهما برامج جارية واسعة النطاق لاستبدال وتحديث رءوسهما

الحربيـة النوويـة، وأنظمـة إطلاق الصواريـخ والطائـرات والغواصـات، ومرافـق إنتـاج الأسـلحة النووية. كما أن الصين في خضم تحديث وتوسيع كبير لترسانتها النووية. ومن المتوقع أن يستمر مخزونهـا النـووي في النمو على مـدى العقـد المقبـل. وتشـير بعـض التوقعـات إلـى أن الصيـن قـد تنشر على الأقل عـددًا من الصواريخ البالستية العابـرة للقـارات مثـل روسـيا أو الولايـات المتحـدة.

ومـع ذلـك، مـن المتوقـع أن يظـل مخـزون الـرءوس الحربيـة النوويـة الإجمالـي للصيـن أصغـر مـن مخـزون أي مـن هاتيـن الدولتيـن، أمـا الترسـانات النوويـة للـدول الأخـرى المسـلحة نوويًـا فهـي أصغـر. ويعتقـد أن الهنـد وكوريـا الشـمالية وباكسـتان والمملكـة المتحـدة ربمـا تعمـل جميعًـا علـى زيـادة مخزوناتهـا. ويظـل البرنامـج النـووي العسـكري لكوريـا الشـمالية محـورًا أساسـيًا لاسـتراتيجيتها الأمنيـة الوطنيـة، وربمـا تكـون قـد جمعـت مـا يصـل إلـى 50 سلاحًـا نوويًـا وقـد تنتـج المزيـد. وبالنسـبة لفرنسـا وإسـرائيل، فتتمتعـان بمخزونـات مسـتقرة نسـبيًا، وتسـتمر إسـرائيل فـي الحفـاظ علـى سياسـتها القديمـة المتمثلـة فـي "الغمـوض النـووي"؛ ممـا يتـرك قـدرًا كبيـرًا مـن عـدم اليقيـن بشـأن عـدد وخصائـص أسـلحتها النووية وفقًـا لمـا جـاء بالمفكـرة النوويـة بالموقـع الإلكترونـي الخـاص بنشـرة العلمـاء الذريين[5].

ثالثًا: الردع النووي

إن كلمـة "الـردع" مشـتقة مـن الكلمـة اللاتينيـة ((Terrere، والتـي تعنـي الرعـب، وبالتالـي فهـي مرتبطـة بكلمـة "الإرهـاب". ويشـير "مجلـس كارنيجـي للأخلاقيـات والشـئون الدوليـة[6] إلـى أن الـردع النـووي يشـير إلـى مبـدأ فـي العلاقـات الدوليـة؛ حيـث تمنـع الإمكانـات الانتقاميـة والقـوة التدميريـة للأسـلحة النوويـة الـدول من شن هجـوم نـووي. فالـدول التـي تمتلـك أسـلحة نوويـة لـن تكـون عرضـة للهجـوم، وخاصـة الهجـوم النـووي، بسـبب الاحتمـالات العاليـة لتوجيـه ضربـة نوويـة انتقاميـة مروعـة للغايـة. إن الـردع النـووي ينطـوي علـى التهديـد باسـتخدام الأسـلحة النوويـة فـي مواقـف معينـة، وهـو تهديـد بإلحـاق المعانـاة والدمـار إلـى الحـد الـذي يحـول دون مجازفـة أي قائـد سياسـي بمهاجمـة دولـة مسـلحة نوويًـا.

وفقًـا لمؤسسـة "رانـد"[7]، فـإن مجموعـة استراتيجيات الـردع النـووي تتضمـن "الـردع الضئيل" أو "المحـدود"، "والانتقـام الشـامل" بقـوة أكبـر مـن تلـك التـي اسـتخدمها المعتـدي فـي الأصـل، "والتدميـر المتبـادل المؤكـد" (MAD). وبالنسـبة لحلفـاء الولايـات المتحـدة، فيشـملهم مفهـوم "الـردع النـووي الموسـع" الـذي يزعـم أن حلفـاء القـوة العظمـى سـوف يتمتعـون بالحمايـة بأسـلحتها. وكمثـال علـى هـذا النـوع مـن الـردع مـا حـدث فـي الحـرب الروسـية-الأوكرانية مـن تهديـدات أمريكيـة وغربيـة بنشـر أسـلحة فـي دول أوروبيـة للـرد علـى روسـيا التـي أعـادت النظـر فـي عقيدتهـا النوويـة.

هـذا وتُشـير ورقـة علميـة تـم نشـرها بمجلـة " فليـندرز للقانـون" تحـت عنـوان " نظريـة الـردع النـووي: تهديـد بإثـارة الإرهـاب"[8] إلـى أن الأسـلحة النوويـة إن كانـت -وفقًـا للنظريـة- قـادرة علـى منـع الحـروب بالفعـل، فإنهـا ستكتسـب صـورة إيجابيـة. فالأسـلحة التـي تحـرق مدنًـا بأكملهـا تكتسـب فجـأة هالـة مـن الاحتـرام. ويـرى البعـض أن نظريـة الـردع النـووي هـي محاولـة معيبـة لتبريـر وجـود أكثـر الأسـلحة تدميـرًا فـي العالـم، ويشـير أصحـاب هـذا الـرأي إلـى أن كلمتـي "الـردع النـووي" و"الإرهـاب النـووي" مترادفتـان، وأن الدولـة التـي تمـارس الـردع النـووي هـي فـي الواقـع تمـارس سياسـة متعمـدة للإرهـاب النـووي. ويـرون أنـه فـي المجتمـع المدنـي، سـيصنف أولئـك الذيـن يخططـون لهجمـات نوويـة إمـا علـى أنهـم مختلـون عقليًـا وإمـا إرهابيـون سـيتم اعتقالهـم. ولكـن علـى السـاحة العالميـة، فـإن معظمهـم يشـغلون مقعـدًا دائمًـا فـي مجلـس الأمـن.

بالإضافـة إلـى الأسـئلة الأخلاقيـة والقانونيـة المحيطـة بالـردع النـووي، هنـاك أسـئلة أخـرى تبحث فـي جـدوى الـردع. فـي عـام 2010، أصـدرت وزارة الخارجيـة السويسـرية دراسـة بعنـوان "نـزع الشـرعية عـن الأسـلحة النوويـة: فحـص صحـة الـردع النـووي"، والتـي ذكـرت فـي مقدمتهـا: "لقـد فحصنـا الأدلـة علـى الـردع النـووي ووجدنـا أنهـا ضئيلـة، إن وجـدت علـى الإطلاق. وتتضمـن النتائـج الرئيسـية للدراسـة حـول موضـوع الـردع والشـرعية **والقيمـة مـا يلـي:**

- هنـاك أدلـة واضحـة علـى أن تدميـر هيروشـيما وناجازاكـي لـم ينـهِ حـرب المحيـط الهـادئ فـي عـام 1945، بـل كان إعـلان الحـرب مـن قبـل الاتحـاد السـوفيتي فـي 8 أغسـطس.
- لا يوجـد دليـل علـى أن الأسـلحة النوويـة "حافظـت علـى السـلام" خـلال الحـرب البـاردة، علـى عكـس الاعتقـاد السـائد.
- امتـلاك الأسـلحة النوويـة لا يوفـر سـوى قـدر ضئيـل مـن النفـوذ، فقـد فشـلت الأسـلحة النوويـة فـي منـح حائزيهـا ميـزة عسـكرية حاسـمة فـي الحـرب.

ويشـير التاريـخ إلـى حـالات متعـددة مـن الحـروب التـي شـملت دولًا تمتلـك أسـلحة نوويـة، حيـث فشـلت إمكانيـة اسـتخدام هـذه الأسـلحة فـي منـع الحـرب. **وتشـمل مـا يلـي:**

- دخلـت الصيـن الحـرب الكوريـة، ضـد القـوات الأمريكيـة المسـلحة نوويًـا فـي عـام 1950.
- هاجمـت مصـر وسـوريا القـوات الإسـرائيلية المسـلحة نوويًـا فـي سـيناء المحتلـة ومرتفعـات الجـولان فـي أكتوبـر عـام 1973.
- لـم تـردع الأسـلحة النوويـة مقاومـة القـوات الأمريكيـة فـي فيتنـام.
- لـم تـردع الأسـلحة النوويـة مقاومـة قـوات الاحتـلال فـي أفغانسـتان فـي عـام 1979.
- غـزت الأرجنتيـن جـزر فوكلانـد فـي عـام 1982 علـى الرغـم مـن الترسـانة النوويـة البريطانيـة.

- هاجمت العراق إسرائيل المسلحة نوويًا بصواريخ سكود في عام 1991.
- تعاني الهند وباكستان من حالة شبه دائمة من التوتر، على الرغم من امتلاك كل منهما أسلحة نووية.

في هذا السياق، فإن الوضع في الشرق الأوسط أيضًا مفيد في توضيح عدم موثوقية الردع النووي. فالدولة الوحيدة النووية في المنطقة ألا وهي إسرائيل، تعرضت لهجمات مختلفة من قبل حركة حماس وحزب الله اللبناني وجماعة الحوثي في اليمن والجماعات المسلحة في العراق وسوريا. كذلك لم تفلح الأسلحة النووية في منع قيام إيران بالرد على اغتيال "إسماعيل هنية" و"حسن نصر الله" وبعض المسئولين الإيرانيين.

ختامًا، على الرغم من أن الدول الحائزة للسلاح النووي لا تحتاج سوى بضع مئات من الأسلحة النووية لأغراض الأمن القومي، فإنها تعمل على زيادة مخزوناتها النووية كنوع من الردع واستعراض القوة. وإذا كان الردع النووي قادرًا على منع وقوع هجوم نووي على أي دولة أو على حلفائها، فلماذا تسعى الدول إلى تطوير برامجها الخاصة بالدفاع الصاروخي ذي التكاليف الباهظة. إن السلاح النووي سيف ذو حدين، إذ إنه يمثل أداة ردع قد تكون فعالة وأيضًا أداة تهديد لا شك أنها خطيرة إذا استُخدمت. إن الاستخدام المحتمل للأسلحة النووية يثير العديد من المخاوف الأخلاقية والسياسية، ولكن يظل الردع النووي جزءًا أساسيًا من استراتيجيات الأمن القومي للدول. ويتطلب التعامل مع هذه القضية توازنًا دقيقًا بين الحاجة إلى الأمن والحفاظ على السلام العالمي. ومن الضروري أن تسعى الدول إلى تعزيز الحوار والتعاون الدولي، وتبني آليات للحد من انتشار الأسلحة النووية ونزع السلاح. إن السبيل الأمثل لضمان الأمن العالمي يكمن في التخلص التدريجي من الأسلحة النووية وتوجيه الجهود الدولية نحو تحقيق عالم خالٍ من التهديدات النووية؛ مما يسهم في بناء مستقبل أكثر أمانًا واستقرارًا للأجيال القادمة.

1. Hans Kristensen & Matt Korda & Eliana Johns & Mackenzie Knight & Kate Kohn, Status of World Nuclear Forces, Federation of American Scientists, 29 March 2024, Available at: https://fas.org/initiative/status-world-nuclear-forces/
2. World nuclear forces, SIPRI, Available at: https://www.sipri.org/sites/default/files/YB24%2007%20WNF.pdf
3. SIPRI Yearbook 2024: Armaments, Disarmament and International Security, SIPRI, Available at: https://www.sipri.org/sites/default/files/YB24%2007%20WNF.pdf
4. Hans Kristensen & Matt Korda & Eliana Johns & Mackenzie Knight & Kate Kohn, Op.cit.
5. Nuclear Notebook 'Rising, then Pulling Back from a Peak, Bulletin of the Atomic Scientists, Available at: https://thebulletin.org/nuclear-notebook/
6. Nuclear deterrence Definition & Introduction, Carnegie Council for Ethics in International Affairs, Available at: https://www.carnegiecouncil.org/explore-engage/key-terms/nuclear-deterrence
7. Nuclear Deterrence, RAND, Available at: https://www.rand.org/topics/nuclear-deterrence.html
8. Sue Wareham Oam, Nuclear Deterrence Theory - A Threat to Inflict Terror, Flinders LAW Journal, 2013, Available at: https://classic.austlii.edu.au/au/journals/FlinLawJl/2013/9.pdf

بروفـــــايل

يُسلط قسم "بروفايل" -احتفاءً بذكرى حرب أكتوبر المجيدة- الضوء على شخصية عسكرية مصرية رفيعة المستوى، وهي شخصية المشير "أحمد إسماعيل علي" الذي شغل منصب القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية المصري خلال حرب أكتوبر 1973. وقد صُنف من قِبل مجلة الجيش الأمريكي ضمن أفضل 50 شخصية عسكرية عالمية لما أضافه للحرب من تكتيكات جديدة. ومن ثمّ كان رمزًا من رموز الفخر للأمة المصرية لما حققه لها من انتصار عظيم، حيث لُقب بوزير النصر، وحصل على العديد من الأوسمة، ووصل إلى أعلى المراتب.

وزيـــــــر النصـــــــر: المشير «أحمد إسماعيل علي»

مر واحد وخمسون عامًا على ذكرى حرب أكتوبر عام 1973، والتي كانت ولا تزال علامة فارقة في تاريخ العسكرية المصرية، فقد لعبت التشكيلات والقيادات العسكرية المصرية دورًا مهمًا في تحقيق هذا النصر العظيم، ومن بين كبار قادة حرب أكتوبر الذين كان لهم دور قيادي كبير في تحقيق الانتصار على إسرائيل، المشير "أحمد إسماعيل علي"، الذي صُنف من قِبل مجلة الجيش الأمريكي ضمن أفضل 50 شخصية عسكرية عالمية لما أضافه للحرب من تكتيكات جديدة.

أ. نرمين ناصر

باحثة بوحدة الدراسات العربية والإقليمية

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

أولًا: النشأة والتأسيس

وُلِد المشير "إسماعيل" في منطقة شبرا بمحافظة القاهرة في الرابع عشر من أكتوبر عام 1917، وتوفى عن عمر يناهز 57 عامًا في لندن في الخامس والعشرون من ديسمبر عام 1974 إثر إصابته بسرطان الرئة. وقد عمل والده ضابطًا في الشرطة، وترقى حتى وصل إلى درجة مأمور ضواحي القاهرة.

عقب اجتياز "إسماعيل" مرحلة الثانوية العامة من مدرسة شبرا الثانوية، حاول الالتحاق بالكلية الحربية ولكن لم يستطع، فقرر التقديم لكلية التجارة عام 1934. وفي السنة الثانية، قدم أوراقه في الكلية الحربية مرة أخرى مع الرئيس الأسبق والراحل "محمد أنور السادات"، ولكن لم يستطع الالتحاق بها أيضًا لأنه كان من الطبقة الشعبية.

ومع صدور قرار من الملك "فؤاد الأول" آنذاك بقبول دفعة من أبناء الشعب في الكلية الحربية، كان المشير "إسماعيل" وقتها قد أنهى عامه الثالث في كلية التجارة، فتركها والتحق بالكلية الحربية، وكانت تلك الدفعة وما بعدها هي دفعة "الضباط الأحرار"، وقد تزامل معه الرئيس الأسبق والراحل "جمال عبد الناصر"، و"السادات"، والفريق الراحل "عبد المنعم رياض"، ووزير الثقافة المصري الأسبق والراحل "يوسف السباعي"، وقد تخرج المشير "إسماعيل" عام 1938 في الكلية.

عقب تخرجه، سافر "إسماعيل" في بعثة تدريب إلى "دير سفير" في فلسطين عام 1945 لدى القوات البريطانية، وتم تصنيفه في المرتبة الأولى بين الضباط المصريين والبريطانيين. كما حصل في عام 1950 على درجة الماجيستير في العلوم العسكرية من كلية القادة والأركان، وعُين مدرسًا في الكلية نفسها في الفترة ما بين 1950 - 1953، ثم التحق عام 1957 بكلية "مزونزا العسكرية" في الاتحاد السوفيتي، وبعد ذلك أصبح كبير المعلمين في الكلية الحربية عام 1959؛ ليجد في نفسه القدرة على تخريج ضباط ذوي كفاءة عالية في التخطيط والتدريب العسكري ممن هم قادرين على تحقيق النصر في المعارك الحربية. بالإضافة إلى ذلك، درس "إسماعيل" في كلية الحرب العليا بأكاديمية "ناصر العسكرية العليا" خلال الفترة من مارس عام 1965 وحتى يوليو عام 1966.

ثانيًا: أهم المناصب المتقلدة

عندما تخرج "إسماعيل" في الكلية الحربية كان برتبة ملازم ثانٍ في سلاح المشاة، ثم التحق بكتيبة مشاة في منقباد ثم انتقل للخدمة العسكرية في السودان، وعمل ضابطًا للمخابرات والاستطلاع في منطقة الضبعة بالساحل الشمالي حتى عام 1942. علاوة على ذلك، شارك في الحرب العالمية الثانية 1939 - 1945 كضابط مخابرات في الصحراء الغربية. وفي حرب فلسطين عام 1948، كان قائدًا لسرية مشاه في رفح وغزة، وبعد ذلك تولى قيادة الكتيبة السابعة المشاة في السابع من سبتمبر عام 1953. ومن خلال قيادته للكتيبة، تم اختياره عضوًا ضمن "اللجنة العليا للمفاوضات العسكرية" مع إنجلترا عام 1954.

وتجدر الإشارة إلى أنه من خلال الخبرة التي اكتسبها، تمكن "إسماعيل" عندما شغل رتبة عقيد، من إنشاء أول نواة لقوات الصاعقة في منطقة أبي عجيلة في شمال سيناء عام 1955، حيث أراد إنشاءها لتكون ضمن وحدات القوات المسلحة الأساسية وحتى يعتمد عليها في تنفيذ المهام والأوامر الصادرة. وقد تكونت من مجموعة من الضباط الصغار ممن أشرف "إسماعيل" على تدريبهم. وفي العام نفسه، اشترك "إسماعيل" في صفقة السلاح التشيكية الكبرى، وقد كوّن في أعقاب وصولها، وفق "عقيدة القتال الشرقية" بصحراء سيناء، ثلاث كتائب مشاه مقاتلة.

وفي أثناء العدوان الثلاثي عام 1956، الذي قامت به كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر، تصدى "إسماعيل" للمعتدين بصفته قائدًا للواء الثالث في رفح، واستطاع أن يتقدم بلوائه حتى وسط سيناء، ثم تلقى تعليمات بالتوجه إلى مدينة بورسعيد، حيث كُلف باستلام المدينة بعد انسحاب بريطانيا منها وخروج آخر جندي أجنبي ورفع علم مصر على بورسعيد في الواحد والعشرين من ديسمبر عام 1956.

ثم تولى "إسماعيل" قيادة الفرقة الثانية مشاه التي أعاد تشكيلها لتكون أول تشكيل مقاتل في القوات المسلحة المصرية، وعند إنشاء قيادة القوات البرية عام 1966 عُيِن رئيسًا لأركان هذه القيادة، وحاولت مراكز القوة الإطاحة به في عام 1960 ونجحت في ذلك عام 1967، بيد أن "عبد الناصر" سلمه قيادة القوات الشرقية لقناة السويس، والتي كانت تضم القوات المصرية غرب القناة كافة، وكونت الجيشين الثاني والثالث. وقد نجح "إسماعيل" في إقامة أول خط دفاعي وإعادة تنظيم وتدريب وتسليح القوات بعد ثلاثة شهور فقط. ونتيجة لذلك، نجحت هذه القوات خلال فترة قصيرة في خوض معركة "رأس العش" ومعركة "الجزيرة الخضراء"، هذا إلى جانب نجاحها في إغراق المدمرة الإسرائيلية "إيلات".

إبان نكسة عام 1967، أصدر "عبد الناصر" قرارًا بإقالة عدد من الضباط وكبار القادة، بما في ذلك "إسماعيل". وقبل أن تمر 24 ساعة على الإقالة، استدعاه "عبد الناصر"، وقام بتعيينه رئيسًا لهيئة عمليات القوات المسلحة. وبعد استشهاد "عبد المنعم رياض" في مارس عام 1969 (والذي شغل منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة في الجبهة)، تولى "إسماعيل" ذلك المنصب بعدما أُعفي منه في العام نفسه حينما أقاله "عبد الناصر" من جميع مناصبه، كما عُين الأمين العسكري المساعد لجامعة الدول العربية، وفي سبتمبر من العام نفسه، تم إعفاؤه من منصبه بسبب حادثة "الزعفرانة" التي وقعت يوم 9 سبتمبر، حين وصلت أخبار نزول إسرائيلي برمائي على شاطئ خليج السويس في منطقة الزعفرانة، لتعلن إسرائيل أن قواتها الآن على أرض أفريقيا، وأنها لم تواجه أي مقاومة مصرية، وعليه أمر "عبد الناصر" بتوجه "إسماعيل" إلى موقع الحادثة، لكن الأخير فضل العودة للقاهرة حيث غرفة العمليات.

وفي عام 1970، توفي "عبد الناصر" وتولى "السادات"، وعليه قام الأخير بتعيين "إسماعيل" رئيسًا لجهاز المخابرات العامة المصرية في الخامس عشر من مايو عام 1971، واستمر في هذا المنصب حتى السادس والعشرين من أكتوبر عام 1972، حيث تم تعيينه وزيرًا للحربية برتبة فريق أول. وفي يناير عام 1973، عُيِن "إسماعيل" قائدًا عامًا للقوات المسلحة في دول اتحاد الجمهوريات العربية بعد الفريق أول "محمد صادق"، وفي الوقت نفسه عينته هيئة "مجلس الدفاع العربي" قائدًا عامًا للجبهات الثلاث: الشرقية في الأردن، والشمالية في سوريا، والجنوبية في مصر.

من الجدير بالذكر أن "السادات" منح "إسماعيل" رتبة مشير في التاسع والعشرين من فبراير عام 1974، وهي أرفع رتبة عسكرية مصرية. وهو ثاني ضابط مصري يصل إلى هذه الرتبة بعدما حصل عليها المشير الراحل "عبد الحكيم عامر"، نائب "عبد الناصر" في عام 1958 بعد قيام الوحدة مع سوريا. وفي السادس والعشرين من أبريل عام 1974، تم تعيين "إسماعيل" نائبًا لرئيس الوزراء.

ثالثًا: دور "إسماعيل" في حرب أكتوبر

طلب "السادات" من "إسماعيل" تجهيز الجيش للحرب خلال 21 يومًا، وبدأ التخطيط للعمليات العسكرية في سرية تامة لتحرير الأراضي المصرية، وقد استطاع تجهيز الجيش قبل 15 يومًا بعد عقد سلسلة من الاجتماعات مع قادة وضباط الجيش لبحث الإمكانيات الفنية والحالة النفسية للجنود، وعرض "إسماعيل" خطة الحرب، ومن أهم ملامحها: عدم نشر القوات بطول 175 كيلو على الجبهة، وتمام التنفيذ على 3 مراحل؛ تنطوي الأولى على وضع كباري فوق قناة السويس للمشاة، وتشمل الثانية تدمير خط بارليف، وتتعلق الأخيرة بدخول القوات المسلحة إلى الضفة الشرقية لتحرير شبه جزيرة سيناء.

لعب "إسماعيل" دورًا مهمًا وقياديًا في حرب أكتوبر المجيدة، حيث تمكن من الحفاظ على وحدة الصف بين القادة مع الالتزام بالتعليمات. فبعد أن قرر "السادات" توغل القوات المصرية في سيناء لتخفيف الضغط على الجبهة السورية، حدث خلاف بينه وبين رئيس هيئة الأركان الفريق "سعد الدين الشاذلي"، عندها قرر "السادات" إعفاء "الشاذلي" من منصبه بشكل مؤقت، وقاد "إسماعيل" هيئة الأركان بنفسه، وعاونه المشير "محمد عبد الغني الجمسي" (رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة).

ومن الجدير بالذكر أن "إسماعيل" تحمل مسئولية معركة كان خبراء العالم العسكريون يؤكدون استحالة الإقدام عليها، كما نجح في تحقيق نصر عسكري وسياسي مع الحفاظ على سلامة الجيش المصري، حيث قال: "إن سلامة قواتي كانت شاغلي طوال الحرب، لذلك قال بعض النقاد إنه كان علينا أن نتقبل المزيد من المخاطرة، وكنت على استعداد للمخاطرة والتضحيات، لكنني صممت على المحافظة على سلامة قواتي، لأنني أعرف الجهد الذي أعطته مصر لإعادة بناء الجيش، وكان علي أن أوفق بين ما بُذل من جهد لا يمكن أن يتكرر بسهولة، وبين تحقيق الهدف من العمليات".

رابعًا: أبرز الجوائز الممنوحة

حصل "إسماعيل" على عدد من الأوسمة والجوائز، منها: "وسام التحرير" في عام 1952، ووسام الجيش الشعبي اليوغوسلافي في عام 1956، ووسام نجمة الشرق ونجمة سيناء من الطبقة

الأولى في عام 1973، وفي عام 1974 حصل على وسام الشرف العسكري من رتبة فارس من سوريا، ووسام نجمة الشرف من منظمة التحرير الفلسطينية، ووسام الشجاعة الليبي من ليبيا.

كما حصل على العديد من الأنواط منها: نوط الجلاء العسكري في عام 1945، ونوط الجدارة الذهبي في عام 1949، ونوط الواجب العسكري في عام 1955، ونوط الاستقلال في عام 1956، ونوط النصر العسكري في عام 1957، ونوط الواجب العسكري من الطبقة الأولى في عام 1959.

علاوة على ذلك، حصل "إسماعيل" على عدد من الميداليات العسكرية، من بينها: ميدالية فلسطين في عام 1949، وميدالية محمد علي التذكارية التي حصل عليها في العام نفسه، وميدالية الجيش في عام 1959، وميدالية العيد العاشر للثورة في عام 1962، كما حصل على ميدالية الخدمة الطويلة والقدوة الحسنة في العام نفسه، وميدالية 6 أكتوبر عام 1973.

كما أدرج الجهاز القومي للتنسيق الحضاري اسمه في مشروع حكاية شارع؛ تخليدًا لاسمه عبر

الأجيال القادمة، إذ تم وضع لافتة على أول الشارع الذي يحمل اسمه وتفاصيل مختصرة عنه، وكرم الرئيس "عبد الفتاح السيسي" المشير "إسماعيل" في عام 2023 ضمن فاعليات الندوة التثقيفية رقم (38) للقوات المسلحة بمناسبة مرور 50 عامًا على ذكرى حرب أكتوبر، وقد تسلم التكريم بالنيابة عنه السفير "محمد أحمد إسماعيل".

ختامًا، كان ولا يزال المشير "أحمد إسماعيل" رمزًا من رموز الفخر للأمة المصرية لما حققه لها من انتصار عظيم، حيث لُقب بوزير النصر، وحصل على العديد من الأوسمة، ووصل إلى أعلى المراتب، تقديرًا لدوره في: الإشراف على التخطيط لحرب 6أكتوبر، وتدريب القوات المسلحة المصرية، وتأسيس أول قوات صاعقة. وقد وصفه "السادات" **"بصاحب الشخصية القوية الذي أبلى بلاءً تاريخيًا أسهم في تحقيق النصر العظيم في حرب العزة والكرامة".**

حالــة التسلــــح

يُعنَى قسم "حالة التسلح" بمعرض مصر الدولي للطيران والفضاء 2024 الذي عُقد في مدينة العلمين الجديدة بمشاركة 300 شركة ووجهة من مُصنّعي الطائرات وصناعات الفضاء حول العالم، إلى جانب ممثلي العديد من المنظمات الدولية والإقليمية في مجال صناعة الطيران والفضاء. كما يبحث هذا القسم صاروخ النينجا (R9X)، وهو أحد أهم الذخائر الموجودة حاليًا، والذي يستخدم في عمليات الاغتيال والاستهداف في المناطق المدنية، غير أنه يندرج تحت فئة الأسلحة المحاطة بالسرية في أغلب الأحيان. كما يسلط هذا القسم الضوء على الغواصة النووية الهندية المعروفة باسم (Arighaat)، في خطوة لا ترتبط فقط بالتحديثات التي طالت سلاح البحرية الهندي خلال السنوات الأخيرة، بل ترتبط أيضًا بمساعي نيودلهي لتحسين تموضعها الحالي على المستوى النووي العسكري.

معرض مصر الدولي للطيران والفضاء 2024: الفعاليـــات والمخرجـــات

تحت رعاية الرئيس والقائد الأعلى للقوات المسلحة "عبد الفتاح السيسي"، أُقيم معرض مصر الدولي للطيران والفضاء الأول 2024، والذي استمر لمدة 3 أيام، في الفترة بين 3 إلى 5 سبتمبر 2024، بمدينة العلمين الجديدة، بمشاركة 300 شركة وجهة من مصنعي الطائرات وصناعات الفضاء حول العالم من أكثر من 100 دولة، إلى جانب ممثلي العديد من المنظمات الدولية والإقليمية في مجال صناعة الطيران والفضاء.

ويهدف المعرض الأكبر في أفريقيا والشرق الأوسط إلى دعم منظومة التصنيع والرقمنة في قطاعات الطيران والدفاع والفضاء، حيث يعد بمثابة منصة دولية لصناعة الطيران ووكالات الفضاء، لمناقشة الإنجازات في مجال استكشاف الفضاء والاتصالات عبر الأقمار الاصطناعية والتطبيقات المدنية والعسكرية لتكنولوجيا الفضاء.

لواء أ.ح طيار/ عمـاد عبد المحسن

مستشار بمركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة

أكاديمية ناصر العسكرية العليا

حضر المعرض العديد من خبراء صناعة الطيران والفضاء والدفاع من مختلف أنحاء العالم، ورؤساء المنظمات الدولية والإقليمية المعنية بالطيران المدني، كما اشتمل المعرض على عروض جوية احترافية عالمية في سماء مدينة العلمين. إذ يعتبر المعرض منصة مثالية لعرض عدد كبير من طرازات الطائرات المختلفة المدنية والعسكرية والموجهة بساحة العرض المكشوف، كما نظمت عروض جوية احترافية لنخبة من فرق الاستعراضات الجوية العالمية.

أولًا: خلفيات المشاركين

ضم المعرض عدة شركات يمكن الوقوف على خلفياتها **من خلال النقاط التالية:**

- **الشركات المصنعة للطائرات:** الشركات التي تقوم بتصميم وبناء وتوريد طائرات تجارية وعسكرية وطائرات رجال الأعمال والطيران العام.
- **الشركات المصنعة للمحركات:** الشركات التي تقوم بتصميم وبناء وتوريد المحركات لأنواع مختلفة من الطائرات.
- **موردو إلكترونيات الطيران والإلكترونيات:** الشركات التي تقوم بتصميم وبناء وتوريد الأنظمة والمكونات الإلكترونية للطائرات (مثل: أنظمة الملاحة، ومعدات الاتصالات، وأنظمة إدارة الطيران).
- **مصنعو وموردو معدات ومكونات الطيران:** العارضون الذين يقومون بتصميم وبناء وتوريد مجموعة واسعة من معدات ومكونات الطيران، بما في ذلك معدات الهبوط والفرامل وأنظمة الوقود والديكورات الداخلية للطائرات.
- **شركات MRO** :(الصيانة والإصلاح والتجديد).
- **مقدمو خدمات الطيران:** الشركات التي تقدم خدمات متنوعة لصناعة الطيران، بما في ذلك: خدمات التأجير والتمويل، والتأمين، والخدمات اللوجستية.
- **موردو المعدات العسكرية:** الشركات التي تقوم بتوريد المعدات والتقنيات العسكرية، مثل: أنظمة الرادار، وأنظمة الأسلحة، ومعدات الاتصالات.
- **موردو صناعة الفضاء:** الشركات التي تصنع المكونات والأقمار الصناعية ومركبات الإطلاق ومشغلي المركبات الفضائية ومنظمات أبحاث الفضاء.
- **منظمات البحث والتطوير في مجال الطيران:** بما في ذلك هندسة الطيران والديناميكا الهوائية وعلوم المواد.
- **مقدمو التعليم والتدريب:** العارضون الذين يقدمون التعليم والتدريب لصناعة الطيران، بما في ذلك تدريب الطيارين، والتدريب على مراقبة الحركة الجوية، وبرامج هندسة الطيران.

وقد شارك في فعاليات المعرض كبرى الشركات الأمريكية في صناعة الطيران والفضاء مثل: " لوكهيد مارتن "، "بوينج"، "نورثروب جرومان"، بالإضافة لكبرى الشركات الأوروبية مثل "إيرباص"، "داسو للطائرات"، وشركة "ام بي دي إيه"[1] ، وسافران[2] ، وتاليس[3] ، وليوناردو[4] ، والشركات الكورية، وعلى رأسها مجموعة KAI[5]، وشركة "هني ويل" (HONEYWELL) الأمريكية[6]. كما شارك العديد من الوفود الرسمية للدول الشقيقة والصديقة المشاركة في فعاليات معرض مصر الدولي للطيران والفضاء، منهم رئيس الأركان وقائد القوات الجيش الأوغندي، وقائد القوات الجوية الليبية. كما شارك في المعرض أكثر من 50 وفدًا رسميًا من: شركات وخطوط الطيران العالمية والإقليمية، ووزارات النقل والطيران، ووكالات الفضاء.

أما عن الشركات الراعية للمعرض، فهي: شركة (MBDA) الأوروبية لإنتاج الصواريخ وأنظمة التسليح (الراعي البلاتيني)، وشركة "نورثروب جرومان" للصناعات الجوية والعسكرية (الراعي الذهبي)، وشركة (RDO) الأمريكية (الراعي البرونزي).

ثانيًا: أهم الفعاليات

شهد "السيسي" في اليوم الأول من المعرض عرضًا جويًا بمطار العلمين الدولي على هامش افتتاحه، وقد كان العرض لفريق الألعاب الجوية المصرية "سيلفر ستارز"، ثم شهد العرض الجوي المنفرد للطائرة "الرافال"، وتضمنت الفعاليات أيضًا عرضًا جويًا منفردًا للطائرة السعودية "يورو فايتر تايفون"، وطائرة "وايت وينت" الصينية، التي شاركت لأول مرة في معرض طيران دولي، ثم العرض الجوي المنفرد للطائرة الإماراتية "ميراج 2000"، وتم اعتماد مجموعة شركات "سافران" للمحركات الفرنسية لمصنع المحركات التابع للهيئة العربية للتصنيع كمركز دولي وحيد لعمرة محركات "اللارزاك" (LARZAC) للطائرة "ألفاجيت". ويعد مصنع المحركات التابع للهيئة العربية للتصنيع هو الجهة الوحيدة المعتمدة والمرخصة عالميًا بواسطة الشركة المنتجة للمحرك.

تم توقيع اتفاقية تعاون بين مصنع المحركات التابع للهيئة العربية للتصنيع وشركة "هني ويل"، حيث وقعه رئيس مجلس إدارة مصنع المحركات، وأوضح أن مجالات التعاون تتعلق باعتماد مصنع المحركات كمركز معتمد في مجال إصلاح وصيانة وتصنيع قطع غيار طائرة التدريب (K-8E)، مع الاستفادة بالإمكانيات التصنيعية المتطورة بمصنع المحركات التابع للهيئة العربية للتصنيع. أيضًا وقع عقد تصنيع نظم دفاعية متطورة بين الشركة العربية البريطانية للصناعات الديناميكية التابعة للهيئة العربية للتصنيع وشركة (ELINC) الصينية.

وفي اليوم الثاني، التقى وزير الطيران المدني المصري بوفد بريطاني رفيع المستوى لبحث سبل التعاون بين مصر والمملكة المتحدة في مجال الطيران المدني، وتعزيز أطر التعاون الثنائي في مجال تطوير البنية التحتية للمطارات المصرية، واستعراض الفرص الاستثمارية المتاحة من جانب الشركات البريطانية المتخصصة في مجال إدارة وتشغيل المطارات وسبل تقديم الاستشارات الفنية في هذا الشأن.

كما وقعت الهيئة العربية للتصنيع اتفاقية إطارية للتعاون مع شركة زيد العالمية العمانية، وأجري اتفاق على دراسة تأسيس شركة مشتركة للاستثمارات الصناعية العربية والمحلية في مصر وخارجها، فضلًا عن دراسة ضخ استثمارات لإنشاء خطوط إنتاج جديدة في العديد من الصناعات المختلفة، وتعزيز التصدير للدول العربية والأفريقية الشقيقة والصديقة.

ثالثًا: أهم الصفقات الموقعة

- وقعت مصر للطيران للخدمات الأرضية تعاقدًا جديدًا مع شركة التركية : A Jet Anadolu Jet [7] ، لتقديم خدمات المهبط بالمطارات المصرية للشركة، بعد أن أعلنت رسميًا انطلاق رحلاتها بين مصر وإسطنبول بمعدل 5 رحلات أسبوعيًا إلى مطار القاهرة.
- وقعت مصر للطيران مذكرة تفاهم مع "إيرباص" لإنشاء أول مركز صيانة معتمد لصيانة وإصلاح الطائرات من طراز "ايرباص" في أفريقيا لتقديم مجموعة أوسع من خدمات الصيانة لأسطول الطائرات من طراز "إيرباص"، بما في ذلك الصيانة المجدولة وغير المجدولة، وإصلاح وحدات الطائرات، وتقديم الدعم الفني، مما يسهم أيضًا في تطوير صناعة الطيران في أفريقيا.
- وقعت أكاديمية مصر للطيران للتدريب عقد شراكة مع شركة (Airbus) المصنعة للطائرات من طراز A350-900، والتي تعاقدت عليها مصر للطيران دعمًا لأسطولها.
- وقعت أكاديمية مصر للطيران عددًا من البروتوكولات الخاصة بأنظمة التدريب وأجهزة "محاكي الطيران" مع شركة "ايرباص"، كونها أحد أهم المصنعين لأجهزة "محاكيات الطيران".
- توقيع عقود شحن جوي جديدة مع كبرى الشركات العالمية منها شركة (Hong Kong Link Global International Logistics) لتشغيل رحلات جوية منتظمة على خط سير (هونج كونج - ميلانو)، كما وقعت الشركة عقدًا آخر مع شركة (EL Masria CO for Trading) لتشغيل رحلات على خط سير (هونج كونج - ماتيجا)، وذلك عبر محطتي القاهرة وبانكوك، كذلك توقيع عقد ثالث مع الشركة نفسها لتشغيل رحلات على خط سير(أوستند - ماتيجا).

ختامًا، يعد المعرض خطوة جديدة تؤكد حرص مصر على أن تصبح مركزًا متميزًا في مجالات الطيران وقوة دافعة لتقدم صناعة الطيران وتكنولوجيا الفضاء ومجموعة عالمية وإقليمية متخصصة في صناعة الطيران المدنية والعسكرية والفضاء والصناعات ذات الصلة مثل أنظمة التسليح المختلفة؛ ومنها الذخائر والصواريخ، والإلكترونيات، والشركات المتخصصة في تقديم خدمات الدعم والصيانة.

---

1. إم بي دي إيه (MBDA): هي شركة صناعات دفاعية أوروبية متعددة الجنسيات متخصصة في صناعة الصواريخ. وقد أسست في ديسمبر 2001 من خلال دمج كبرى شركات أنظمة الصواريخ الفرنسية والبريطانية والإيطالية. وكانت هذه الشركات هي القسم الخاص بتطوير الصواريخ في شركات "إيرباص" (Airbus) و"بي إيه إي سيستمز" (BAE Systems) و"ليوناردو" (Leonardo).
2. "سافران إس إيه" (Safran S.A): هي شركة فرنسية متعددة الجنسيات، تصنع محركات الطائرات والصواريخ. وقد شكلت عبر اندماج الشركة المصنعة للمحركات الطائرات والصواريخ والفضاء (كجزء من مجموعة سنيكما) وشركة الأمن "ساجيم"، ويقع المقر الرئيسي لها في باريس.
3. "تاليس إلينيا سبيس" (Thales Alenia Space): هي مؤسسة فرنسية متخصصة في صناعة الأقمار الصناعية ومعدات الاتصالات. وقد بدأت عملها في مجال الطيران، لكنها توسعت لتشمل مجالات عمل أخرى أهمها الاتصالات وأنظمة الدفاع والفضاء.
4. هي مجموعة صناعية عالمية تعمل على بناء القدرات التكنولوجية في مجال الفضاء والدفاع والأمن، تتخصص الشركة في البرامج الاستراتيجية الدولية الكبرى، وهي شريك تكنولوجي موثوق به للحكومات ووكالات الدفاع والمؤسسات والشركات.
5. هي شركة تابعة لكوريا الجنوبية: تروج لطائرتها الهجومية الخفيفة (FA-50).
6. شركة أمريكية متعددة النشاطات تعد من أكبر الشركات الأمريكية في مجال التقنيات الإلكترونية المعقدة، وصاحبة براءات اختراع متعددة في مجال تقنيات الطيران والفضاء وأنظمة المراقبة، وأجهزة ضخ ونقل وتوزيع النفط.
7. هي شركة طيران إقليمية تركية ومقرها في أنقرة، وهي شركة تابعة مملوكة بالكامل لشركة الخطوط الجوية التركية.

صـــاروخ النينجـــا (R9X): سـلاح الاغتيـالات الغـــامض

إن تطـور التكنولوجيـا الغربيـة فـي مجـال صناعـة الأسـلحة إنمـا يهـدف إلـى تحقيـق التـوازن بيـن الدقـة الكبيـرة والفاعليـة القتاليـة الكبيـرة لتحقيـق الأهـداف المرغوبـة مـع أقـل ضـرر جانبـي ممكـن فـي العمليـات القتاليـة الموسـعة أو المحـدودة، ولا سـيما أن الضـرر الجانبـي عـادةً مـا يطـال المدنييـن العـزل غيـر المرغـوب تحييدهـم أو أهدافًـا ثانويـة تتراجـع أهميتهـا. وعلـى الرغـم مـن الفـارق الكبيـر بيـن الأسـلحة التقليديـة والموجهـة، فـإن الأخيـرة لديهـا القـدرة علـى تحييـد الهـدف بأقـل عـدد ممكـن، مـا يوجـه الاهتمـام بفئـة جديـدة مـن الذخائـر الموجهـة بمعامـل خطـأ طفيـف والتـي تُسـتخدم خصوصًـا فـي مهمـات القنـص الانتقائـي لتحييـد أهـداف محـددة صغيـرة الحجـم، ومنهـا صـاروخ (R9X) الـذي ظـل سـريًا لفتـرة طويلـة والـذي يُعـرف باسـم "صـاروخ الاغتيـالات".

مينا عادل

باحث بالمرصد المصري،

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

أولًا: تميز التصميم

يمكن تفادي ضربات الطيران المتفوق من خلال عدة أساليب وآليات منها تكتيكات التمويه والاختباء والمناورة في مسرح العمليات، والوجود في المناطق المدنية والأحياء المكتظة بالسكان، وذلك كي تزداد صعوبة عملية الرصد والتتبع الدائم للأهداف سريعة الحركة. فإن نجح الخصم في ذلك، سيصعب استهدافه بسبب الضرر الجانبي المتوقع من إصابات من خلال الشحنات التفجيرية أو حتى الشظايا الناتجة عنها، وهو ما سيحدث بشكل حتمي رغم استخدام صواريخ ذات شحنة تدميرية بالغة الصغر، ومن هنا برزت فكرة ظهور صاروخ (R9X) للموازنة بين التأثير الدقيق والفعال السريع لضمان سرعة الاستهداف.

بالنظر إلى تصميم صاروخ (R9X)، يمكن القول إنه نسخة متحورة من صاروخ (AGM-114 Hell-fire) المضاد للدبابات، بيد أن هذه النسخة تحديدًا ليست مخصصة لمكافحة الدروع أو التحصينات الصلبة، بل صُممت لمهمة واحدة فقط، وهي اغتيال الشخصيات المهمة. وبحسب المصادر، فإن صاروخ ((Hellfire تصنعه شركة "لوكهيد مارتين" (Lockheed Martin) منذ عام 1984.

يبلغ طول الصاروخ 1.6 متر ووزنه 49 كجم، ويستطيع الصاروخ إصابة الأهداف بدقة بسرعة تزيد عن سرعة الصوت بنحو 1.3 مرة. ويتم توجيهه بواسطة الليزر للنسخ الليزرية وبالرادار للنسخ الرادارية المخصصة للاستهداف بعيد المدى. والفرق الوحيد بين النسخة (R9X) وباقي النسخ يتمثل في غياب الرأس التدميري المعتاد لصواريخ ((Hellfire، مما أكسب هذه النسخة تحديدًا سرعة أكبر من باقي النسخ بسبب التخلص من الوزن الزائد للمتفجرات واستبدالها بعدد 6 شفرات من الفولاذ الحادة جدًا والقادرة على تقطيع المعادن والأحجار، ويبلغ سعر الصاروخ 160 ألف دولار.

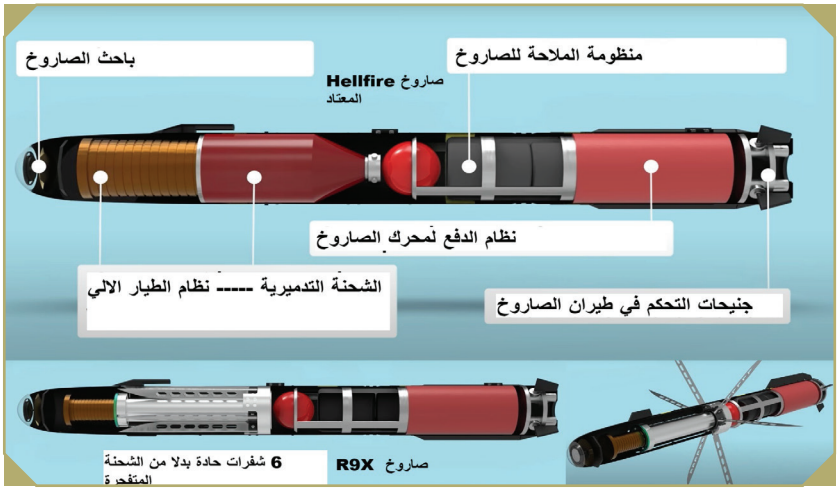

إن النسخة المتحورة من صاروخ ((Hellfire تمتاز بالمرونة بسبب تصميمها؛ ومن ثَمّ يمكن استخدامها على المُسيّرات الهجومية المتوسطة (UCAV) بجانب المروحيات القتالية للجيش الأمريكي من طراز (AH-64 Apache) والبحرية الأمريكية من طراز (AH-1Z Viper). ويمكن بسهولة دمج هذه الوحدات القتالية مع فرق الاستخبارات أو الكوماندوز التي تكون مهمتها مراقبة الأهداف وتتبعها بشكل مستمر، وهي مهمات تتطلب سرعة فائقة في التنفيذ وتُعرف باسم (DT - Dy-و TST - Time Sensitive Targeting namic Targeting.).

ثانيًا: التاريخ العملياتي للصاروخ

استُخدم هذا الصاروخ في عدة مناسبات منها:

- استُخدم لأول مرة في عام 2017 ضد القيادي في تنظيم القاعدة "حسن أبو الخير المصري" عندما تم رُصد وتُعقب من طائرة مُسيّرة أمريكية من طراز (MQ-9 Reaper)، وقامت بتحييده في سوريا.
- عملية اغتيال القيادي اليمني في تنظيم القاعدة "جمال أحمد محمد علي" بواسطة مُسيّرة أمريكية في مأرب باليمن في عام 2019.
- استخدمته المُسيّرات الأمريكية أيضًا لتحييد قادة هيئة "تحرير الشام" في منطقة إدلب التابعة لتنظيم القاعدة في سوريا في عام 2019.
- اغتيال قيادي من طالبان في منطقة قندهار في أفغانستان في عام 2020.
- اغتيال "أيمن الظواهري" في عام 2022 عندما أطلقت مُسيّرة أمريكية الصاروخ على شرفته الخاصة في مدينة كابول بأفغانستان.
- اغتيال القيادي في حزب الله العراقي "أبو باقر الساعدي" في عام 2024 بعدما استهدف من خلال مُسيّرة في أثناء وجوده في بغداد.
- في أثناء حرب غزة، اعتمدت إسرائيل في حملتها الجوية على مزيج من الذخائر الموجهة وغير الموجهة، غير أن الأخيرة لم تُستخدم بشكل موسع. وكانت المهمة الأكبر لصالح القنابل بوزن ألفي رطل من طراز (GBU-31)، وبالأخص ذات الرءوس خارقة التحصينات (BLU-109)، وقد كان لذلك ضرر جانبي كبير على مستوى المنشآت السكنية، حيث تضرر ما يقرب من 80% من البنية التحتية في قطاع غزة، وقد استُشهد أكثر من 40 ألف فلسطيني، وأُصيب ما يزيد عن 95 ألف جريح.

بالتوازي لذلك، جهز سلاح الجو الإسرائيلي توليفة قتالية من الذخائر الدقيقة ذات التدمير الطفيف والفعال بضرر جانبي يمكن احتماله. ومن أمثلة هذه الذخائر القنابل السهمية من طراز (GBU-39) من الطائرات المقاتلة، وصواريخ (Spike) و(Hell-fire) بنسختيها. لم تعلن إسرائيل بشكل رسمي عن تلك النسخ التي كانت تدار بشكل مباشر من قبل أجهزة الاستخبارات العسكرية لاستهداف أهداف محددة في قطاع غزة أو تحييد أفراد حركة حماس على محاور التقدم في أثناء الاشتباكات المحتدمة.

مؤخرًا، شوهد أحد الدلائل على استخدام الصاروخ في لبنان واستهداف أحد قيادات "حزب الله" في منطقة الكحالة، حيث اخترق الصاروخ زجاج السيارة ليصيب سائقها فقط، ولكن لوحظ صغر حجم الفتحات الناتجة عن الشفرات، مما قد يطرح احتمال نسخة أصغر حجمًا أو ذخيرة مماثلة تعمل بالطريقة

نفسها مثل((Hatchet و(SHRYKE)، وهي بعض الذخائر الأمريكية الجديدة المُصممة للاستهداف الدقيق بتأثير تدميري مركز وضرر جانبي محدود.

ختامًا، إن الصاروخ (R9X) هو أحد أهم الذخائر الموجودة حاليًا، والذي يستخدم في عمليات الاغتيال والاستهداف في المناطق المدنية، غير أنه يندرج تحت فئة الأسلحة المحاطة السرية في أغلب الأحيان؛ خوفًا من تمييزها وتصنيع وسائل مضادة لها. ولكن من الواضح أنه سيتوسع في إنتاج أسلحة مماثلة، ولكنبحجم صغير وبتكلفة أقل، بشكل موازٍ للمُسيّرات الانتحارية صغيرة الحجم التي لا تكلف سوى مئات الدولارات.

لقد أثبت الصاروخ (R9X) كفاءته في عمليات الاغتيال. فبجانب النجاح التكتيكي في تحييد الأهداف، لم يكن له تأثير معنوي في الضحايا أو تابعيهم. فهو سلاح مصمم لتقطيع الضحية دون المساس بالأفراد المحيطين أو القريبين منها. ولذا، فإن وجود هذه الذخائر في ظل سهولة دمجها على المُسيّرات، مع إضافة الذكاء الاصطناعي، قد يصبح أحد أسوأ السيناريوهات لقادة التنظيمات الإرهابية في حالة خروجهم من الكهوف أو المواقع المحصنة تحت سطح الأرض.

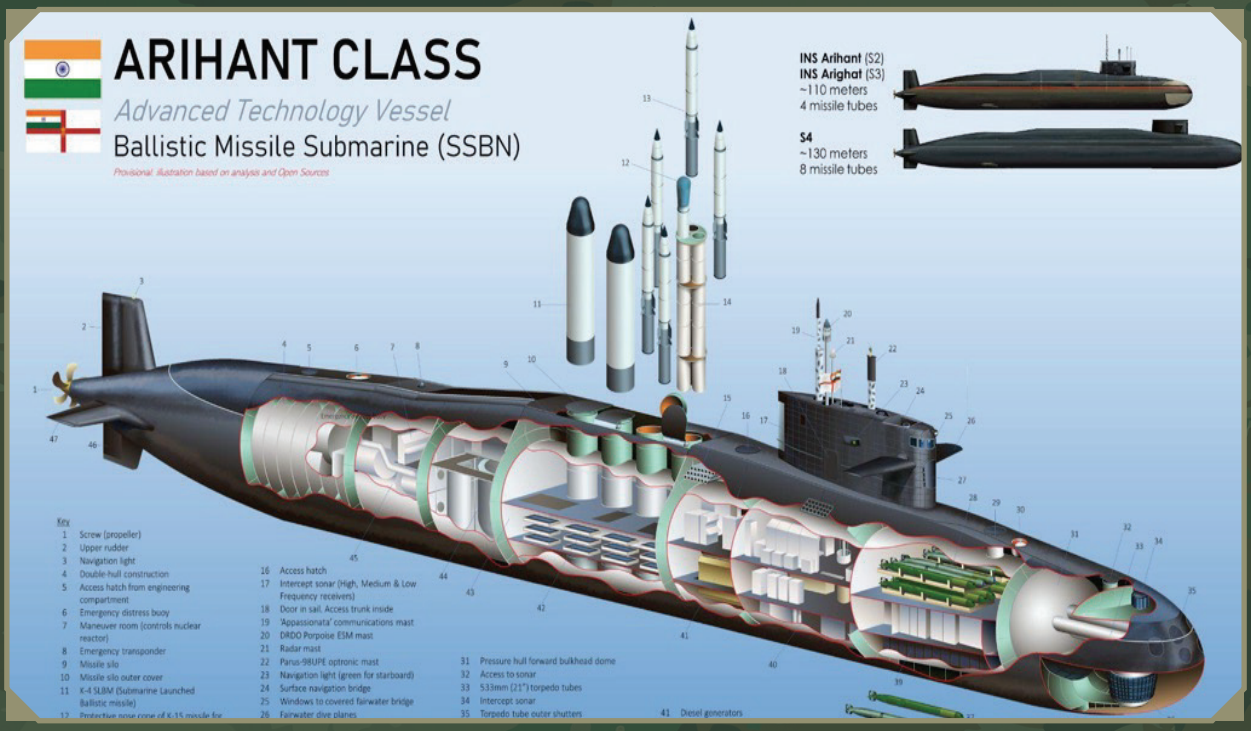

الثالـــوث النـــووي الهنـــدي بعد غواصة (Arighaat)

في التاسع والعشرين من أغسطس 2024، دشنت البحرية الهندية ثاني غواصاتها العاملة بالطاقة النووية، تحت اسم (Arighaat)، لتدخل بذلك رسميًا في الخدمة لدى سلاح الغواصات الهندي، في خطوة لا ترتبط فقط بالتحديثات التي طالت سلاح البحرية الهندي خلال السنوات الأخيرة، بل ترتبط أيضًا بمساعي نيودلهي لتحسين موضعها الحالي على المستوى النووي العسكري.

حتى عام 2016، تضمنت قوة الغواصات التابعة للبحرية الهندية ما مجموعه 18 غواصة عاملة بالديزل والكهرباء، من منشأ فرنسي وألماني غربي وسوفيتي، لا تمتلك أي منها القدرة على إطلاق صواريخ بالستية. أحدث الغواصات الهندية العاملة بالديزل والكهرباء هي الغواصات فرنسية المنشأ من الفئة (Kalvari)، وهي تعد النسخة الهندية من فئة الغواصات الفرنسية (Scor-pene). تمتلك نيودلهي من هذه الفئة 6 غواصات، وقد وقعت عام 2005 مع شركة (Naval Group) الفرنسية عقدًا لتطويرها وتحديثها، وقد تم منذ عام 2017 وحتى عام 2023 تحديث خمس غواصات منها، في حين يتوقع أن تنتهي عمليات تحديث الغواصة السادسة أواخر عام 2024. تمتلك الغواصات المحدثة القدرة على إطلاق صواريخ "أكسوسيت" الفرنسية المضادة للسفن.

أ. محمد منصور
باحث أول بالمرصد المصري،
المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

أولًا: دخول عالم "الغواصات النووية"

خلال عام 2016، وضعت الهند خطة للحصول على غواصات عاملة بالطاقة النووية وقادرة على إطلاق الصواريخ البالستية والعابرة للقارات، ضمن برنامج التحديث البحري (ATV)، كهدف رئيسي لإكمال الثالوث النووي الخاص بها. تمت تسمية هذه الفئة الجديدة من الغواصات باسم (Arihant)، وشرعت الأطقم الهندية في التدرب على عمليات تشغيل الغواصات النووية عبر استئجار غواصة روسية عاملة بالطاقة النووية من الفئة (AKULA) عام 2012، تعمل حاليًا تحت اسم (INS CHAKRA) كمنصة لتدريب الأطقم البحرية الهندية، بحيث تعمل على متن العدد المستهدف بناؤه من غواصات الفئة (Arihant) وهو أربع غواصات.

التصميم الأساسي لهذه الفئة يتضمن بدنًا بطول 111 مترًا وعرض 11 أمتار، وغاطس 15 مترًا، وإزاحة كلية تبلغ 6000 طن، وطاقم يبلغ 95 فردًا. أما على مستوى المفاعل النووي الخاص بهذه الفئة، فهو مفاعل عامل بالماء المضغوط، تبلغ قدرته الكلية 83 ميجاوات، ويسمح للغواصة بتحقيق سرعة قصوى تبلغ 28 كيلو مترًا في الساعة على سطح الماء، و44 كيلو مترًا في الساعة تحت السطح. فيما يتعلق بتسليح هذه الفئة من الغواصات، فقد اعتمد التصميم الأساسي لها، بجانب وجود ست خلايا لإطلاق صواريخ الدفاع الجوي، وكذا القدرة على إطلاق الطوربيدات على وجود أربع أنابيب للإطلاق العمودي للصواريخ البالستية، **تسمح بإطلاق الصواريخ التالية:**

- أربعة صواريخ عابر للقارات من نوع (k - 4) يتراوح مداها بين 3500 و4000 كيلو مترًا، وهي صواريخ عاملة بالوقود الصلب، وتمتلك قدرات نووية.
- أو 12 صاروخًا بالستيًا قصير المدى من نوع (k-15)، وهي صواريخ ذات مرحلتين تعمل بالوقود الصلب، يصل مداها الأقصى إلى 750 كيلو مترًا، ويمكن تذخيرها برءوس نووية.

في الوقت الحالي، تمتلك البحرية الهندية رسميًا غواصتين من هذه الفئة؛ الأولى: هي الغواصة (Arihant) التي بدء بناؤها عام 2004، وأطلقت في يوليو 2009، ونفذت تجارب الإبحار بين سبتمبر 2014 وفبراير 2016، لتدخل الخدمة بشكل رسمي في أغسطس 2016، علمًا بأنها نفذت أول دورية بحرية لهذه الفئة من الغواصات في نوفمبر 2018. أما الغواصة الثانية (Arighaat)، فقد بدأ بناؤها عام 2009، وتم إطلاقها في نوفمبر 2017، وخضعت لتجارب الإبحار بين يناير 2018 ومارس 2021، قبل أن تدخل الخدمة بشكل رسمي في التاسع والعشرين من أغسطس 2024، وقد شابت عمليات بنائها تأخيرات عدة، جعلت عمليات اختبارها للإبحار تتأخر ثلاث سنوات عن الموعد المحدد، وتعتبر هذه الغواصة بمثابة أول نموذج مكتمل بشكل عملياتي من غواصات هذه الفئة، حيث ينظر للغواصة الأولى (Arihant) على أنها غواصة ذات تصميم مؤقت، يُمكن إدخال تحسينات عليها مستقبلًا، ولهذا تعد الغواصة الثانية المدشنة حديثًا (Arighat).

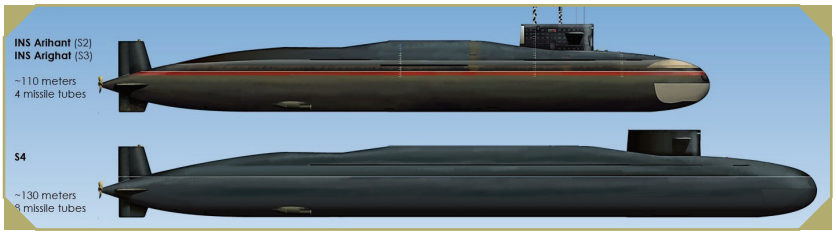

تعمل البحرية الهندية حاليًا على تنفيذ تجارب الإبحار الخاصة بالغواصة الثالثة من هذه الفئة، وتسمى (Aridaman)، حيث بدأت هذه التجارب في نوفمبر 2021، ويتوقع أن تدخل الخدمة بشكل رسمي أوائل 2025، في حين تُجرى حاليًا عمليات بناء الغواصة الرابعة من هذه الفئة، وتمت تسميتها بشكل مؤقت باسم (S4). النقطة المهمة فيما يتعلق بالغواصتين الثالثة والرابعة أن تصميمهما تم تعديله، كي يتم تزويدهما بمفاعلات نووية ذات قدرات أكبر، وتسمح بزيادة إزاحتهما الكلية إلى 7000 طن، كما تمت إطالة البدن الخاص بهما، ليسمح بزيادة أنابيب الإطلاق الصاروخي من أربعة إلى ثمانية، ليصبح تسليح الغواصتين المقبلتين من هذه الفئة، مكونًا من أربعة وعشرين صاروخ بالستي من نوع (K-15) أو ثمانية صواريخ عابرة للقارات قصيرة المدى من نوع (K-4)، ويتوقع أن تمتلك الغواصات الجديدة من هذه الفئة القدرة على إطلاق الصواريخ العابرة للقارات الجاري تطويرها حاليًا ويمكن إطلاقها من تحت سطح الماء، وهي:

- **الصاروخ (K-5):** وهو صاروخ بالستي ثلاثي المراحل، يستخدم الوقود الصاروخي الصلب، ومن المخطط أن يبلغ مداه ما بين 5000 و6000 كيلو مترًا.
- **الصاروخ (K-6):** وهو صاروخ بالستي عابر للقارات، من المخطط أن يتراوح مداه بين 10 آلاف و12 ألف كيلومتر.

من حيث الشكل، تعد هذه الفئة من الغواصات واحدة من أخف فئات الغواصات التي تعمل بالطاقة النووية في العالم، حيث تبلغ إزاحتها 6 آلاف طن فقط، كما تتسم بأقصر مدى اشتباك من أي نوع من الغواصات القادرة على حمل صواريخ بالستية، حيث لا يتجاوز مدى صواريخ (K-4) في أفضل الأحوال 3500 كيلو مترًا، وهذا كان دافع أساسي للبدء في تطوير صواريخ بالستية عابرة للقارات، لتمكين البحرية الهندية من امتلاك القدرة على الاستخدام الفعال لقوة غواصاتها النووية في المستقبل، لكن في الوقت الحالي توفر صواريخ (K-15) تغطية لمعظم مناطق باكستان، في حين

تغطـي صواريـخ (K-4) كل الأراضـي الباكسـتانية، كمـا يمكـن لهـا أن تسـتهدف العاصمـة الصينيـة، فقـط فـي حالـة مـا إذا تمركـزت فـي أقصـى نقطـة فـي خليـج البنغـال.

ثانيًا: رؤية تحليلية استراتيجية

يمكـن النظـر لهـذه الخطـوة مـن اتجاهيـن أساسـيين؛ **وذلـك علـى النحـو التالي:**

الاتجـاه الأول: ويرتبـط بعمليـات التحديـث الجاريـة منـذ فتـرة فـي سـلاح البحريـة الهنـدي لخدمـة الأهـداف الاسـتراتيجية الهنديـة علـى المسـتوى البحـري، والتـي تشـمل اسـتعراض قوتهـا البحريـة فـي الميـاه الدوليـة، بمـا فـي ذلـك دوريـات مكافحـة القرصنـة والانتشـار علـى نطـاق واسـع بالقـرب مـن البحـر الأحمـر للمسـاعدة فـي حمايـة السـفن مـن هجمـات القرصنـة المتصاعـدة فـي الأشـهر الأخيـرة، وتأميـن طـرق التجـارة الهنديـة. لهـذا، دخلـت البحريـة الهنديـة منـذ سـنوات فـي خضـم عمليـات تحديـث مكثفـة لأسـطولها القتالـي الـذي يضـم حاليًـا حاملتـي طائـرات، و12 فرقاطـة للصواريـخ الموجهـة، و12 مدمـرة للصواريـخ الموجهـة، و12 سـفينة إنـزال برمائـي، والتـي لا تشـمل فقـط سلاح الغواصـات، بـل تشـمل كل أفـرع سلاح البحريـة؛ حيـث تعمـل نيودلهـي حاليًـا علـى بنـاء 64 سـفينة متنوعـة، وتخطـط لامـتلاك مـا بيـن 155 و160 سـفينة حربيـة جديـدة بحلـول عـام 2030، علـى أن يصـل هـذا العـدد إلـى 175 سـفينة بحلـول 2035.

مـن أبـرز أمثلـة عمليـات التحديـث البحـري التـي تمـت أو لا تـزال جاريـة، إدخـال حاملـة الطائـرات (Vikrant) إلـى الخدمـة فـي سـبتمبر 2022، لتصبـح ثانـي حاملـة طائـرات تمتلكهـا الهنـد، وحصـول نيودلهـي مـن الولايـات المتحـدة علـى 12 طائـرة دوريـة بحريـة مـن نـوع (P-8I)، وهـي طائـرات لهـا قـدرات مراقبـة واسـتطلاع فائقـة ومتخصصـة فـي عمليـات مكافحـة الغواصـات، بجانـب إطـلاق البحريـة الهنديـة مؤخـرًا سـفينة الاسـتطلاع بعيـدة المـدى (Sandhayak)، وهـي أول سـفينة اسـتطلاع كبيـرة فـي البحريـة الهنديـة، ناهيـك بتسـلم البحريـة الهنديـة فـي أكتوبـر 2023 أحـدث مدمـرة شـبحية محليـة الصنـع مـن الفئـة (P15B)، وتعاقدهـا فـي فبرايـر 2024 علـى شـراء 30 طائـرة اسـتطلاع بـدون طيـار مـن نـوع (MQ-9B) أمريكيـة الصنـع.

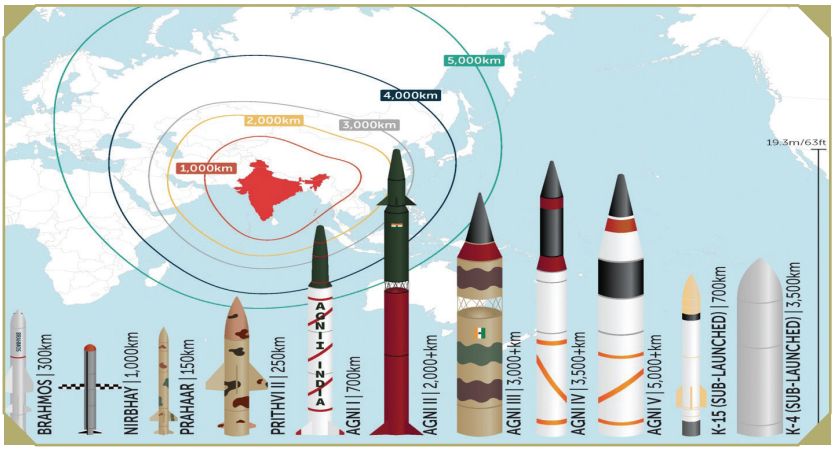

الاتجـاه الثانـي: ويرتبـط بمسـاعي نيودلهـي لإكمـال المنظومـة النوويـة الخاصـة بهـا؛ فبامتلاك الهنـد غواصـات نوويـة حاملـة للصواريـخ البالسـتية والعابـرة للقـارات ذات الذخيـرة النوويـة، تكـون قـد أكملـت الثالـوث النـووي الخـاص بهـا. فالهنـد تمتلـك حاليًـا نحـو 172 رأسًـا نوويًـا، وكانـت حتـى عـام 2003، تمتلـك منـه فقـط ضلعًـا واحـدًا فقـط، وهـو الجنـاح الجـوي، عبـر امتلاكهـا 16 مقاتلـة مـن نـوع (MIRAGE-2000H) و32 مقاتلـة مـن نـوع (JAGUAR)، تمتلـك جميعهـا القـدرة علـى تنفيـذ ضربـات باسـتخدام ذخائـر نوويـة. ثـم امتلكـت بعـد هـذا التاريـخ القـدرة علـى تنفيـذ ضربـات نوويـة باسـتخدام صواريـخ عابـرة للقـارات، سـواء مـن خلال سلسـلة صواريـخ (PRITHVI) قصيـرة المـدى، التـي يتـراوح مداهـا بيـن 150 و600 كيلـو متـرًا، وعائلـة الصواريـخ العابـرة للقـارات (AGNI) التـي يتـراوح مداهـا بيـن 700 و8000 كيلـو متـرًا، وتعمـل نيودلهـي حاليًـا علـى تطويـر نسـخة جديـدة مـن هـذا النـوع، يصـل مداهـا إلـى 12 ألـف كيلـو متـرًا.

مـن منظـور اسـتراتيجي، **يُمكـن النظـر للتحـركات الهنديـة فـي الإطـار النـووي فـي إطـار محاولـة خدمـة الأهـداف التاليـة:**

- منافسـة البحريـة الصينيـة ومحاولـة مواكبـة التطـور المتسـارع الـذي تحـرزه بكيـن فـي هـذا الصـدد.
- محاصـرة واسـتباق الجهـود الباكسـتانية فـي مجـال التحديـث البحـري.
- رفـع مسـتوى القـوة البحريـة الهنديـة لمواكبـة طموحـات نيودلهـي علـى المسـتوى البحـري، والتـي تسـتهدف إيجـاد دوائـر نفـوذ فـي الممـرات البحريـة التجاريـة الاسـتراتيجية.
- تأميـن اسـتمرارية "حالـة الـردع النـووي" الهنديـة.

ختامًـا، يمكـن القـول إنـه رغـم أهميـة الخطـوة الهنديـة الأخيـرة بشـأن دخـول ثانـي غواصاتهـا النوويـة إلـى الخدمـة، إلا أن أهميـة تلـك الخطـوة لـن تتبلـور بشـكل كامـل إلا فـي حالـة تـم إدخـال الصواريـخ العابـرة للقـارات (K-5) و(K-6) إلـى الخدمـة الفعليـة، لأنهـا سـتمثل إضافـة اسـتراتيجية سـتمكن الهنـد مـن الاسـتفادة بشـكل فعـال مـن قـدرات غواصاتهـا النوويـة، ناهيـك بـأن العـدد الحالـي للصواريـخ الـذي يمكـن أن تحملـه الغواصتـان النوويتـان الحاليتـان فـي البحريـة الهنديـة يمثـل عـددًا ضئيـلًا جـدًا، وهـو الوضـع الـذي سيتحسـن مسـتقبلًا مـع دخـول الغواصتيـن الإضافيتيـن اللتيـن تتسـمان بتصميـم محسـن وتسـليح أكبـر.

يسعى المركز "المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية"، الذي أُسس في عام 2018 كمركز "تفكير" مستقل؛ إلى تقديم الرؤى والبدائل المختلفة بشأن القضايا والتحولات الاستراتيجية، على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي على حد سواء. ويولي اهتمامًا خاصًّا بالقضايا والتحولات ذات الأهمية للأمن القومي والمصالح المصرية.

يستهدف المركز دوائر صنع القرار، بإمدادها بالخيارات والبدائل عند التعامل مع التحديات والقضايا الداخلية والإقليمية والدولية، وكذلك الباحثين والمتخصصين في الشئون السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأمنية، داخل مصر وخارجها. ويرمي المركز من خلال خدماته المختلفة إلى المساهمة في تنوير وترشيد الجدال والرأي العام في مصر وإقليم الشرق الأوسط، ونشر قواعد التفكير والبحث العلمي.

ويقوم المركز بمجموعة من المهام، والأنشطة، والخدمات المتنوعة، تشمل: تقديرات المواقف، وأوراق السياسات، وعقد ورش العمل والندوات والمؤتمرات، إلى جانب عددٍ من الإصدارات الشهرية باللغتين العربية والإنجليزية، فضلًا عن الموقع الإلكتروني للمركز الذي يتضمن سلسلة من التحليلات لمختلف التطورات على الساحة المصرية، والساحتين الإقليمية والدولية، ونشر إنتاج البرامج البحثية المختلفة.

البرامج والأقسام

يُمارس المركز رسالته من خلال ثلاثة برامج بحثية أساسية، هي:

أولًا- برنامج العلاقات الدولية: ويُعنَى بدراسة التحولات الدولية الأبرز على الساحة الدولية، وعلى مستوى إقليم الشرق الأوسط، خاصة ذات الطابع الاستراتيجي، وتأثيرها على المصالح والأمن القومي المصري، وذلك في مختلف الأقاليم الجغرافية. ويضم البرنامج مجموعة من الوحدات المتخصصة، منها: وحدة الدراسات الأمريكية، وحدة الدراسات الأوروبية، وحدة الدراسات الآسيوية، وحدة الدراسات الإفريقية، وحدة الدراسات العربية والإقليمية.

ثانيًا- برنامج الأمن وقضايا الدفاع: ويحلل قضايا الأمن القومي بأبعاده المختلفة، ويضم العديد من الوحدات، منها: وحدة الأمن السيبراني، وحدة التسلح، وحدة التطرف، وحدة الإرهاب والصراعات المسلحة.

ثالثًا- برنامج السياسات العامة: ويُعنَى بدراسة القضايا والتحولات ذات الصلة بالسياسات العامة داخل مصر من خلال مجموعة من الوحدات المتنوعة، منها: وحدة الاقتصاد ودراسات الطاقة، وحدة دراسات الرأي العام، وحدة دراسات المرأة وقضايا الأسرة.

وتتسم الوحدات البحثية بدرجة من المرونة، بحيث تعكس الأجندة البحثية المعتمدة من جانب المركز خلال فترة زمنية محددة، وفقًا لتقييم موضوعي للواقع الراهن على الأصعدة المختلفة (المحلي، والإقليمي، والدولي)، وأنماط التحديات والتهديدات القائمة.

وإلى جانب البرامج البحثية، يضم المركز "المرصد المصري" لأهم القضايا التي تشغل الرأي العام، المصري والعالمي، بالإضافة إلى تقديم متابعة دقيقة تحليلية متخصصة لقضايا بعينها تشغل صناع القرار في الشرق الأوسط والعالم. وكذلك "مدونة" لشباب الباحثين والكتاب من خارج المركز، من مختلف الجنسيات، للتعبير عن رؤاهم وطرح أفكارهم فيما يخص الأحداث المتسارعة من حولهم.

جميع حقوق الملكية الفكرية محفوظة ونافذة للمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

للتواصل والمعلومات:

100 شارع الميرغني – مصر الجديدة – القاهرة

+20226905863 | +20226905862 |+20226905861

/ecsstudies

ECSS
المركز المصري
للفكر والدراسات الاستراتيجية
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

E-mail | info@ecss.com.eg
Website | ecss.com.eg
Social links | /ecsstudies
100 Al-Merghani St., Heliopolis, Cairo